وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة زيان عاشور الجلفة
مخبر جمع دراسة و تحقيق مخطوطات المنطقة و غيرها

# مجلة التراث مجلة دولية دورية محكمة يصدرها
## مخبر جمع دراسة و تحقيق مخطوطات المنطقة و غيرها

العدد 07 السنة 2013

ISSN: 2253-0339
الإيداع القانوني:1934-2011

**الرئيس الشرفي :**

**أ.د شكري علي رئيس جامعة زيان عاشور الجلفة**

**مدير المجلة :** **رئيس التحرير :**

**د.لحرش أسعد المحاسن** **أ بشيري عبد الرحمن**

**الهيئة العلمية:**

| | | | |
|---|---|---|---|
| **أ.د بوزيدي كمال** | **جامعة الجزائر** | **د.سناء الباروني** | **جامعة جندوبة تونس** |
| **أ.د بوغزالة محمد الناصر** | **جامعة الجزائر** | **د.بن داود ابراهيم** | **جامعة الجلفة** |
| **أ.د عبد القادر بن حرزالله** | **جامعة باتنة** | **د.حمادي نورالدين** | **جامعة الجلفة** |
| **أ.د سعيد فكرة** | **جامعة باتنة** | **د.فشار عطاالله** | **جامعة الجلفة** |
| **أ.د خير الدين سيب** | **جامعة تلمسان** | **د.عزالدين مسعود** | **جامعة الجلفة** |
| **أ.عبد الستار عبد الحق الحلوجي** | **مصر** | **أ.هزرشي عبد الرحمن** | **جامعة الجلفة** |
| **د.عز الدين بوكربوط** | **جامعة الجلفة** | **أ.شلالي رضا** | **جامعة الجلفة** |
| **أ.د العوفي عبد الكريم** | **جامعة ام القرى** | **أ.درماش بن عزوز** | **جامعة الجلفة** |
| **أ.د عمر أنور الزبداني** | **قطر** | **أ.صدارة محمد** | **جامعة الجلفة** |
| **أ.د ذياب البداينة** | **الأردن** | **أ.بن حفاف اسماعيل** | **جامعة الجلفة** |
| **د.محمود محمد زكي** | **مصر** | **أ.معيزة عيسى** | **جامعة الجلفة** |
| **د.دهينة نصيرة** | **الجزائر** | **أ.شريط محمد** | **جامعة الجلفة** |

**قواعد النشر في المجلة**

**تصدر مجلة التراث في شكل دوري ضمن الميادين التي تعنى بالبحوث و الدراسات الاجتماعية والانسانية من كافة الأساتذة باحثي الجامعات و يشترط في الدراسات و الابحاث المراد نشرها ما يلي :**

- ألا يكون البحث قد نشر أو قدم للنشر في أي مجلة أو جزء من كتاب أو مذكرة أو أطروحة .
- أن يلتزم الباحث بالمنهج العلمي و الموضوعية و الأصالة
- تقدم المقالات مكتوبة فيما لا يتجاوز 20 صفحه متن 16 نوع الخط (traditional Arabic) .
- أن تكون الهوامش في أخر الدراسة ، حجم الخط 14.
- أن يكون البحث مكتوبا بالآلة مع ارفاقه في شكل قرص و تكتب أسماء الباحثين و رتبهم العلمية والجامعة التي يعملون لديها .
- تخضع الأعمال المرسلة الى المجلة للتحكيم قبل نشرها
- ترتب الموضوعات وفق اعتبارات فنية
- ما ينشر في المجلة يعبر عن رأي كاتبه ،و لا يمثل رأي المجلة بالضرورة
- ترسل البحوث و جميع المراسلات الخاصة بالمجلة الى مخبر جمع دراسة و تحقيق مخطوطات المنطقة وغيرها

**التحقيق المشترك للكتب متعددة المجلدات: نظرة على منهج تحقيق كتاب قاموس الشريعة الحاوي طرقها الوسيعة للشيخ جميل بن خميس السعدي**

**إعداد**

**الدكتور خلفان بن زهران بن حمد الحجي**

**قسم دراسات المعلومات**

**المستخلص**

هدفت هذه الدراسة إلى إلقاء الضوء على آلية العمل المتبعة في تحقيق واحد من أضخم المؤلفات الموسوعية العربية على الإطلاق، و هو كتاب قاموس الشريعة الحاوي طرقها الوسيعة لمؤلفه الشيخ جميل بن خميس السعدي العماني من علماء القرن الثالث عشر الهجري، و الذي يقع في تسعين جزءا. حيث شكل فريق علمي رسمت له خطة محكمة لخطوات و وسائل العمل. و قد تفرع من الفريق الرئيس فرق أخرى اختصت كل واحدة منها بجانب من جوانب العمل: كرقن النص، و مقابلته، و تصحيحه. إضافة إلى فرق أخري لضبط النص و تخريج الآيات القرآنية و الأحاديث النبوية الشريفة، و شرح ما يحتاج إلى إيضاح من المسائل العلمية. و يجري العمل حاليا قدما نحو إنجاز مشروع تحقيق الكتاب حتى يبلغ غايته، خاصة بعد ضمان التمويل اللازم له، و إنشاء المركز العلمي للتحقيق الذي ينضوي فريق العمل حاليا تحت رايته ليشكل مشروع انطلاق لتحقيق كتب التراث العماني تباعا بعد الإنتهاء من تحقيق الكتاب المذكور.

## 1. تمهيد

يعد التحقيق و النشر من العمليات الهامة لكتب التراث حتى يتم الانتفاع من علومها و تعم الفائدة من مكوناتها. فالكتاب المخطوط يظل في الغالب حبيس الرف في المكتبة التي حظيت به فلا يغادره إلا بعد سلسلة من الإجراءات المعقدة و القيود الصارمة يحجم الكثير من الباحثين من الولوج في متاهاتها. و هو مع ذلك يواجه تيار الزمن بكل ما يجلبه له من وسائل الإبادة و الفناء و الحشرات و الرطوبة وغيرها ينتظر من يتلطف عليه و يتكرم ليخرجه من محبسه لينطلق حرا يتردد بين المكتبات و معارض الكتب و القراء و المثقفين دون عائق أو قيد. و نظرا لان المخطوطات العربية قد مرت عليها مراحل من عمر الزمن تغيرت خلالها الثقافات و تتابعت، و تبدلت و سائل و أدوات الكتابة و تعددت الخطوط المكتوبة بها و تنوعت، فإن نشرها على حالها الذي وجدت عليه يعد مخاطرة بها و بما تحويه من علم و معرفة. ذلك لأنها سوف تخرج مليئة بالأخطاء الإملائية و النحوية، مضافا إليها إضافات النساخ و تعديلات المالكين الأمر الذي قد يسئ إليها و إلى العلماء الذين سهروا على تأليفها أكثر مما يخدمها أو يخدم الناس بعلومها. و من هنا فإنه لا مجال لإبعادها عن تلك المخاطرة إلا بنشرها محققة تحقيقا علميا واعيا.

و نظرا لما تتطلبه عملية التحقيق من معرفة بفنون و علوم شتى كعلم اللغة و الخطوط، إضافة إلى الإلمام بموضوع الكتاب المحقق، فإن الإقدام على هذه العملية يجب أن يكون مقرونا بالصبر و الأناة و الحرص على أداء المهمة بما يعطي للكتاب و الكاتب حقه دون إخلال بموضوع أو تدخل في رأي.

و المؤلفات متعددة الأجزاء، خاصة تلك التي تبلغ مجلداتها العشرات فإن تحقيقها يتطلب جهدا و وقتا أكبر، مما يجعل القيام به من قبل فريق من المحققين و الباحثين و مساعديهم أمرا محتوما إذا ما أريد إنجازه في وقت محدد. و

عندئذ فلا بد من وجود خطة عمل مبنية على منهج علمي سليم تبين لكل فرد من أفراد الفريق مسئوليته و وظيفته في العمل حتى يخرج متناسقا.

و تتطرق هذه الدراسة إلى منهج التحقيق لواحد من أضخم المؤلفات العربية، و هو قاموس الشريعة الحاوي طرقها الوسيعة الذي وضعه مؤلفه الشيخ جميل بن خميس السعدي فى القرن الثالث عشر الهجري في أكثر من تسعين جزءا. حيث أسس لهذا العمل لجنة مكونة من عدد من الباحثين و مساعديهم بدأت مهمتها منذ عدة أعوام و ما زال العمل مستمرا.

## 2. منهج البحث و الإجراءات

اقتضت طبيعة هذه الدراسة اتباع المنهج النوعي المتمثل في جمع البيانات من خلال ما توفر من نصوص مكتوبة في المصادر العلمية و المنتديات الإلكترونية حول موضوع الكتاب و مشروع تحقيقه. إضافة إلى زيارة ميدانية لفريق العمل و إجراء مقابلة مفصلة مفتوحة الأسئلة مع رئيسه. و في فترة لاحقة من أجراء المقابلة تمت استضافة رئيس الفريق من قبل منتدى الحارة العماني الإلكتروني على الرابط http://alharah2.net/alharah/t55328.html. و قد أفاد الباحث من بعض المعلومات الواردة للتأكيد على المعلومات التي استقاها سابقا من خلال المقابلة والزيارة الميدانية.

## 3. الإطار العلمي للدراسة:

### 3.1. التحقيق

جاء في لسان العرب لابن منظور تحت مادة "حقق" : "الحق نقيض الباطل و جمعه حقوق و حقاق" و في حديث التلبية: لبيك حقا حقا أي غير باطل، و هو مصدر مؤكد لغيره أي أنه أكد به لمعنى ألزم طاعتك الذي دل عليه لبيك" ثم قال بعد شرح طويل :"الحقيقة ما يصير إليه حق الأمر ووجوبه، و بلغ حقيقة الأمر أي يقين شأنه.... و الحقيقة في اللغة ما أقر في الاستعمال على أصل وضعه" (1)

و على هذا فالتحقيق للمخطوطات يعني ردها إلى أصلها أي إخراج نص المخطوط و عنوانه على الصورة التي تركه عليها مؤلفه، كما يتضمن ذلك التثبت من صحة اسم المؤلف و التأكد من نسبة الكتاب إليه.

و التحقيق العلمي الصحيح للمخطوطات الذي يضمن إخراجها صحيحة كما تركها مؤلفوها دون زيادة أو نقصان أو تحريف لابد أن يتم من خلال تحقيق المحاور التالية (2):

1- تحقيق عنوان الكتاب. و يتطلب ذلك من المحقق جهدا كبيرا، حيث يجب عليه الرجوع إلى كتب التراجم و فهارس الكتب كالفهرست لابن النديم و كشف الظنون و ما شابهها، و ذلك للتأكد من أن العنوان الذي ورد في المخطوط هو نفسه الذي وضعه مؤلفه. أو أن يقوم باستكماله إن وجده ناقصا أو تصحيحه ان كان محرفا.

2- تحقيق اسم المؤلف و التأكد من نسبة الكتاب إليه. فالمحقق سوف يكون مسئولا عن نسبة الكتاب الذي يحققه لمؤلف معين، و لذلك فلا بد له من اتخاذ الحيطة و الحذر في هذه النسبة. فلا يكتفي بالاسم الذي يجده في

مقدمة الكتاب أو في خاتمته بل عليه أن يعود للمراجع و المصادر التي تعينه في التأكد من أن ذلك الاسم هو اسم مؤلف الكتاب. و إذا لم يرد اسم المؤلف في أي جزء من أجزاء المخطوط أو ورد ناقصا أو محرفا فإن كتب التراجم و الفهارس قد تعينه في العثور على الاسم الصحيح للمؤلف. و كلما رجع المؤلف إلى عدد أكبر من المراجع في ذلك كان أدعى للاطمئنان إلى صحة ما توصل إليه من نتائج.

3- تحقيق متن الكتاب حتى يظهر بقدر الإمكان مقاربا لنص مؤلفه. و هذا أمر غاية في الصعوبة يتطلب صبرا و تحملا، و لذا فينبغى لمن تصدى للتحقيق أن يتصف بالأمانة و حسن الخلق و سعة الاطلاع و المعرفة. فقراءة الخطوط القديمة التي كتبت بها المخطوطات خاصة المغربية منها و الأندلسية بحاجة إلى مراس و صبر و تدبر. فإن اللحن في القراءة سينتج عنه لحن في النص، و الخطأ يولد خطأ. كما أن الأمانة العلمية تقتضي من المحقق أن يأتي بالنص كما كتبه مؤلفه أو أملاه، و بالتالي فإن وجد خطأ في النص أو تحريفا أورده كما هو دون تصحيح أو تغيير إلا أنه يمكنه تصحيحه في الهامش أو آخر الكتاب. و يستثنى من ذلك الآيات القرآنية. و أضاف بعض الكتاب الأخطاء الإملائية و النحوية الصريحة كنصب الفاعل و رفع المفعول، و كذلك الحقائق المتفق عليها كأن يرد بأن عمر بن الخطاب ثالث الخلفاء الراشدين، حيث يعلم أن ورودها — يقينا – كان خطأ أو سهوا.

هذا و يجب على من أراد القيام بتحقيق لمخطوط في أي موضوع أن يكون له إلمام و خبرة بذلك الموضوع حتى يمكنه من فهم النص فهما صحيحا، وعليه أن يقوم بدراسة بعض المؤلفات التي تعالج نفس الموضوع حتى يكون على بصيرة نافذة. ثم بعد ذلك عليه أن يتصدى لجمع كل مايستطيع الوصول إليه من نسخ المخطوط الذي يريد تحقيقه، ثم يرتبها وفقا للمتعارف عليه في علم التحقيق كأن يقدم النسخة التي بخط المؤلف ان وجدت ثم التي أجازها أو عرضت عليه فراجعها، فالنسخ التي كتبها تلاميذه في عصره و من ثم ترتيب النسخ الأخرى من الأقدم للأحدث أو باتباع معيار آخر قد يراه أنسب.

و هناك أمور هامة يجب على المحقق القيام بها بجانب تصديه لنص الكتاب وهي (3):

1- تخريج الآيات القرآنية و الإشارة إلى أرقامها و السور الواردة بها

2- تخريج الأحاديث النبوية الشريفة و الاشارة إلى سندها و مكانها في كتب الحديث

3- الأبيات الشعرية يشير المحقق إلى مكانها في الدواوين و نسبتها إلى قائليها

4- وضع تراجم مختصرة للأعلام الواردة في النص

5- التعريف بالبلدان و الأماكن الواردة في النص.

و من هنا ندرك أن عملية تحقيق نصوص المخطوطات تحتاج إلى مهارات علمية يجب أن يتقنها المحقق كسعة الأفق و الاطلاع و إتقان مهارات التعامل مع المصادر العلمية بمختلف أشكالها و أنواعها، إضافة إلى صفات هامة كالصبر و الأناة و الإنصاف و عدم التحيز. و يمكن الإضافة إلى ذلك أنه في هذا العصر ينبغي له أن يحسن التعامل مع

الوسائل الحديثة المستخدمة في خزن و بث النصوص العلمية و غيرها كالفهارس الآلية و المكتبات الرقمية و غيرها من الوسائل المتوافرة عبر الشبكة العالمية للمعلومات.

و يتميز التراث الفكري العربي بوجود عدد من المؤلفات الموسوعية التي تقع في عشرات المجلدات. و يتطلب هذا النوع من المؤلفات جهدا و وقتا أطول لتحقيقها، إضافة إلى ما يتطلبه ذلك من تنوع للمعرفة و الخبرة لمن يتصدى لهذا العمل. و لذلك فإن القيام بتحقيق مثل هذه المؤلفات من قبل فريق عمل متجانس فكريا، منظم إداريا سوف يسهم في سرعة الانجاز و دقة العمل، شريطة الالتزام بخطة عمل متفق عليها من الجميع، و يشرف على تنفيذها ذوو خبرة في علم التحقيق و سعة اطلاع في موضوع الكتاب المحقق.

## 4. قاموس الشريعة الحاوي طرقها الوسيعة

هو من أضخم كتب التراث العربي على الإطلاق حيث يقع في أكثر من 90 جزءا.

### 4.1. مؤلف الكتاب:

هو من تأليف الشيخ جميل بن خميس بن لافي بن خلفان السعدي من أهل القرط، من بلدان آل سعد الواقعة بمنطقة الباطنة من عمان. لم تعرف سنة ولادته بالتّحديد إلا أن المصادر العلمية تشير إلى أنه كان من أبرز علماء القرن الثالث عشر الهجري حيث توفي رحمة الله عليه في عام 1279هـ / 1862م بعد حياة حافلة بالعلم والعمل. كان صاحب اعتناء واسع واطلاع جامع، وهمة بارزة مكنته من وضع واحدة من أضخم الموسوعات العلمية في تاريخ الحضارة الاسلامية. أخذ العلم من الشّيخ حمد بن خميس السّعدي، والشّيخ ناصر بن أبي نبهان الخروصي وهو من العلماء المشهود لهم بغزارة العلم و تنوع المعارف بعمان. و قد عاصر الشيخ مجموعة من علماء القرن الثالث عشر أبرزهم الإمام المحقق سعيد بن خلفان الخليلي الذي يعد من كبار علماء عمان المتأخّرين. و من تلاميذه ابنه محمد الذي نسخ بعض أجزاء كتاب قاموس الشّريعة، والشّيخ محمد بن سليّم الغاربي، وهو من تولى إرسال نسخة من كتاب قاموس الشّريعة إلى قطب الأئمة الشّيخ محمد بن يوسف أطفيش الجزائري. و من آثاره العلمية إعادة ترتيب أرجوزة الشّيخ سالم بن سعيد الصّائغي المنحي العماني التي كان كثيرا ما يورد منها أبياتا في نهاية أجزاء موسوعته العملية قاموس الشريعة الحاوي طرقها الوسيعة، وهو الكتاب الذي اعتبره الشّيخ مشروع حياته، ولم يترك لنا كتابا غيره، حيث بذل فيه جهده، واستغرق فيه وسعه جمعا وترتيبا وتبويبا وتهذيبا، حتى غدا أكبر كتاب إباضي على الإطلاق، وهو يقع في تسعين جزءا (4).

### 4.2. منهج التأليف.

يقول الشّيخ جميّل بن خميس السّعدي في مقدمة كتابه "وسمّيته: «قاموس الشّريعة الحاوي طرقها الوسيعة»". ثم شرح منهجه في تأليف الكتاب موضحا أنه اتخذ من كتاب بيان الشرع الجامع للأصل والفرع الذي ألفه الشيخ محمد بن إبراهيم الكندي في القرن الخامس الهجري أصلا لكتابه، حيث يقول: "فاعتمدت على ربّي، وتناولت قصارى حبي كتاب «بيان الشرع الجامع للأصل والفرع»، فحذفت منه التكرار، وخالفت بين بعض مسائله في التقديم والتأخير

للاستقرار، أعني ما تكرّر لفظا لا معنى، مما رأيت عنه الكفاية والغنى، فوافقت بين أندادها، وفارقت بين أضدادها، وتمّمت كل مسألة في مسلكها، ونظمت كل جوهرة في سلكها؛ ليحمل التناسب ويكمل التّقارب". و إضافة إلى ذلك فقد أضاف إليه كثيرا من مسائل المتقدّمين والمتأخّرين ما استحسنه من آثار أهل العدل والفضل من المسلمين. و كانت أكثر الزيادات التي أضافها للكتاب ما وصله من آثار علماء عمان المتأخرين، لاسيّما من تأليف وتصنيف الشيخ الفقيه أبي نبهان جاعد بن خميس الخروصي رحمه الله.

و قد كانت بداية تأليف الكتاب سنة 1256هـ/ 1840م، و هذا الذي أورده المؤلف في مقدمة كتابه حيث قال: "وكان الابتداء لتحريره وتأليفه وتقريره في أول سنة ألف سنة ومائتي سنة وخمسين سنة وست سنين من هجرة سيد المرسلين". ثم لم يزل يهذبه ويرتبه ويضيف إليه، وقد يزيد له بعض الأبواب إلى قبيل وفاته، فقد عثر على نسختين بخط المؤلّف للجزء 44 من كتاب قاموس الشّريعة، الأولى منهما سنة 1260هـ، والأخرى سنة 1277هـ وفي هذه النسخة إضافة باب غير موجود في النسخة الأولى، وسنة كتابة هذه النسخة قريبة من سنة وفاة المؤلّف وهي سنة 1279هـ. و علاوة على ضخامة الكتاب و سعة موضوعاته فإنه يتميز باحتوائه على كل أبواب الشّريعة من العقيدة والفقه و أصوله، والآداب والأخلاق، وجملة كبيرة جدا من الآثار و أقوال العلماء من مختلف المذاهب الإسلامية من القرن الأول الهجري إلى القرن الثالث عشر الهجري. و قد بذل المؤلف جهدا كبيرا في ترتيب مادة الكتاب ترتيبا دقيقا لكي يسهل على القارئ الرجوع إلى فصوله و أبوابه، وقد قام في كثير من الأحيان عند الكلام عن موضوع معين عرضا بالإحالة إلى الجزء الذي فَصَّل فيه ذلك الموضوع. كما أنه وضع له فهرسا تفصيليا لمواضيعه في بداية كل جزء، حيث يذكر الموضوع الرئيسي الذي يتناوله ذلك الجزء وعناوين الأبواب التي تغطي ذلك الموضوع، حيث بلغت الفهارس الإجمالية للكتاب 186 صفحة (5).

### 4.3. الطّبعات السّابقة للكتاب

في عهد السيد برغش بن سعيد بن سلطان (1287- 1305هـ/ 1870- 1887م) دخلت زنجبار أول مطبعة لطباعة الكتب العربية هناك, و ابتدأ العمل بها عام ألف ومائتين وسبعة وتسعين (1297هـ) [1880م]، و كانت طباعة كتاب قاموس الشريعة الحاوي طرقها باكورة أعمالها، حيث طبع منه سبعة عشر (17) مجلدا. و إذا اعتبرت تلك الطبعة الأولى للكتاب فكانت طبعته الثانية بعد قرن من ذلك التاريخ حين شرعت وزارة التراث و الثقافة طباعة أجزائه تباعا منذ سنة 1401هـ- 1982م حتى توقفت عام 1428هـ- 2007م بإكمال طباعة الجزء الحادي و العشرين منه (6).

### 5. مشروع تحقيق الكتاب:

هدف القائمون على مشروع التحقيق إلى إخراج الكتاب كاملا ومحقّقا لأوّل مرّة في التّاريخ بعد أن مضى على تأليفه أكثر من قرن ونصف، ميّسرًا بفهارس متنوعة تُمكِّنُ القارئ من الوصول إلى المعلومة في أسرع وقت وبأيسر سبيل، نشرًا للعلم، وخدمة للتّراث الاسلامي، و إغناءا للفكر الإنساني.

### 5.1. بداية المشروع

كانت البداية عام 2002 م عندما تصدى القائمون على مكتبة الجيل الواعد لإخراج الكتاب بأي صورة كانت، تلبية لرغبة المشايخ وطلبة العلم. إلا أنه و مع مرور الوقت واجه العمل عقبات كثيرة تمثل معظمها في التنظيم و غياب الرؤية الواضحة و ضعف الموارد المالية و البشرية اللازمة لإتمام المشروع، مما استدعى العدول إلى خطة عمل واضحة المعالم، تأخذ في الحسبان أهمية الكتاب، و حجمه و تنوع المهارات المطلوبة لإخراجه على الوجه اللائق به. و في عام 2009 تم التنسيق مع عدد المهتمين بالموضوع للبحث عن آلية جديدة لإتمام العمل بالسرعة و الدقة المطلوبة.

### 5.3. فريق العمل

وضعت خطة لإنشاء فريق عمل له رؤية واضحة و أهداف متفق عليها، يعمل كل فرد منه وفق الخطة المرسومة له لإنجاز المهام المطلوبة منه تحت إشراف مباشر من رئيس الفريق. وقد روعي في اختيار الأعضاء الانسجام و التوافق و التفرغ التام، و ذلك لضمان سلامة التنفيذ و استمرار العمل دون انقطاع قد يخل بالخطة المرسومة، أو التقليل من مستوى جودة الأداء. وعلى هذا الأساس انطلقت التجربة الجديدة في تحقيق قاموس الشريعة، بتفريغ كوكبة من الباحثين من عمان و من وادي ميزاب بجمهورية الجزائر على طول السنة لإنجاز العمل، يتم رفدهم في الإجازة الصيفية بمجموعة أخرى من المهتمين للمساعدة في بعض الأعمال بغرض اختصار الوقت و تسريع انجاز المشروع. و قد مر تكوين الفريق بمراحل تضمنت اختيار عدد من المهتمين، وضع لهم برنامج تدريبي لتعليم مهارات الطباعة السريعة و التنسيق و المتابعة، إضافة إلى المهارات اللازمة لعملية تحقيق النصوص و غيرها. نتج عن ذلك اختيار من وجد فيه الجدية و المهارة و الانضباط ليكونوا عماد الفريق الذي أوكلت إليه مهمة الاستمرار في إنجاز أهداف المشروع.

و من هذا الفريق تفرعت عدد من الفرق، وزع عليها أجزاء العمل طبقا للمهارة و القدرة التي يمتلكها أفراد كل فريق، و من هذه الفرق الفرعية:

- فريق للرقن، يهتم بتفريغ محتوى النسخ المخطوطة إلى ذاكرة الحاسبات الآلية.
- فريق للمقابلة، يختص بمقابلة النسخ ببعضها للاطلاع على مدى الاتفاق و الاختلاف فيما بينها
- فريق للضبط، و يتكون ممن لهم القدرة على ضبط النص دون إخلال بالمادة العلمية أو تغيير لمقصد المؤلف
- فريق للتخريج، و مهمته تخريج الآيات القرآنية و الأحاديث النبوية الشريفة.

### 5.3. خطة العمل

تم تقسيم العمل إلى مراحل و ليس إلى أجزاء، حيث تم اعتبار العمل في جميع الأجزاء كعمل واحد، و ذلك تمهيدا لإصدار الكتاب ،بعد اكتمال تحقيقه كاملا بكل أجزائه دفعة واحدة. و من هنا فإن خطة العمل تضمنت المراحل التالية:

- البحث عن النسخ. و نظرا لتعدد أجزاء الكتاب و تشتتها في عدد من المكتبات داخل البلد و خارجها، فقد تم معاملة كل جزء من أجزائه كأنه كتاب مستقل، حيث تتم متابعة كل النسخ التي يمكن الحصول عليها منه.
- مقارنة النسخ لاختيار النسخة الأم. و قد عانى الفريق من الزيادات التي كانت توجد ببعض الأجزاء و النسخ، و تمييزها من الزيادات التي قام بها المؤلف نفسه. و يعود السبب في ذلك إلى أن المؤلف كان يراجع و يضيف في أجزاء الكتاب حتى بعد اكتماله. و كانت أفضل النسخ كما حددها فريق التحقيق هي نسخة الشيخ محمد بن يوسف أطفيش، فهي نسخة كاملة و تم اختيارها و إرسالها له بواسطة الشيخ محمد بن سليم الغاربي و هو من تلاميذ الشيخ السعدي مؤلف الكتاب.
- رقن النص، بعد جمع النسخ المطلوبة كانت الخطوة التالية هي عملية الرقن، و يقصد بها تحويل نص المخطوط بكل أجزائه إلى ذاكرة الحاسب الآلي. يقوم بهذا العمل الفريق المخصص للرقن دون التدخل في تغيير أي شيء في النص، حتى لو توهم الراقن خطؤه. و تتم مراجعة النص المرقون بعد ذلك بواسطة اثنين من أعضاء الفريق للتأكد من سلامة النقل، و خلو النص من أي أضافة أو حذف من قبل الراقن.
- المقابلة. عند الإطمئنان إلى صحة النسخ المرقونة توجه للمقابلة، حيث يقوم الفريق المختص بذلك بمقارنة جميع نسخ الجزء المرقون بالنسخة التي تم اعتمادها لتكون النسخة الأم. و تتم هذه العملية بواسطة شخصين من أفراد الفريق يقرأ أحدهما من نسخة و يتابعه الآخر من النسخة الأم. و إذا ما تم اكتشاف اختلاف بين النسخ يدرج ذلك في الهامش دون التدخل في تصحيحه أو تعديله أو ترجيح أي منه و ذلك لأن هناك فريق آخر مكلف بهذه المهمة.
- ضبط النص. يتم بعد انتهاء المقابلة ضبط نص المخطوط تمهيدا لإخراجه في صورته النهائية. و يختار لهذه العملية من يمتلك معرفة و خبرة في العلوم الشرعية و اللغوية، و يقوم بهذا العمل في المرحلة الحالية اثنان ضابط للنص و مساعد له. و يمتلك هذا الفريق صلاحية أثبات النص أو حذف الزائد عليه و إكمال الناقص منه. و في هذه المرحلة أيضا يتم عزل كل ما يراد تخريجه من الآيات القرآنية و الأحاديث النبوية

الشريفة. أو ما يراد توضيحه و شرحه من أسماء الأعلام و الأماكن الجغرافية و المصطلحات التي تحتاج الى مزيد من التوضيح. و هناك فريق آخر من المتخصصين يقوم بهذا العمل.

- مراجعة صحة الأسماء و الموضوعات التي تم تخريجها و عملية الضبط من خلال فريق مختص يتكون من شخصين: أحدهما متخصص في علوم الحديث، و آخر ممن لديه خبرة في الأنساب و الأعلام
- المراجعة النهائية، من قبل رئيس الفريق و مساعدين له لضمان جودة عمله و صلاحيته للنشر

## 6. الإشراف و التمويل

كانت مسألة التمويل هي التي كانت تؤرق العاملين على المشروع. حيث كانت الخطة تقتضي تفريغ الباحثين الذين تم اختيارهم لهذا العمل دون أن يكون لهم ارتباط بأي أعمال أخرى تستهلك الوقت المحدد للعمل. و يتطلب هذا الأمر توفير المتطلبات الأساسية لكل أعضاء الفريق من مسكن و مأكل و غيره، إضافة إلى بث الطمأنينة في نفوسهم بتوفير كل ما تتطلبه عوائلهم و أبناؤهم من أساسيات الحياة. و بالتالي يضمن استقرارهم و عدم سعيهم إلى البحث وسائل أخرى للرزق مما قد يهدد توقف المشروع أو عرقلة سيره. أما مسألة الإشراف فكان أمرها أيسر، حيث كانت مكتبة الجيل الواعد قد تبنت الإشراف على المشروع من بدايته مستعينة بعدد من المهتمين غير المتفرغين كليان ممن تسمح أوقاتهم بمتابعة سير المشروع و مراجعة أعماله، كما تمكنت من الاتفاق مع بعض المتخصصين بالتطوع حين الحاجة للمراجعة الموضوعية و اللغوية. ثم انبثقت من خضم ذلك النقاش فكرة لإنشاء مركز علمي للتحقيق تشرف عليه مكتبة الجيل الواعد يتولى الاهتمام بتحقيق هذا الكتاب و غيره من الكتب التي يرى المركز ضرورة تحقيقها و نشرها. و قد تم بالفعل العمل بالمركز المذكور، بعد أن تطوع أحد أهل الخير بتمويله. فتم تأجير مقر دائم للمركز يتكون من شقتين في مدينة الخوير بمسقط تضمان غرفا لسكن أعضاء الفريق الذين يأتون من خارج المدينة، و صالات للعمل تم تجهيزها بأجهزة الحاسب الآلي و غيرها من الأجهزة المطلوبة. كما تم تخصيص رواتب شهرية مجزية للمتفرغين للعمل من أعضاء الفريق.

## 7. الخاتمة

يزخر التراث العربي بصفة عامة، و العماني بصفة خاصة بعدد من الكتب الموسوعية التي أبدعتها أنامل المفكرين و العلماء العرب على مدى أربعة عشر قرنا من الزمن. فقد تتبع معد هذه الدراسة مع زميل له في جامعة السلطان قابوس (7) المؤلفات العمانية الموسوعية التي تتوافر منها نسخ مخطوطة أو مطبوعة في شتى مجالات العلم و المعرفة و استطاعا الوصول إلى 22 منها. و من تلك المؤلفات ما يصل إلى عشرات المجلدات ككتاب بيان الشرع الجامع للأصل و الفرع للشيخ محمد بن إبراهيم الكندي الذي يقع في 73 جزءا، و المصنف للشيخ أحمد بن عبدالله الكندي

في 41 جزءا و غيرهما من الكتب الموسوعية. و على الرغم من طباعة بعض هذه المؤلفات و نشرها، فإن معظمها لم ينل حقه من التحقيق العلمي الرصين، حيث كانت همة ناشريها تتجه إلى إخراجها من ضيق أرفف المخطوطات إلى سعة المكتبات و معاهد العلم، حتى و إن صاحب ذلك بعض الأخطاء الطباعية و الإملائية فخروجها مع أخطاء محتملة فيها خير من حبسها عن طلبة العلم و الباحثين. على أن أي عمل إنساني لا يكاد يخلو من خطإ أو سهو مهما بذل فيه من جهد. و يعد مشروع تحقيق كتاب قاموس الشريعة الحاوي طرقها الوسيعة فاتحة خير لكل المصادر العلمية المخطوطة، حيث يمكن أن يكون نموذجا يحتذى من قبل المهتمين و الباحثين في موضوع تحقيق النصوص و نشرها. كما أن المركز العلمي للتحقيق الذي تم إنشاؤه لتنظيم العمل بمشروع تحقيق الكتاب، و مده بالخبرات العلمية لإدارته، و توفير مصادر التمويل اللازمة لإنجازه، يمكن أن يكون له دور في المستقبل للقيام بمهام التحقيق و البحث العلمي لكتب التراث و غيرها. سائلين الله جلت قدرته التوفيق لكل من ساهم و يساهم في هذه الأعمال، و أن يجعل جهودهم مصدر نفع للبشرية بما توفره من مصادر للعلم و المعرفة.

**المصادر**


1. ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم. لسان العرب، مج 10، بيروت: دار الفكر: ص 49-52
2. عبدالسلام محمد هارون. تحقيق النصوص و نشرها. القاهرة: مكتبة السنة، 1410 : ص 42-52
3. عبدالرحمن عميرة. أضواء على البحث و المصادر. بيروت: دار الجيل، 1992م: ص 64-67
4. موقع المذهب الإباضي http://www.ibadhi.net/vb/showthread.php?t=5259 (استرجع بتاريخ 2103/3/5)
5. موقع المذهب الإباضي http://www.ibadhi.net/vb/showthread.php?t=2100 (استرجع بتاريخ 2103/3/5).
6. خلفان بن زهران الحجي. المخطوطات العربية في المكتبات العمانية: دراسة لتكوينها و تنظيمها و سبل الإفادة منها، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة، 1997م: ص 35-37
7. موسى بن ناصر المفرجي و خلفان بن زهران الحجي. الإنتاج الفكري العماني: دراسة تحليلية للمؤلفات العمانية الموسوعية. مسقط: وزارة التراث و الثقافة، 2006

**توثيق النص الشعري**
**في الأندلس**

أيمن محمد علي ميدان

**أستاذ الأدب العربي ونقده**

**كلية دار العلوم – جامعة القاهرة**

## تمهيد

**اهتمَّ العرب قديماً برواية الشـعر باعتبارها أداة توثيقٍ وتخليد، ووسـيلةَ تَعلُّمٍ وصَـقْلِ مواهب. ولئن ظلّتْ روايةُ الشـعر القديم ممتدةً غيرَ مُنقطعةٍ وَسْـطَ عواملَ متعددةٍ حرَّضَـتْ على بقائها أداةً أثيرةً لديهم فإنَّ روايةَ هذا الشعر شفاهةً عَبْرَ حِقَبٍ زمنيةٍ طويلة – تركت آثاراً جَلِيَّةً على السمات الفنية للقصيدة العربية إذ مالتْ إلى الثبات والسكون، جاعِلةً إيّاها عُرْضَـةً لعبث العابثين، فَتَسَرَّبَ إليها التحريفُ والتصحيفُ والخَلْطُ والتقديمُ والتخَيْرِ والبَتْرُ والنَّحْلُ أيضاً.**

وقد أحدث هذان الملمحان ردودَ أفعال متباينة، إذ أقدمتْ ثُلَّةٌ من شـعراء العصـر العباسـي الكبار على رفض مبدأ ثبات القيمة الفنية وتمرّدتْ عليه؛ لأنه يُسْقِط ما لعنصري الزمان والمكان من آثار حتمية في تَشَكُّلِ السمات الفنية للقصيدة وتطورها.

أما علماء العربية – وقد كان من بينهم رواة أحاديث نبويَّة وأشـعار وأصـحاب قراءات قرآنية.... – فقد انبروا للتصـدّي لكل ما اعترى الشـعر من تَغَيُّرٍ طرأ على بِنْيتِهِ وما تعلَّق بها، فأخضـعوه للفَحْصِ والتوثيق، تحدوهم رغبةٌ صـادقةٌ في ردِّهِ إلى صـورته الأولى، فتشَـكَّلَتْ لديهم طائفةٌ من الوسـائل التي يرجعُ الفَضْـلُ إليهم في خَلْقِ بعضها، واستعارة بعضها الآخر من حقولٍ علمية أخرى وتوظيفها لخدمة النص الشعري.

تجـلَّتْ هذه النزعةُ وتلك الوسائل في كثير من المؤلفات المشرقية التي شَقَّتْ سبيلَها صَوْبَ الأندلس كطـبقات فحول الشعراء لمحمد بن سـلام الجُمحيي (ت 231هـ)، وعيون الأخـبار لابن قُتَيْبَـةَ (ت 276هـ) والأمالي لأبي عليٍّ القاليّ (ت 356هـ) والأغاني لأبي الفرج الأصفهانيّ (ت 356هـ)، وفَسْرَي ابن جِنّي (ت 392هـ) اللذين شرح فيهما أشعار المتنبي (ت 354هـ) .... وغيرها، فأحدثتْ أثراً كبيراً في عناية الأندلسيين بتوثيق النص الشعري

مشرقيّاً وأندلسياً، فراحوا يخضعونه لعملية فَحْصٍ دقيقة شملت نقد مَتْنِهِ، وتعقَّبَتْ أيضاً رُواتَهُ وشُرّاحَهُ تعقُّباً اتَّسَمَ في مواطنَ كثيرةٍ بالتشدُّدِ والتَّعَسُّفِ.

**وقد تبلورتْ عنايتُهم بخدمة النص الشعري وتوثيقه في عِدَّةِ ملامح ينبغي الوقوف أمامها وقفة متأنية، فهاكم تفصيل الكلام.**

## أولاً: الإسناد

تأرجح موقف الأندلسيين من إسناد مَرْوِيّاتهم الأدبية والشعرية بين الإسقاط والحرص الشديد على الإثبات، وهم في موقفهم هذا أسيرو الموقف المشرقيّ حيال القضية ذاتها. فإذا كان **المُبَرِّد** (ت 276هـ) و**ابن الفُرات** لا يُعنيان بإسناد مَرْوِيّاتهما، مما حدا **بنَفْطَوَيْهِ** (ت 323هـ) إلى القول "ما رأيتُ أحفظ لأخبارٍ بغير أسانيدَ من **المُبَرِّد** ومن أبي العباس بن الفُرات (ت 391هـ) " [1]، وجاراهما **الصُّوليُّ** (ت 335هـ) فيما ذهبا إليه "ليقرُبَ على طالبه ومستفيده" وإن عاد فأقرّ بإسناد "ما لابُدَّ منه " [2] فإن ابن قُتَيْبَةَ والقاليّ (ت 356هـ) والأصفهانيَّ تشدَّدوا في إسناد مَرْوِيّاتهم تشدُّداً أطال سلسلة السند طولاً أفقد الخبرَ اتصالَه، وأصاب المتلقي بشيء من الملالة.

يُعَدُّ **ابن عَبْدِ رَبِّهِ** (ت 328هـ) أول العلماء الأندلسيين إقداماً على إسقاط سَنَدِ مَرْوِيَّات سِفْرِه الضخم الموسوم بـ "العِقْدِ الفريد" "طلباً للاستخفاف والإيجاز، وهرباً من التثقيل والتطويل"، متكأ على أن أغلب مرويّاته "لا ينفعها الإسْناد باتصاله، ولا يَضُرُّها ما حُذِف منها، وقد كان بعضُهم يحذف أسانيد الحديث من سُنَّةٍ مُتَّبَعَةٍ

---

([1]) أبو البركات الأنباري: نزهة الألِبّاء ص149.

([2]) الصّولي: أدب الكُتّاب ص28.

وشريعةٍ مفروضة، فكيف لا نحذفه من نادرة شريفة وخبر مُسْتَطْرَفٍ" [1]، وقد حذا حذوه ثُلَّةٌ من العلماء، **أذكر منهم**: ابن الإفليلي (ت 441هـ) في "شرح شعر المتنبي"، وابن سِيدَهْ (ت 458هـ) في "شرح مُشْكِل شِعْرِ المتنبي"، وأبا عبيد البَكْرِيّ (ت 487هـــ) في كتاب "التنبيه على أوهام أبي عليٍّ في أماليه"، وابن السَّيد البَطَلْيُوسِيّ (ت 512هـ) في مجمل ما بين أيدينا من كتبٍ له.

وقد كان لتلك النزعة كبيرُ أثرٍ في عدولهم عن تكرار ما سبق ذِكْرُه في شروحهم من بيان لمعنى أو سَرْدٍ أو تطرّق لأسطورة.... ويتجلى هذا الملمح في حماسة أبي تمّام بشرح الأعلم الشنتمري وشرح سِقْطِ الزَّنْدِ لابن السَّيد البَطَلْيُوسِيّ عبر تراكيب دالّة مثل القول: "وقد ذكرناه فيما مضى"، و"قد تقدّم ذكره" أو "وقد تقدم تفسيرها" إلى غير ذلك [2].

على أنَّ إقدام ابنِ عبدِ ربِّهِ ومَنْ حذا حَذْوَه من علماء القرنين الخامس والسادس الهجريين على إسقاط سَنَدِ مَرْوِيّاتهم لا يعني غَلَبَة هذا الاتجاه وميلَ الأندلسيين إلى اعتناقه مَيْلاً تامّاً، فقد شهد هذان القرنان وما تلاهما من قرون عنايةً محمودةً بإسناد المرويات الأدبية والشعرية، وتجلّت تلك العناية في جهود عدد من أبناء ذاك الزمان، **أذكر منهم**: ابن بسّام الشنتريني (ت 542هـ) في كتاب الذخَيْرِة، وابن خَيْرٍ الإشبيلي (ت 575هـ) في الفهرسة، وابن الأبّار القُضاعِيّ (ت 658هـــ) في كتابيه: المقتضب والتكملة، والتجيبيّ السَّبْتِيّ (ت 730هـــ) في مستفاد الرحلة والاغتراب، والوادي آشي (ت 749هـ) في برنامجه، وابن الأحمر (ت 807هـ) في كتابه "نثير الجمان...".

---

([1]) ابن عبد رَبِّهِ: العِقْد الفريد 1 / 4.

([2]) الأعلم: شرح حماسة أبي تمّام ص69. وابن السَّيد البَطَلْيُوسِيّ: شروح سِقْطِ الزَّنْدِ ص493، 494، 607، وغيرها.

وقد امتدت رغبتُهم في إسناد مَرْوِيّاتهم لتشملَ كل ماله صلة بالأدب بمفهومه العام من مثل كتاب "الكامل" [1] والشعرِ مجاميعَ ودواوينَ شعراءَ مشارقةٍ كبار كشعر زهير بن أبي سلمى [2] وأبي تمّام (ت 221هـ) [3] والمتنبي (ت 254هـ) [4] والمعرّي (ت 449هـ) [5].. وانتهاء بإسناد مَرْوِيّاتهم من القصائد المفردة [6] والمقَطَّعات.

وقراءةُ كُلٍّ من "الفهرسة" لابن خَيْرٍ الإشبيلي وبرنامج الوادي آشي تؤكد ما ذهب الباحثُ إليه من احتفائهم برصد تسلسل مَرْوِيّاتهم رصداً دقيقاً، فابن خَيْرٍ الإشبيلي في معرض رصده لما عُرِفَ لأبي العلاء المعرّي من مؤلفات بالأندلس يورد ثلاث روايات مختلفة لمجمل إنتاجه شقّت سبيلها صوب الأندلس عبر قنوات متعددة (بغداد والقاهرة والقيروان)، ووسائط متنوعة تجلّت ثلاث روايات حملها رُواةٌ أندلسيون وعراقيون ومصريون ومغاربة، ثم راح يتعقَّب مراحلها تعقُّباً أفضى به إلى المعرّي نفسه [7].

ولم تقف عنايةُ الأندلسيين بإسناد مَرْوِيّاتهم عند حدود الآثار الأدبية والشعرية المشرقية لتقدُّمِ عَهْدٍ اعتراها وحِرْصٍ على الثقة في أصالتها وصِدْقِ انتمائها إلى قائليها، بل امتدّت العنايةُ لتشمل أشعار معاصريهم موطناً وأواناً، وقد تباينت أسانيدهم خِفَّةً وثِقَلاً، فمن خفيف أسانيدهم قول ابن بسّام الشنتريني (ت 542هـ) في تضاعيف ترجمة ابن الفَرَضِيّ (ت 403هـ): "أخبرني الفقيه أبو بكر ابن الفقيه الوزير أبي محمد بن عربي عن الفقيه أبي عبدالله الحميدي، قال: أنشدني أبوالوليد بن الفَرَضِيّ شعره في طريقه إلى المشرق في طلب العلم، وكان كتب بها إلى أهله حيث يقول: (من الطويل)

---

(1) انظر المخطط الأول ص .

(2) ابن خَيْرٍ: فهرسة ابن خَيْرٍ ص389.

(3) بنشريفة: أبو تمام وأبو الطيب في أدب المغاربة ص22 – 36.

(4) ميدان: المتنبي ومترسلو الأندلس ص6، 72. انظر: المخطط الثاني ص .

(5) د. أيمن ميدان: تأثير أبي العلاء المعرّي في الأدب الأندلسي ص5. انظر: المخطط الثالث ص.

(6) من هذه القصائد قصيدتا "بانت سُعاد.." لكعب بن زهير، ومقصورة ابن دُرَيْد. انظر: الوادي آشي، برنامج الوادي آشي ص223 و 314.

(7) ابن خَيْرٍ الإشبيلي: فهرسة ابن خَيْرٍ ص386، وبرنامج الوادي آشي ص53، 54، 313.

**مَضَـــتْ لي شـــهور منذ غبتم ثلاثة  وما خِلْتُني أبقى إذا غِبْتُمُ شـــهرا"** [1]

ومن مثل ذلك أيضاً سندُ رواية شعر الفقيه أبي جعفر الألبيري الذي أدرجه الوادي آشي في برنامجه، فقال: "قرأتُ على الشـيخ أبي محمد بن هارون منه أربع قصـائد من أوّله، وناولنيه بِحَقِّ روايته له عن أبي يحيى عبد الرحمن بن عبد المنعم بن محمد الخزرجي إجازة عن أبيه، عن أبي القاسم بن ورد، عن أبي محمد عبدالله بن فرج بن العَسَّال، عنه" [2].

أما ابن الأبّار القُضاعِيّ والعبدري البَلَنْسِيّ (ت 688هـ) وابن خاتمة الأنصاري (ت 770هـ) فقد أطالوا في سـند مَرْوِيّاتهم إطالة بَدَتْ في مواطن كثيرة غير مقبولة، وقد تجلّى هذا الملمح في إسـناد طويل – ومُمِلٍّ أيضـاً – للعبدري يقول فيه: "وأنشـدني شيخنا أبو زيد وأعطانيه في ورقة بخطه. قال: أنشـدنا الفقيه المحدث أبو المكارم وأبو بكر محمد بن أحمد يوسـف بن موسـى هو ابن مسـدي بالسـين والدال المهملتين وكتبه لي بخطه. قال: أنشـدنا القاضـي أبو الحسـن علي بن عبدالله محمد يوسـف الأنصـاري، هو ابن قطرال بثغر شـاطبة وكتبه لي بخطه قال: أنشـدنا أبو الحجاج يوسـف بن محمد هو ابن الشـيخ البلوي وكتبه لي بخطه. قال ابن مسـدي: وقرأت على أبي عبدالله محمد بن أحمد التميمي قال: أنشدنا أبو محمد عبدالله محمد بن أبي الفضل القاضي بثغر الإسكندرية وكتبه لي بخط يده. قال: أنشـدنا أبو عبدالله محمد بن صـدفة بن سـليمان وكتبه لي بخطه قال: أنشـدنا محمد بن إبراهيم البَكْرِيّ وكتبه لي بخطه قال: أنشـدنا أبو عبدالله محمد بن إبراهيم بن قاسـم الطليطلي وكتبه لي بخطه قال: أنشـدنا محمد بن شداد بن الحداد وكتبه لي بخطه قال: أنشدنا محمد بن إبراهيم بن موسى بطلبيرة لنفسه وكتبه لي بخطه": ( من الوافر)

**رأيت الانقـــبـــاض أجل شـيء  وأدعى في الأمور إلى السـلامة"** [3]

وقد صـاحب تلك العنايةَ حِرْصٌ على إزالة ما يُوَشِّـحُ الإسـنادَ من لَبْسٍ وغموض، أو يعتريه من شَـكٍّ وضـعف، ففي سَـنَد العبدري السـابق قال "هو ابن مسـدي بالسـين والدال المهملتين"، وذهب ابن الأبّار إلى

---

([1]) ابن بَسَّام: الذخَيْرِة ق1 م2 ص615.

([2]) الوادي آشي: برنامج الوادي آشي ص300.

([3]) العبدري البَلَنْسِيّ: الرحلة المغربية ص63 – 64.

تصويب بعض الأسماء الواردة في سند إحدى مروياّته معتمداً على وعيه بأصدقاء الشاعر ورواة أشعاره، فقال في تضاعيف ترجمته لأبي إسحاق الألبيريّ (ت 460هـ): "هكذا في هذا الإسناد أبو عبدالله محمد بن عيسى، ولعلَّه أبو محمد عبد الواحد بن عيسى، فهو المعروف بصحبة الألبيري" [1].

وقد يشيرون إلى ما اعترى السَّند من خلط أو ضعف أو شكٍّ ، مثال ذلك ما أورده القاضي عِياض (ت 544هـ) نقلاً عن ابن خاتمة الأنصاريّ في معرض ذكر سند مقطعة شعرية لابن الحكيم: "وفي سَنَدِ هذه القطعة نَوْعٌ غريب من التسلسل". [2]

وإذا كان الأندلسيون قد اتخذوا من الإسناد وسيلة لتوثيق نسبة النص الشعري إلى قائله فإن ثَمَّة وسيلة أخرى تمثلت في النقل عن وثائق دوِّنَتْ بخط الشاعر، اتكأ ابن بسّام الشنتريني عليها في مواطن كثيرة، من بينها قوله في تضاعيف ترجمة أبي جعفر بن اللمائي: "ومما نقل من خطِّه قصيدة من شعر يشكو نوائب دهره" و "مما وجدته أيضاً بخطِّهِ لنفسه". [3]

% % %

(1)ابن الآبّار: التكملة لكتاب الصلة 137/1.

(2) المقَّري: أزهار الرياض 346/2، ونفح الطيب 503/3، نقلاً عن كتاب "مَزِيَّة المرّية" لابن خاتمة.

(3) ابن بسّام: الذخَيْرِة ق1 م2 ص622.

**ثانياً: إزالة الالتباس في الأسماء**

**لم تقتصر جهود علماء الأندلس في توثيق النص الشعري – مشرقياً وأندلسياً – على الإسناد وتحرّي الدقة في نسبته إلى آبائه الشرعيين، بل امتدَّتْ لتغطي إزالة ما علق بأسماء الشعراء والأعلام وألقابهم وكُناهم وأنسابهم من خلط واشتباه، فكانت لهم إسهامات متميزة في هذا المضمار، تجلّت في تعقُّبهم الدقيق لمواطن هذا الخلط وذلك الاشـــتباه، وتأليف عددٍ من المؤلفات التي تناولت هذه الظاهرة** ككتاب "الإيناس في علم الأنساب" للوزير المغربي (الحسين بن علي، ت 418هـ) [1]، وكتاب "تقييد المهْمَل وتمييز المشْكَـل" لأبـي علـي الحسين بن محمد بن أحمد الغسّاني الجيّاني الأندلسي (ت498هـ). [2]

وقد تجلّى هذا الملمح فيما رصد أبو عُبَيْدٍ البَكْرِيّ (ت 487هـــ) من استدراكات على أبي عليٍّ القاليّ في آماليه، إذ صوّب ما أحدثه من تصحيفات وتحريفات وأخطاء اعترت أسماء الشعراء وقبائلهم، مثال ذلك إصلاح ما أحدثه أبو عليٍّ القاليّ من تحريف اسم شاعرٍ جاهلي يُدْعَى (سلمى بن ربيعة) فرواه بفتح السين والميم، فقال: "هكذا رُوِيَ عن أبي عليٍّ – رحمه اللهُ – سَـلْمَى بفتح السـين والميم، ولم تختلف الرواة أن اسـم هذا الشاعر سُلْمِيّ بضمِّ السين وكسر الميم وتشديد الياء، وهو سُلْمِيُّ بنُ ربيعةَ بن زبّانَ بن عامر من بني ضَبَّة، شاعر جاهلي". [3]

وقد فَنَّدَ البَكْرِيّ ما ذهب إليه أبو عليٍّ القاليّ من نسبة بيتين لمعْدَان بن مُضَرِّبٍ الكِنْدِيّ، رادّاً هذه النسبة الخاطئة إلى التباين في الحِفْظِ اعترى ذاكرته؛ إذ "لا يُعْلَمُ شاعرٌ اسمه مَعْدانُ بن مُضَـرِّبٍ"، وإنما "هذا الشعر لمعْدان بن جوّاس بن فَرْوَةَ السَّكُونيّ ثم الكِنْدِيّ بلا اختلاف". [4]

وامتدت ملاحِظُ البَكْرِيّ لتشـمل نسـبة الشـاعر إلى قبيلته إذ رفض نسـبة القاليّ لمالك بن الرَّيْبِ (ت 60هـ) إلى "مُزنَةَ"، فقال: "هذا وَهْمٌ من أبي عَلِيٍّ – رحمه اللهُ، ومالِكٌ مازِنِيّ لا مُزَنِيّ". [5]

---

([1]) د. الفضلي: تحقيق التراث ص156.

([2]) بشار عواد معروف: ضبط النص والتعليق عليه ص19.

([3]) البَكْرِيّ: التنبيه ص39. وانظر أيضاً ص22، 114 – 115.

([4]) المصدر السابق ص57 – 58، انظر أيضاً ص71.

([5]) المصدر السابق ص55.

وللأعلم الشنتمري عناية بتوثيق أسماء الشعراء وكُناهم وألقابهم.. وتعقُّبِ ما اعتراها من تحريف وتصحيف وإيهام، من ذلك قوله: "وقال القتّالُ الكُلابيّ (ت 70هـ) واسمه عبدُاللهِ بن مُحِيبٍ، وهو غَيْرُ القتال الكُلابيّ الآخر، واسم ذلك عبيدُ بن المِضْرَحِيّ" [1]، ومثل ذلك في شرحه كثير. [2]

% % %

(1) الأعلم: شرح الحماسة ص319.

(2) المصدر السابق ص305، 319، 360... الخ.

## ثالثاً : تحقيق نسبة الشعر

تعددت وسائلُ توظيف النص الشعري لدى علماء الأندلس وتباينت تبعاً لذلك درجة العناية بنسبته إلى قائله، فتارة يستشهدون به في تضاعيف تعرُّضهم لمسائل لغوية ونحوية، وتارة ثانية يتخذونه نافذة يطلون من خلالها على أصالة ما ينطوي عليه من معانٍ أو تعقب امتداد جذوره لدى آخرين، وتارة أخرى يتخذونه مدخلاً لرصد هفوات معاصريهم أو سابقيهم من العلماء حيال تفسيره أو نقده. على أنني أسارع فأقرر أن بعض العلماء الأندلسيين عزفوا عن الاستعانة بالشعر في بعض مصنفاتهم عزوفاً تاماً، وآثروا الوقوف أمام النص المشرقي وقفة ذوقية خالصة، يتجلى هذا الموقف في شرح ديوان المتنبي لابن الإفليلي.

وقد بدا للباحث أن عناية الأندلسيين بعزو النص الشعري تبدو ضيقة النطاق عندما يأتي في تضاعيف شروحهم الفنية للأشعار المشرقية، ويتجلى هذا الملمح في شرح ابن السَّيد البَطَلْيُوسِيّ لديوان سِقْطِ الزَّنْد لأبي العلاء المعرّي، وتبدو النسبةُ متعادلةً تقريباً لدى ابن سِيدَهْ في "شرح مُشْكِل شِعْرِ المتنبي" إذ اتكأ على مائتين وأربعة شواهد شعرية عزا أربعة وتسعين شاهداً من بينها بنسبة قدرها (49 %). أما عندما يُسْتعان بالنص الشعري استشهاداً على مسائل لغوية ونحوية فإن نسبة عزو الشواهد تدخل دائرة النُّدْرَة، مثال ذلك ما قام به أبو حيّان الأندلسي في "البحر المحيط"؛ إذ "بلغ عدد الشواهد التي أثبتها... في تفسيره مستشهداً بها على مسائل نحوية ولغوية: 457 بيتاً من الشعر، و44 من الأرجاز، ومن الواضح أن أبا حيّان لم يكن يهتم في كثيرٍ من الأحيان بنسبة أبياته التي يستشهد بها إلى قائلها، فيبلغ عدد الشواهد التي نسبها 84 شاهداً، وتمثل 16.8% فقط من مجموع الأبيات" [1] ويتجلى عزوفهم عن نسبة الشعر، والاكتفاء بالغاية التفسيرية التي اجْتُلِبَ من أجلها، فيما قام به ابن السَّيد البَطَلْيُوسِيّ من الاستعانة ببعض الأبيات الشعرية التي أوردها عاريةً من العزو إلى قائل، رادّاً إياها إلى المصدر الذي اسْتُقيتْ منه، وبالعودة إلى المصدر المشار إليه وُجِدَتْ معزوةً لقائلٍ، مثال ذلك قوله في تضاعيف شرحه للبيت الحادي عشر من القصيدة الثامنة والعشرين: "وأنشد أبو زيد: (من الطويل)

**تركتَ ابنتيك للمُغِيرَةِ والقَنا  شوارِعُ والأكماءُ تَشْرَقُ بالدم"** [2]

---

([1]) د. صبري إبراهيم السيد: شواهد أبي حيّان في تفسيره ص573 – 574.

([2]) ابن السَّيد: شرح سِقْطِ الزَّند ص722، وانظر أيضاً ص794.

وقد جاء هذا البيت معزواً إلى ضمرة بن ضمرة في نوادر أبي زَيْدٍ [1]، وإلى هذا أشار محققو شروح سِقْطِ الزَّنْدِ.

وتبلغ العناية بعزو الشعر إلى قائله أوجها عندما تُتَّخَذُ وسيلة لنقد الآخر وتعقُّب هناته، وتتجلّى هذه العناية في ما قام به أبو عُبَيْدٍ البَكْرِيّ من تعقُّبٍ لهفوات أبي عليٍّ القاليّ في أماليه، إذ عزا جُلَّ ما أهمل القاليّ نسبته [2]، وردَّ الأبيات المختلطة النسب إلى قائليها [3]، وصَوَّب ما اعترى بعضها الآخر من نسبة خاطئة لغير قائليها. [4] ولذلك فقد تعددت صور عزو النص الشعري لدى علماء الأندلس، وتجلّت فيما يلي:

**1/3– عزو النص:**

عني الأندلسيون بعزو النص إلى قائله، وراحوا يُوَثِّقون تلك النسبة بوسائل متعددة، من بينها ذكر ما اتصل بالبيت من خبر شائع أو حادثة لا تُنْكر، مثال ذلك ما قام به أبو عُبَيْدٍ البَكْرِيّ، عندما نسب هذين البيتين: (من الطويل)

**وإني لأهواها وأهوى لقاءَها كما يشتهي الصّادي الشرابَ المُبَرَّدا**

**علاقةُ حُبٍّ لجَّ في سَنَنِ الصِّبا فأبلى وما يزدادُ إلا تجدّدا**

إلى الأحْوَص بن محمد (ت 105هـ)، إذا دعَّم تلك النسبة بقوله: "ولهذا الشعر خبر..." ذكره [5] ومثل هذا في تنبيهات البَكْرِيّ كثير. [6]

وقد يعتمدون على ذكر المصادر التي استقوا منها هذه الأشعار، من مثل ذلك ما نسبته ابنُ الأبّار من أبيات إلى شاعر يُدْعى (الحصني)، مدعماً تلك النسبة بقوله "أنشده ابن قُتَيْبَةَ في كتاب الأنواء". [7]

---

(1) أبو زيد: النوادر ص155، وابن سِيدَهْ: شرح مُشْكِل شِعْرِ المتنبي ص131، 197.

(2) البَكْرِيّ: التنبيه ص20، 23، 26...

(3) المصدر السابق ص31.

(4) المصدر السابق ص22، 23...

(5)المصدر السابق ص27.

(6) المصدر السابق ص23، 24، 27، 48.

(7) ابن الأبّار: المعجم ص133، وانظر أيضاً: التنبيه ص77.

وقد يُوَثّقون نسبة الشعر بردّه إلى ديوان الشاعر أو ما اشتهر من أشعاره، مثال ذلك قول البَكْرِيّ: "وهذا الشعر للعبّاس بن الأحْنَفِ (ت 192هـ) بلا خلاف... وهو ثابت في ديوان ابن الأحْنَفِ" [1]، وقوله في موطن آخر: "هذا الشعر لأبي الأسود الدؤلي (ت 69هـ) وهو ثابت في ديوانه" [2] ومن رَدِّ الشعر إلى ما اشتهر من قصائد، قول البَكْرِيّ تعليقاً على قول الشاعر: (من المنسرح)

**نُقيمُهُ تارةً ونُقْعِدُهُ كما يُفاني الشَّمُوسَ قائدها**

: "البيت للكُمَيْت بن زيد (ت 126هـ) في أشهر قصائده.. وأوّلها:

**هل ذائِدٌ للهموم ذائدُها عن ساهِرٍ ليلةً يُساهِدُها"** [3]

وقد يتخذون من خُلُوِّ ديوان الشاعر من البيت وغيره أداةً لنفيِّ نسبته إليه، مثال ذلك ما رواه أبو عليٍّ القاليّ من أبيات معزوة لأبي الشِّيص الخُزَاعي (ت 196هـ)، يقول منها: (من الكامل)

**وقفَ الهوى بي حيثُ أنتِ فليس لي مُتأخِّرٌ عنه ولا مُتَقَدِّمُ**

إذ نفى البَكْرِيّ نسبة هذا الشعر إليه؛ لأنه "ليس... في ديوان أبي الشِّيصِ، ولا رواه أحدٌ عنه، كما رُوِيَ عن غيره". [4]

وقد امتدت **عنايتهم بعزو الشعر إلى ما اختلط من الأبيات أيضاً**، رُدّتْ إلى أصولها ونُسِبت إلى قائليها [5]. والحرصِ على نسبة الشعر إلى ما اشْتُهِرَ من أسماء الشعراء وألقابهم وكُناهم، وقلّما يَشِذُّون عن تلك القاعدة،

---

([1]) البَكْرِيّ: التنبيه ص66، ومثله في السيد: شواهد أبي حيّان ص574.

([2]) البَكْرِيّ: التنبيه ص44.

([3]) المصدر السابق ص72.

([4])المصدر السابق ص67.

([5]) المصدر السابق ص31، 46، 88.

كأن ينسبون الشعر إلى قبيلة بإطلاق [1]، أو كُنْيَةٍ غير شائعة مثلما نسب أبو حيّان التوحيدي البيت الآتي: (من الطويل)

**أُريـــــدُ لأنســـى ذِكْرَهـــــا فكأنما تخيّـل لي لـيـلـى بـكـل طـريـقِ**

لأبي صَخْرٍ، وما أبو صَخْرٍ هذا إلا كُثيِّرُ عَزَّةَ (ت 105هـ).. وتلك كانت كُنْيَتَهُ". [2]

**2/3- اختلاف النسبة وآليات الترجيح:**

وُجِهَ الأندلسيون بأشعار كثيرة نُسِبَتْ لأكثر من شاعر، ولتداخل الأشعار أسباب وتجليات، أما الأسباب فتكمن في "قصور الوسائل، لا قصور الدراسة، إذ يعود ذلك إلى جهود العلماء المتتابعة في الكشف عن النصوص وتحقيقها، وهذا ما واجه علماؤنا الأقدمون في هذه الشواهد، حيث قصرت بهم الوسائل أمام بعض النصوص فتردَّدوا في نسبتها إلى قائل واحد، أو اختلفت هذه الوسائل بين دارسٍ ودارس، فذكر كل منهم رأياً في الشاهد الواحد..." [3] وقد ردَّ ابن الأبّار وقوع الخطأ في نسبة الأشعار إلى أنَّهم كانوا يتمثَّلون بما يحفظون فيتوَهَّم سامعهم أنَّ ذلك لهم". [4]

أما عن التجليات فبدت في الخلط بين شـــعر الابن وأبيه [5] والأخ وأخيه [6]، والقصـــائد المتفقة وزناً وقافية وأغراضاً. [7]

وقد أخذ هذا الملمح لدى الأندلسيين وجوهاً متعددة، فمنهم من أشار إلى اختلاف النسبة دون ترجيح، ومنهم من رَجَّحَ دون استناد إلى دليل، ومنهم مَنْ استند على أدلة ذوقية وأخرى نقلية.

---

(1) ابن سِيدَهْ: شرح مُشْكِل شِعْرِ المتنبي ص49، 209، والبَكْرِيّ: التنبيه ص47.

(2) السيد: شواهد أبي حيّان ص574.

(3) د. محمد عيد: الرواية والاستشهاد ص201. وقد ردَّ د. خالد عبد الكريم جمعة هذه الظاهرة إلى سبعة عوامل. انظر: شواهد الشعر في كتاب سيبويه ص184 – 191.

(4) ابن الأبّار: الحلة السِّيَراء 277/2، وابن بسّام: الذخَيْرِة ق1 م1 ص622.

(5) ابن سِيدَهْ: شرح مُشْكِل شِعْرِ المتنبي ص144، والبَكْرِيّ: التنبيه ص72 – 73.

(6) السيد: شواهد أبي حيّان ص578.

(7) المرجع السابق ص580.

أشـار علماء الأندلس في مواطن كثيرة إلى قصـائد ومُقَطَّعاتٍ وأبياتٍ تنتمي إلى أكثر من شـاعر، ولكن أعوزتهم الحاجة إلى أدلةِ حَسْـمٍ فطرحوها دون تنبيه أو ترجيح، مثال ذلك ما ذهب إليه ابن السَّـيد البَطَلْيُوسِـيّ في تعقيبه على قول المعرّي: (من السريع)

**أو نسـوةُ الـزِّنْجِ بأيمـانهـا للرَّقْـصِ قُضْـبٌ ذهبيـات**

فقال : "وقد سبقه الشعراء إلى نحوٍ من هذا التشبيه، قال عَبِيدُ بنُ الأبْرَصِ (ت 25ق هـ)، وتُرْوى لأوس بن حَجَرٍ (ت 20ق هـ) ، يصف سحاباً: (من البسيط)

**كـأنَّ أقـرابَـهُ لمّـا عـلا شَـطِـبـا أقرابُ أبْلَقَ ينفي الخَيْـلَ رَمَّـاحِ"** [1]

ومثل هذا النمط في مصنفاتهم كثير. [2]

وقد استند البعض في نسبة البيت المتنازع عليه على **قراءة ذوقية للبيت أو النص تستحضر السمات الفنية للقصيدة لدى الشعراء المتنازعين، والخروج بحكم فني بنسبة هذا البيت أو ذاك إلى شاعر مُحَدَّدٍ، تقترب سمات البيت أو الأبيات من سمات القصيدة لديه،** وتُعَدُّ هذه النظرة الذوقية في حَسْـمِ الخـلاف حـول انتمـاء النـص امتداداً للمعيار النقـدي الذي سبـق لمحمد بن سَلام الجُمحيي (ت 231هـ) اتّباعَهُ للفصل بين نمطين من أنماط شعرنا القديم [3]، وقد تجلّت هذه النظـــرة لدى أبي عُبَيْدٍ البَكْرِيّ [4] وابن السَّيد البَطَلْيُوسِيّ الذي أشار إلى خلاف في النسبة اعترى البيت الآتي: (من الكامل)

**يا جـلُّ مـا بَعُـدَتْ عليـكَ بلادُنا وطلابنا فأبرق بأرضـــك وارعدا** [5]

---

([1]) ابن السَّيد: شرح سِقْطِ الزَّنْد ص839.

([2]) البَكْرِيّ: التنبيه ص78، ومثل ذلك في: محييي الدين بن عربي: محاضـرات الأبرار 180/1، 98/2، وابن الأبّار: الحُلَّةُ السِّيَراء 152/1، 170، 265، 278، 194/2، والمقتضب ص215، وابن سعيد: رايات المبرزين ص57، 81، 128، 129.

([3]) د. شوقي ضيف: العصر الجاهلي ص165.

([4]) البَكْرِيّ: التنبيه ص68.

([5]) ابن السَّيد: الاقتضاب ص380.

إذ نُسِبَ إلى كل من ابن أحمر (ت 65هـ) والمتَلَمّس (ت 43ق هـ) ، ثم رَدَّ هذا البيت إلى موطنه في تضاعيف شعرهما، وراح يرصد مدى اتساقه فنياً وامتزاجه دلالياً مع الأبيات السابقة عليه، والأخرى اللاحقة به، ثم أصدر حكمه قائلاً: "والأشبه بهذا البيت أن يكون للمتلمس؛ لأنه يليق بما قبله وما بعده من الشعر، وأما شعر ابن أحمر فلا مدخل له فيه". [1]

### 3/3- تصويب نسبة النص:

امتدَّتْ جهود الأندلسيين في توثيق النص الشعري لتشمل النصوص الشعرية التي جاءت معزوة لقائل، فأخضعوها للفحص والتثبت، فكانت لهم لمحات ذكية تجسّد فطنتهم وشدّة حرصهم على رواية نَصٍّ شعري لا تشوب نسبتَه شائبةٌ، وقد تعددت وسائلهم، فمنهم من صوَّب نسبة بيت دون استناد إلى دليل مثال ذلك ما قام به ابن عربي (ت 638هـ) من تصحيح نسبة بيت، روي معزواً إلى أُمَيَّةَ بن أبي الصَّلْتِ يقول فيه: (من البسيط)

**تلك المكارم لا قعبان من لَبَنٍ شيبا بماء فعادا بعد أبوالا**

إذ ردّه إلى النابغة الجَعْدِيّ (ت 50ق هـ) [2]. والبيت مدرج في ديوان الجعدي [3]، ولا أثر له في تضاعيف ديوان أُمَيَّةَ.

ومنهم مَنْ شفع نقد النسبة بما يجعله أمراً موثوقاً به، من هذه الأدوات **نقد المضمون** ، فقد ذهب البَكْرِيّ إلى نفي نسبة بعض الأبيات التي رواها القاليّ معزوة لعُرْوَةَ بن الوَرْدِ (ت 30ق هـ) مُتَّهِماً إيّاه بالوهم والغفلة، إذ "كيف يُنْشِدُ لابن الوَرْدِ "لا تشتمني يابن ورد...." ثم شفع كلامه بقوله "وإنما البيت الأوّل... لقيس بن زهير بن جَذِيمَةَ بن رَوَاحة العَبْسِيّ صاحب حرب داحس، يَرُدُّ على عروة، وكان بينهما تنافس..". [4]

---

([1]) المصدر السابق ص380.

([2]) ابن عربي: محاضرات الأبرار 274/1.

([3]) النابغة الجَعْدِيّ: شعره ص112.

([4]) البَكْرِيّ: التنبيه ص112.

وقد يستند البعض في نفي نسبة الشعر إلى قائله على أدلة متعددة مثال ذلك ما رواه أبو عليٍّ القاليّ من أشعار عزاها إلى ابن الطَّثَرِيَّةِ ، (ت 126هـ) يقول منها: (من الطويل)

**عُـــقَـــيْـــلِيَّـــةٌ أمَّا مَلاثُ إزارِها فَدِعْصٌ وأمَا خَصْـرُها فَبَتِيـــــــــلُ**

إذ اعتمد في نفي هذه النسبة على شهادات العلماء، وخُلُوِّ ديوانه الذي ضَمَّ كل روايات أشعاره منه، فقال: "إنما هذا الشـعر للعبّاس بن قَطَنٍ الهلاليّ لا لابن الطثرية. كذلك قال دِعْبِلٌ (ت 246هـــ) وأبو بكر الصُّـوليّ (ت 335هـ)، ولم يقع هذا الشعر في ديوان ابن الطثرية؛ وقد جمعتُ منه كُلَّ رواية: رواية أبي حاتم (ت 252هـ) عن الأصمعي (ت 213هـ)، ورواية الطُّوسِيّ (ت أواسط ق 3هـ) عن ابن الأعْرابيّ (ت 230هـ) وأبي عمروٍ الشيباني (ت 206هـ)". [1]

**4/3– أخطاء في النسبة:**

إنَّ ثمَّـــة أبياتاً أخطأ علماء الأندلس في عزوها لقائلـــيها من هذه الأبيات بيت أورده ابن سِيدَهْ (ت 458هـ) معزواً إلى قَطَرِيّ بن الفُجاءة (ت 78هـ)، يقول فيه: (من الطويل)

**تأخَّرْتُ أســتبقي الحيـاةَ فلم أَجِـدْ لنفســي حياةً دونَ أن أتقدّمـــــا**

بينما جاء ضـمن ثلاثة أبيات أوردها أبو تمام في حماسـته معزوة بلا خلاف للحُصَـيْن بن الحُمام المرّيّ (ت 10ق هـ). [2]

وقد نسب أبو حيّان الأندلسي البيت التالي إلى حسّان بن ثابت (ت 54هـ):

**شَـــهِـدْنا فمـا تلقى لنـا من كتيبـةٍ مـدى الـدَّهْرِ إلا جبرئيـلَ أمـامَهـا**

---

([1]) المصدر السابق ص60، وانظر الصفحات التالية: 37، 44، 55، 57، 67، 71، 72.

([2]) المرزوقي: شرح الحماسة 197/1، والأعلم: شرح الحماسة ص316.

بينما يُرْوى لكعب بن مالك الأنصاري (ت 50هـ) في كل من: لسان العرب (جبر)، والمعَرَّب ص161، وخزانة الأدب، 415/1 والأزمنة والأمكنة 39/1، وديوان كعب ص10. [1]

% % %

(1) السيد: شواهد أبي حيّان ص574 – 575.

## رابعاً: تصويب بُنَى النَّصِّ

**إذا كانت عناية علماء الأندلس بالنص الشعري قد شملت إسناد مَرْوِيّاته، وتصويب ما اعترى أسماء مبدعيه من تصحيف وتحريف وخَلْط، وتحقيق نسبته لقائله، فإن هذه العناية امتدّت إلى تصويب ما اعتراه من أخطاء طالتْه شكلاً ومضموناً ، فكانت لهم لفتاتٌ ذكية تناولت لُغَتَهُ وإيقاعَهُ ومضمونَه.**

### 1/4– البنية اللغوية:

بلغ اهتمام علماء العربية قديماً بلغة الشعر درجة من التشدد أفضت بهم إلى صدامٍ ضارٍ بالشعراء، جَسَّدَتْهُ مقولة الفرزدق (ت 110هـ) لعبدالله بن أبي إسحاق الحَضْرَميّ: "علينا أن نقول، وعليكم أن تحتجُّوا" [1]، وأمام هذا الصدام تباينت مبررات كل طائفة، ففي الوقت الذي رأى فيه علماء اللغة والنُّحاة.. حتمية تحرّك الشعراء في نطاق لغوي شَكَّلَتْهُ قرائح الأعراب الأقحاح وفق قواعد اسْتُقِيَتْ منه، ولا يَحِقُّ الخروج عليها – ذهب الشعراءُ إلى أن ملكة الإبداع لديهم لا ينبغي أن يَحِدَّ من تدفقها عوائقُ لغوية ونحوية وصرفية... يَتَذَرَّعُ بها أناسٌ لا ذائقةَ لهم، ولا وَعْيَ بصَنْعَةِ الشعر يتسلحون به، فقال عمّارٌ الكلبيّ من أبيات يهجو بها النُّحاةَ: (من البسيط)

**ماذا لقينا من المُسْتَعْرِبين ومِن — قياس نَحوِهِمُ هذا الذي ابتدعوا..؟**
**إنْ قلتُ قافيةً بِكْراً يكونُ بها — بيتٌ خلافَ الذي قاسوه أو ذَرعوا**
**قالوا: لَحَنْتَ. وهذا ليسَ مُنتصِباً — وذاكَ خَفْضٌ، وهذا ليسَ يرتفعُ**
**كم بين قومٍ قَد احتالوا لمَنْطِقهم — وبينَ قومٍ على إعْرابِهم طُبِعوا**
**ما كلُّ قوليَ مشروحاً لكم فَخُذُوا — ما تعرفون وما لم تعرفوا فَدَعُوا" [2]**

### 1/أ– ازدواجية اللغة:

وتجد هذه العناية في الأندلس تربة خصبة لاحتضانها، فتتجلّى في عدة مظاهر، من بينها عزوف مؤرخي الأندلس عن الاحتفاء بالموشَّح باعتباره تمرّداً على عنصري نقاء اللغة ووحدة الإيقاع كمّاً وقافية، فجاءت مؤلفاتهم عُطْلاً من نصوصه، إذ لم يُشِرْ الفتح بن خاقان (ت 529هـ) إلى شيء من أصوله في "قلائد العقيان"، وترفَّع عبد

(1)الجمحيي: طبقات فحول الشعراء ص16.

(2) د. عتيق: تاريخ النقد الأدبي عند العرب ص187.

الواحد المرَّاكِشِيّ (ت 647هـ) عن إيراد شيء من نصوصه، خضوعاً لتقليد شاع في زمانه، إذ قال في تضاعيف ترجمته للوشّاح الأندلسي الكبير أبي بكر بن زُهْرٍ: "ولولا أنَّ العادة لم تَجْرِ بإيراد الموشحات في الكتب المجَلَّدةِ المخلَّدة، لأوردتُ له بعض ما بقي على خاطري من ذلك" [1]. أما ابن بَسّام الشنتريني فقد عزف عن إيراد نصوص منه، وإن عُني بدراسته مضموناً وأساليبَ بناءٍ ومراحِلَ تطور [2]، وفي أخريات القرن السابع الهجري يلقى الموشَّح قبول ابن سعيد الأندلسي (ت 685هـ) فيحتفي بنماذجه وأعلامه التي يحتشد بها كتابه "المغرب". [3]

**1/ب- اللَّحْن:**

ومن مظاهر عنايتهم بتوثيق النص الشعري أيضاً تعقُّب ما اعتراه من تصحيف وتحريف ولحن، ولهم في هذا المضمار مواقف لا تُنْكَرُ، وآراء تُذْكَرُ، فقد كانوا يعيبون اللَّحْنَ، ويعدّونه "من أقبح الأشياء" [4]، فمحمد بن محمد بن ميمون الخزرجيّ كان يُشارِكُ في العربية "والشعر النازل عن الدرجة الوسطى، لا يخلو بعضُه من لَحْنٍ" [5]، وقراءة قصيدة أبي زَيْدٍ عبد الرحمن بن محمد بن بلال الأشعري التي يقول منها: (من بحر)

تستثير الضحكَ سخريةً "من لحنها وفسادها الخارج عن الحَدِّ". [6]

وقد تعقّبَ أبو بكر بن العربي (ت 543هـ) صاحب الرواية الأندلسية الخالصة لأدب المعرّي – ابن السَّيد البَطَلْيُوسِيّ في شرحه ديوان سِقْطِ الزَّنْدِ وما اختار من لزومِيّات، مما حدا بابن السَّيد إلى تأليف رسالة صغيرة وسمها بـ "الانتصار ممَّن عدل عن الاستبصار" فَنَّدَ خلالها مآخذ ابن العربي رادّاً أكثرها إلى تصحيف وتحريف ارتكبهما ناسخ نسخته من الديوان – أي شرح السِّقْطِ – مما أصاب كلامَه بكسر في الوزن وتَغَيُّرٍ اعترى وجه الكلام. [7]

---

(1) عبد الواحد المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب ص146.

(2) ابن بسّام: الذخَيْرِة ق1 م2 ص325 – 336 (ترجمة أبي بكر عبادة بن ماء السماء).

(3) ابن سعيد: المُغْرِب في حَلْي المغرب 19/2، وثمة مواطن أخرى.

(4) ابن الأحمر: نثير الجُمانِ ص51.

(5) ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة 194/3، نقلاً عن أبي البركات بن الحاج البلفيقي في كتابه (المؤتمن).

(6) ابن الأحمر: نثير الجُمانِ ص436.

(7) ابن السَّيد: الانتصار ممن عدل عن الاستبصار ص2.

ويُعَدُّ أبو عُبَيْدٍ البَكْرِيّ وابن السَّـيد البَطَلْيُوسِـيّ أكثر علماء الأندلس عناية بتَعقُّبِ ما اعترى لغة الشـعر المشرقي من لحن، مثال ذلك رفض البَكْرِيّ رواية القاليّ لقول الشاعر: (من الطويل)

**إذا أنـــــتَ لم تتركْ طعاماً تُحِبُّـــــهُ ولا مَقْعَداً تُدْعَى إليـــــه الولائـــــدُ**

**تجلَّلْـــــتَ عاراً لا يـــــزالُ يَشُـــبُّهُ شـبابُ الرجال نَقْرُهُمْ والقصـائـــــدُ**

مستنداً على رفض صاعد بن الحسن لها، وعَدِّها تصحيفاً، واستبدالها بأخرى (سِباب بدلاً من شباب)، ثم طرح تأويل أنصار الروايتين للمعنى، لينتصر خَيْرٍاً لرواية صاعِد، لأنها "روايةٌ.. حسنةٌ جليلة، وعن.. التكلُّفِ غَنِيَّةٌ". [1]

ومن اللحن الذي طال جانب النحو ما رواه القاليّ من شعر لأبي الأسود يقول منه: (من الطويل)

**وإنَّ امـرأً لا يُـرْتَجَـى الخَـيْرِ عِـنْـدَهُ يَكُنْ هَيِّناً ثِقْلاً على مَنْ يُصـــاحِبُ**

إذ انبرى البَكْرِيّ لتخطئته، قائلاً: "هذا سَـهْوٌ من أبي عليٍّ – رحمه الله – لم يَشْـعُرْهُ ؛ لانجزام قوله: "يَكُنْ هَيِّناً" من غير جازم، وصحة إنشاده:

**وأيّ امرئٍ ..... يَكُنْ هَيِّناً ....."** [2]

## 1/ج– غريب اللغة:

كما امتدت عنايتهم بتوثيق لغة النص الشـعري لتشـمل التنبيه على غريب اللغة، ونادرها، وما تسـرَّب في تضاعيفها من ألفاظ مُعَرَّبةٍ وأخرى تنتمي إلى لغات القبائل.

---

([1]) البَكْرِيّ: التنبيه ص56.

([2]) المصدر السابق ص111، 101. وابن السَّيد: الاقتضاب 443/1.

وقد تعقّب الأعلم الشنتمري في شرح حماسة أبي تمّام المفردات المعربة عن الفارسية، والألفاظ التي تعود إلى لغات القبائل [1] فمن المفردات المعرّبة "اليارَقُ" وتعني "السِّوار، وهو فارسيٌّ مُعَرَّب، وأصله يارَهْ، فَعُرِّب"، وقد ورد ذكره في قول شُبْرُمَةَ بن الطُّفَيْل: (من الطويل)

**لعمري لَرِئْمٌ عندَ بابِ ابن مُحْرِزٍ أغَـــرُّ عليه اليارَقانِ مَشُــوفُ**

**أحَـبُّ إلينـا من بيوتٍ عِمـادُهـا ســيوفٌ وأرماحٌ لهُنَّ حَفِيـــفُ** [2]

ومثل هذا في تضاعيف شرحه كثير. [3]

كما تعقّب الشنتمري أيضاً المواطن التي تسربت فيها لغات القبائل إلى أشعار الحماسة، فرصد تواجداً للغات كل من تَميم وهُذَيْل وطيَيءٍ، وإن احتلت طيىء مكانة متميزة، إذ رصـــد لقبيلة تميم موطناً واحداً ولهُذَيْل موطنين، أما طيَيٍّءُ فقد رصد لها ثمانية مواطن فـ "ذو" في قول عارِف الطائي: (من الطويل)

**لَئِنْ لم تُغَيِّرْ بعضَ مـا قـد صـــنعتُمُ لأنْـتَـحِـيَنَّ العَـظْـمَ ذو أنا عـارِقُـهْ**

"بمعنى الذي، وهي لغة طيّء". [4]

وتطرقوا كذلك إلى المفردات النادرة الشـيوع، فابن السَّـيد البَطَلْيُوسِـيّ في تعليقه على قول المعرّي: (من الوافر)

**تَصَـيَّدُ سَـفْرَها فـــي كُلِّ وَجْـــهٍ وغاية مَنْ تصَـــيَّدَ أن يُصـــــادا**

---

([1]) الأعلم: شرح حماسة أبي تمّام ص1324، وبها ثبت بالمواطن.

([2]) المصدر السابق ص413.

([3]) المصدر السابق ص1324، وبها ثبت بالمواطن.

([4]) المصدر السابق ص110.

ذهب إلى أن للبيت رواية أخرى، وهي: "تَصَيَّدَ أن يَصادا" بفتح التاء والصاد والياء من الفعل الأول، وفتح الياء من الفعل الثاني، وهو من قولهم: صَادَ يَصادُ، لغة من صادَ يَصِيدُ، وهي لغة نادرة". [1]

وقد أشار الشنتمري في شرح حماسة أبي تمّام إلى بعض المفردات التي جُمِعَتْ على صيغ نادرة الورود، مثال ذلك لفظة "الكَيْسَى" التي وردت جمع (كَيِّس) في قول عَقِيلُ ابن عُلَّفَة المرّي: (من الطويل)

**وكُنْ أكْيَسَ الكَيْسَى إذا ما لقيتَهُمْ وإنْ كُنْتَ في الحْمقى فكُنْ أنت أحمقا**

إذ علّق على هذا البيت قائلاً: "والكَيْسى جمع كَيِّسٍ وهو نادر". [2]

كما نبهوا على مَيْلِ بعض الشعراء إلى استخدام مفردات حُوشِيَّةٍ وغريبة، من مثل عبد الواحد ابن سليمان الغرناطيّ [3]، وأحمد بن محمد القيسي [4] وأبي الوليد بن هاني الغرناطيّ. [5]

**1/ د– السياق:**

وقد تنبَّه علماء الأندلس إلى ضرورة أن تأتي أساليب الشعراء مُتَّسِقَةً لا خللَ ينتابُها؛ فيسحب بظلاله على المعنى، كالفصل بين متلازمين [6] أو الإخبار عن النكرة بالمعرفة [7]، والحَذْفِ المُفْضِي إلى الغموض [8]، والتقديم والتخَيْرٍ، فمن سيّء التقديم والتخَيْرٍ قول القُلاخُ بن حَزْنٍ المِنْقَرِيّ: (من الطويل)

**فما من فَتىً كُنَّا من الناسِ واحداً به نبتغي منهم عَميداً نُبادِلُهْ**

**ليومِ حِفاظٍ أو لدفعِ كريهةٍ إذا عَيَّ بالحِمْلِ المُفَصَّلِ حامِلُهْ**

---

([1]) ابن السَّيد: شروح سِقْطِ الزَّنْدِ ص801.

([2]) الأعلم: شرح الحماسة ص724.

([3]) ابن الزبير: صلة الصلة ص25.

([4])القاضي المكناسي: دُرَّةُ الحِجال في أسماء الرجال 132/2، نقلاً عن كتاب (مَزِيَّة المرية).

([5]) ابن الخطيب: ريحانة الكُتّاب 395/2.

([6]) ابن سِيدَهْ: شرح مُشْكِلِ شِعْرِ المتنبي ص300.

([7]) الأعلم: شرح الحماسة ص890.

([8]) المصدر السابق ص738. وابن السَّيد: الاقتضاب ص385.

فقد علّق الأعلم الشنتمري على البيت الأوّل قائلاً: "هذا البيت رديءُ النَّظْمِ، مَبْنِيٌّ على التقديم والتخَيْرِ... ونظيرُه في سوءِ النَّظْمِ وتعميةِ المعنى بيتٌ أنشده ابن الأعرابي، وهو: (من الطويل)

**لها مُقْلتا حوراءَ طُــــــلَّ خَميلــــــةٍ من الوَحْشِ ما تَنْفَكُّ ترعى عَرارَها"** [1]

**1/هـ- تعدُّد الروايات:**

استدعت عنايتهم بتوثيق لغة النص واتساق أساليبه تحرّي الدقة في تعقب رواياته المتعددة — والمتباينة أيضاً — ونقدها، وقد كان لتعدد مصادر رواية الشعر المشرقي لدى الأندلسيين، وتسامحهم في قبول كل ما يحمل سمة مشرقية كبيرُ أثرٍ في إقبالهم على الجمع والمزج بين الروايات المشرقية للآثار الشعرية دون تَعَصُّبٍ لمدرسة أو انحيازٍ لفريق دون فريق، فاجتمعت لأبي عبيد البَكْرِيّ عدّة روايات لديوان يزيد بن الطثرية، الذي جمع "منه كُلّ رواية: رواية أبي حاتم عن الأصمعي، ورواية الطُّوسِيّ عن ابن الأعرابيّ وأبي عمرو الشيباني" [2]. وأقدم الأعلم الشنتمري على الجمع بين رواية الأصمعي لشعر زهير بن سلمى وما زِيدَ من مَروِيّاتِ رُواةٍ آخرين، فأتمَّها بما عثر عليه من زياداتٍ لدى أبي عُبَيْدة [3]، وتوفرت لدى ابن السَّيد البَطَلْيُوسِيّ نسخ متعددة من ديوان سِقْطِ الزَّنْدِ لأبي العلاء المعرّي أثْرَتْ شرحَهُ بروايات متعددة. [4]

وقد تعددت وسائلهم في رصد الروايات المتعددة، إذ توزَّعَت بين الرصد العاري من الشرح والترجيح والنقد [5]، والرَّصْدِ

[1] الأعلم: شرح الحماسة ص556 – 557.

[2] البَكْرِيّ: التنبيه ص60.

[3] الأعلم: شرح شعر زهير بن أبي سُلْمى ص85.

[4] ابن السَّيد: شروح سِقْطِ الزَّنْدِ ص696، 712، 721... إلخ.

[5] البَكْرِيّ: التنبيه ص55، وابن سِيدَهْ: شرح مُشْكِلِ شِعْرِ المتنبي ص29، وابن السَّيد: شرح سِقْطِ الزَّنْدِ ص476، 560، 640، 696، 705، 718.

مصـحوباً بتوجيه المعنى [1] والترجيح [2]، ونقد الرواية، معتمدين في نقدهم على آراء سـابقيهم من علماء المشـرق [3]، أو متكئين على قرائن تاريخية [4] وأخرى أسلوبية. [5]

ففي معرض نقد البَكْرِيّ ما أنشده القاليّ معزوّاً إلى العَجّاج من رجز يقول منه:

**يَقْتَسِرُ الأقوامَ بالتَّغَمُّمِ**

اتكأ على رواية ثلاثة من الرواة المشارقة، فقال: "هكذا رُوِي عنه بالتغمم بالغين ولم يُخْتَلفْ في ذلك عنه، وهو وَهْمٌ، وإنما هو بالتقمم بالقاف، أي بالركوب والاعتلاء، كذلك رواه أبو حاتم وعبد الرحمن عن الأصمعي – رحمهم الله – وفسّروه بما ذكرته، وهو الذي لا يَصِحُّ سواه". [6]

وقد يسـتندون في نقد الرواية وطرح رواية بديلة على قرائن دلالية وذوقية، مثال ذلك ما قام البَكْرِيّ به في معرض نقد رواية القاليّ لبيت للبعيث يقول فيه: (من الطويل)

**على حينَ ضَـمَّ الليلُ من كل جانبٍ جَناحَيْهِ وانصَـبَّ النجومُ الخواضِـعُ**

لأنه "لا يسـتقيم أن يكون (.. وانصـبَّ النجوم الخواضِـعُ)، لأن الخواضـع هي المنْصَّبةُ، فكيف يسـتقيم أن يقول: وانْصَـبَّ النجمُ المنْصَـبُّ.. وإنما يريدُ الشـاعر أن الليل قد أدْبَرَ، وانْقَضَّ للغروبِ ما كان طالعاً من أوله... وأيضـاً فإن الذي يلي هذا البيت من القصيدة قوله:

**بكى صـاحبي من حاجةٍ عَرَضَـتْ له وهُنَّ بأعلى ذي سُـدَيْـرٍ خواضِـعُ**

---

(1) الأعلم: شرح الحماسة ص358، 360، وابن السَّيد: شرح سِقْطِ الزَّنْدِ ص770.

(2) الأعلم: شرح الحماسة ص368، 800.

(3) البَكْرِيّ: التنبيه ص64، 91.

(4) المصدر السابق ص38، 54.

(5) المصدر السابق ص45، 59، 71، 79.

(6) المصدر السابق ص64.

فلو كان الذي قبله كما أنشده أبو عليٍّ – رحمه الله – لكان هذا من الإيطاء". [1]

(1) المصدر السابق ص59 – 60.

## 2/4- الإيقاع:

كان للأندلسيين دورٌ ملموس في دراسة موسيقى الشعر تأليفاً ونقداً وتصحيحاً ، تجلّى في عدد من المؤلفات العروضية [1] والنظرات النقدية التي تناولت النص الشعري المشرقي والأندلسي أيضاً تناولاً يعكس ثقافة عروضية واسعة يتسلحون بها، ووعياً شديداً بقيمة اتساق الإيقاع في إفراز المعنى وجلائه يحدوهم [2]، فكثيراً ما أشاروا إلى مَنْ لم يُحْسِنْ إحْكامَ الوزنِ وضبطه من الشعراء، فأبو عبدالله بن رشيد "كان له شعرٌ يتكلَّفُه، ولا يكاد لعدم شعوره بالوزن يتألَّفُهُ.." [3]، وقد كان الوادي آشي ينتقدُ سراجَ الدين عمر بن أحمد بن الخضر بن ظافر الأنصاري (ت 627هـ)، لأنّه لا يُحْسِنُ إحْكامَ وَزْنِ الشعر، ولا يُمَيِّزُ بين بحوره؛ فتراه يخلط في القصيدة الواحدة بين البحرين، فقال: "ومن شعره يمدح (التنبيه) ما أنشدنيه: (من الطويل)

**وما سُمِّيَ التنبيهُ إلا لأنّه يُنَبِّهُ عن كل الحوادثِ لِلْفَهْمِ**

وأنشدني غَيْرَ هذا، مع أنه لا يُحْسِنُ وزن الشعر... ورأينه يستعمله في القصيدة الواحدة من بَحْرَيْن، ولا يُمَيِّزُ بين ذلك كالطويل والبسيط وغيرهما، وقَيَّدْتُ ذلك عنه، ولم يمكنني تنبيهه على ذلك لزعارة في خُلُقِه": [4]، ويبدو أن تَسَرُّبَ الخطأ إلى عروض الشعر أضحى شائعاً في أشعار متأخري شعراء الأندلس، إذ أشار ابن الأبّار في معرض نقده أبياتاً لأبي الإصبع عيسى بن محمد العبدري جاءت مختلة الإيقاع، فقال: "أفسد في صدر البيت الثاني والثالث من حيث الوزن، **وقد وقع فيه جمهورُ الشعراء**". [5]

ومن هذا المنظور راحوا يتعقبون الأشعار المشرقية والأندلسية، مظهرين ما اعتراها من أخطاء طالت الوزن، من ذلك ما أنشده أبو عليٍّ القاليّ لرؤبة بن العجاج (ت 145هـ) من رَجَزٍ يقول فيه:

---

(1) د. مقداد رحيم: اتجاهات نقد الشعر في الأندلس ص160.

(2) ابن الأحمر: نثير الجُمان ص52.

(3) ابن الخطيب: رَيْحَانَةُ الكُتَّابِ 404/2.

(4) الوادي آشي: فهرسة الوادي آشي ص44 – 45. أما كتاب "التنبيه" المشار إليه فهو كتاب في الفقه على المذهب الشافعي للشيخ إبراهيم بن علي الشيرازي (ت 476هـ)، وهو أحد الكتب الخمسة المشهورة المتداولة بين الشافعية.

(5) ابن الأبّار: المقتضب من كتاب تحفة القادم ص118.

**وطـامـحِ الـنَّـخْـوَةِ مُسْـــتَـكَـتِّ  طأطأ من شـــيطانه التَّعَـــــتِّـــــي**

إذ قام أبو عُبَيْدٍ البَكْرِيّ بتخطئة هذه الرواية مقترحاً رواية بديلة تُزيلُ ما علق بالشـــطر الثاني من اختلال فقال: "هكذا أنشده،ولا يستقيم ذلك ولا يَصِحُّ، وإنما صِحَّةُ إنشاده

**طـــــأطـــــأ مـــــن شـــــيـــــطـــــانـــــه المُـــــعَـــــتّي".** [1]

وقد نَبَّهَ الأعلم الشنتمري على ما اعترى بعض أبيات حماسة أبي تمام من خلل عروضي [2]، إذ علّق على بيت لامرأة من بني مخزوم، تقول فيه: (من السريع)

**إنْ تســـألي فـالمَجْـدُ غَيْرُ البـديعِ  قـد حَلَّ في تَـــــيْـــــمٍ وفي مَخْزُومِ**

قائلاً: "والبيت خارِجٌ من الوزن لتحريك العين في "البديع" " وراح يُقَلِّبُ الوجوه الإيقاعية المتنوعة؛ فقال: "فإن وُقِفَ عليه وسُكِّنَ ، وجُعِلَ كالبيت المصَرَّعِ مما قافيتُه مَبْنِيَّةٌ على الوَقْفِ قام وَزْنُه، والبيت غير مَبْنِيٍّ على ذلك، فمثل هذا لا ينبغي أن يجوز". [3]

وقد نَبَّهَ العلماءُ الأندلسيون أيضاً على ما أصاب القافية من عيوبٍ، وراحوا يزيلون هذه العيوب متكئين على وسـائل متعددة، من بينها ردُّ الأبيات المفردة إلى قصـائدها التي تنتمي إليها، وتجلّى هذا الموقف فيما قام به البَكْرِيّ أمام رواية القاليّ لبيت الأُبَيْرِد اليربوعيّ الذي يقول فيه: (من الطويل)

**فتىً لا يَعُدُّ الرِّسْـلَ يقضـــــي مَذَمّةً  إذا نزلَ الأضيافُ أو يَنْحَرُ الجُزْرا**

فقال: "هذا سَهْوٌ منه، وإنما هو: أو تُنْحَرُ الجُزْرُ" مستنداً موقفه هذا على أن قافية أبيات القصيدة التي ينتمي إليها البيتُ السابق مرفوعة؛ وقبله:

---

([1]) البَكْرِيّ: التنبيه ص35، وثمة مواطن أخرى ص90، 109، 112. انظر: العبدري، الرحلة المغربية ص17.

([2]) الأعلم: شرح الحماسة ص519، 704، 941.

([3]) المصدر السابق ص941.

**فتىً إنْ هو اســـتغنى تَخَرَّقَ في الغِنى وإنْ قَـلَّ مـالاً لم يُؤَدْ مَتْنَـهُ الفَقْرُ"** [1]

وقد استندوا أيضاً على توجيه المعنى توجيهاً يُدَعِّمُ تغيير القافية تغييراً يزيل ما اعتراها من عيب، مثال ذلك ما أجراه البَكْرِيّ من تغيير لرواية بيت للبعيث يقول فيه: (من الطويل)

**على حينِ ضَمَّ الليلُ من كُلِّ جانبٍ جناحَيْهِ وانصَبَّ النجومُ الخواضِعُ**

إذ رواه بصورة مغايرة، فأعاد للمعنى اتساقه، وأزال ما علق بالقافية من عيب (الإيطاء). [2]

وقــد أشاروا أيضاً إلى ما أصاب القافية من عيوب تجسَّدت في السِّناد [3] والإيطاء [4]... وقد زادوا فيها زيادات لا عهدَ لعروضِيِّ المشرق بها، من هذه العيوب عَيْبٌ أطلق أبو البقاء الرُّنْديّ (ت 684هـ) عليه مصطلح "الاستدعاء"، ويتمثل في اختلاف القافية، فتكون فَضْلةً لا معنى لها، واستشهد ببيت أبي الطيب المتنبي الذي يقول فيه: (من الطويل)

**ولو كنتُ أدْري كم حياتي قســمتها وصــيَّرتُ ثُلْثَيْها حياتك فاعلم** [5]

أما المصــطلح الثاني فهو (التجميع)، وقد أورده ابن الأحمر في معرض نقده أبياتاً لابن الفخار (ت 666هـ)، يقول منها: (من الخفيف)

**شــهرة المشــرفي فوق المنــار عِــزَّةٌ للورى ودين النبــيّ**

---

([1]) البَكْرِيّ: التنبيه ص65 – 66.

([2]) المصدر السابق ص59 – 60.

([3]) الأعلم: شرح الحماسة ص346، 377.

([4]) ابن السَّيد: شرح سِقْطِ الزَّنْدِ ص1290.

([5]) أبو البقاء الرُّنْدِيّ: الوافي في نظم القوافي ق18ب.

إذ قال: "... إن قوله: فوق المنار، فيه عَيْبٌ.. يُسَـــمَّى التجميع؛ لأن ســـامعه أولاً يُقَدِّرُ قافية البيت مثل قافية المِصْراع، فيجدها على خلافه". [1]

كما كان لانقيادهم لســـلطان الوزن و القافية أثر كبير فيما وقعوا فيه من عيوب، إذ ألجأتهم القافية إلى الزيادة في حروفها، أو استخدام مفردات غير متلازمة [2]؛ مثال ذلك ما رصده ابن الأبّار من انقياد إلى القافية دفع الأمير عبدالله بن محمد إلى ضرب من الإيهام، عندما قال: (من الطويل)

**موالي قريش من قريش فقدّموا موالي قريش لا موالي معتب**

إذ "حوّل اسم مغيث إلى معتب إغماضاً وانقياداً للقافية". [3]

كما ألجأهم الحـــرصُ على اتساق إيقاع البيت إلى زيادة ألفاظ لا يحتاجـــها معناه، وقد رصد الأعلم الشنتمـــري نماذج شعرية لكل من أبي داؤد الإيادي (ت 79ق هـــ) [4] وزهير بن أبي سُلْمى (ت 23ق هـــ) [5]والمتنبي (ت 354هـــ) وآخرين أصابها الحَشْو، ففي تضاعيف تعليقه على قول المتنبي: (من الكامل)

**بِنتُـــمْ عن العينِ القريحة فيكمُ وســكنتم وطنَ الفـــؤاد الوالِهِ** [6]

قال: "إلا أن صَـنْعَةَ البيت وحِفْظَ إعراب القافية سـبب ذِكْر الوَطنِ". [7]ومن مثل ذلك أيضـاً قول أبي العلاء المعرّي: (من الطويل)

---

([1]) ابن الأحمر: نثير الجمان ص461.

([2]) الأعلم: شرح الحماسة ص157، 349، 410.

([3]) ابن الأبّار: الحلة السّيراء 121/1.

([4]) ابن السَّيد: الاقتضاب ص333.

([5]) الأعلم: شرح شعر زهير بن أبي سُلمى ص62.

([6]) المتنبي: شرح ديوانه للواحدي ص416.

([7]) الأعلم: شرح شعر زهير ص236 وابن سِيدَهْ: شرح مُشْكِل شِعْرِ المتنبي ص203.

**ومن يَعْفُ عن ذَنْبٍ وَيسْنُحْ بنائل فخالقُنا أعفى وراحتُه أســـْـــــخى**

إذ "اضطره الشعر إلى أن يضع (الرَّاحة) موضع (اليد)، ولا يجوز أن يقال: إن لله راحةً، وإن كانت بمعنى اليَدِ؛ لأن الشرع قد منع أن يوصف إلا بما وصف به نفسه". [1]

**3/4– المضمون:**

**عُني الأندلسيون بمضمون النص الشعري عناية فائقة تجلّت في مظاهر متعددة، يأتي في مقدمتها إزالة ما اعتراه من غموض، وإظهار ما اتســم به من أصــالة أو امتداد أو تكرار، ورصــد روافده التي ٱنتُزِعَ منها، وتَعَقُّبِ قائله أو شارحه بالنقد والتجريح.**

(1) ابن السَّيد: شرح المختار من لزوميات أبي العلاء ص134.

**3/ أ– الشرح:**

يُعَدُّ شـرحُ النصِّ الشـعري الخطوةَ الأولى على درب اسـتكناه مضـمونه؛ لذا راح الأندلسـيون يعنون بهذا الجانب، فشرحوا عدداً من النصوص الشعرية المشرقية شروحاً تباينت غاياتها، واختلفت وسائلها [1]، فإذا كان ابنُ الإفليلي قد عُنِي في شـرحه ديوان المتنبي بالمضـمون عناية دفعته إلى الاصـطدام المباشـر بالنصِّ دون تَوَسُّـلٍ بشـرح مفردات، أو ترجمة أعلام، أو تحديد مواطن، أو رصـــد ما يشـــبه المعنى لدى الشـــاعر أو غيره، فإن ابن السَّـــيد البَطَلْيُوسِيّ في شرحه ديوانَ سِقْطِ الزَّنْد لأبي العلاء المعرّي شُغِلَ بهذه الجوانب شُغْلاً استنفد جُلَّ طاقاته، حتى إذا بلغ شرح البيت أو الأبيات اقتضب القول. [2]

وإذا كان ابنُ الإفليليّ وابن السَّيد البَطَلْيُوسِيّ قد شُغِلا بنَصِّ الشاعر تامّاً، فإن ابن سِيدَهْ صَبَّ اهتمامه على ما اعترى جانباً من شعر المتنبي من غموض، فسلّط الضوء على أبيات المعاني [3]، وجاء اعتماده على شرح المفردات وغيرها من وسائل إيضاح ضيقاً جدّاً، ومنهم من عُنِي بشرح شواهد بعض الكتب المشرقية. [4]

**2/ب– أصالة المعنى:**

عُنِي الأندلسيون ببيان قيمة ما انطوى النص الشعري عليه من معانٍ، ويُعَدُّ ابن السَّيد البَطَلْيُوسِيّ في نقده للنص المشـرقي نسـيجَ وحده؛ إذ عُني في شـرحه ديوانَ سِـقْطِ الزَّنْدِ ببيان قيمة "معنى المعرّي بالقياس إلى مَنْ سـبقه إليه، أو إلى بعضه، وعُني ببيان تحديد المعرّي... ودرجة تحديده... ونَبَّهَ على معانيه المبتكرة التي لا يحفظُ لغيره فيها

---

([1]) د. الداية: تاريخ النقد الأدبي في الأندلس ص69 – 230.

([2]) ميدان: تأثير أبي العلاء المعرّي في الأدب الأندلسي ص9 – 11.

([3])أبيات المعاني هي الأبيات التي يُوهِمُ ظاهرها خلاف باطنها، فإذا أُجيد تأملها عُرِفَ مقصـــود قائلها، وظهرت لها معانٍ صحيحة، انظر: قلقيلة: أبيات المعاني في شعر المتنبي ص11.

([4]) ميدان: تأثير أبي العلاء ص9.

شيئاً، وهي شيء كثير.." [1] كما أنّه تعقَّبَ أثر أبي تمام والمتنبي على شعره، راصداً في كل مرّة درجَةَ الأَخْذِ وسُبُلَهُ: إلماماً ونظراً، أو عكْساً، أو انتزاعاً وإعادة تشكيل، أو بسطاً... إلخ. [2]

ومن المواطن التي أعجب البَطَلْيُوسِيّ بها قول المعرّي: (من الطويل)

**كـأنَّ تُرابَ الأرضِ لم يَرْضَ عِزَّهـا فأصْـعَدَ يبغي في السـماءِ جُواراً**

إذ علّق عليه بقوله: "هذا معنى مليح في ارتفاع الغُبار، ولا أحفظُ له نظيراً فيما رأيتُه من أشـعار" [3]، ومثل ذلك قوله في موطن آخر: "هذا معنى لا أحفظه لغيره". [4]

ولم يقف البَطَلْيُوسِـيّ عند رصـد أبكار معانيه بل تطرق إلى المعاني المتداولة، راصـداً درجة إجادته في صياغتها أو تطويرها، فكانت له إضافات بديعة، تجلّى هذا الملمح في شرحه لقول المعرّي: (من البسيط)

**والنَّفْسُ تحيـا بإعطـاء الهواء لهـا منـه بمقـدار مـا أعْطَتْـهُ من نَفَسِ**

إذ قال: "هذا تمثيلٌ مليح لا أحفظه لغيره... وقد ورد في الشـعر القديم والحديث نَحْوٌ من هذا الغرض، ولكن أبا العلاء زاد فيه زيادة مليحة بتمثيل ذلك بالنَّفَسِ" [5]، ومن مثل ذلك قوله في موطـن ثان: "وقد ذكر الشعراء نحو هذا المعنى، ولكنهم لم يبلغوا هذا المبلغ ". [6]

وقد امتدّت عناية البَطَلْيُوسِـيّ بتعَقُّبِ المعنى لدى المعرّى لترصـد ما تكرر لديه من معانٍ، ففي معرض شرحه لقول المعرّي: (من البسيط)

---

([1]) الداية: تاريخ النقد الأدبي ص187.

([2]) ابن السَّيد: شرح سِقْطِ الزَّنْد، الصفحات 45، 68، 69، 160، 186، 187، 243...

([3]) المصدر السابق ص636.

([4]) المصدر السابق ص897.

([5]) المصدر السابق 695.

([6]) المصدر السابق ص811.

**ومَنْهَـلٍ تَرِدُ الجوزاءُ غَمْرَتَـــــهُ إذا السِّماكانِ شَطْرَ المَغْرِبِ اعترضا**

قال: "وقد أُولع بهذا المعنى فكرره في مواضع من شعره؛ كقوله: (من الطويل)

**تَبِيـتُ النَجومُ الزُّهْرُ في حَجَراتِـهِ شـوارِعَ مـــثـــلَ اللؤْلؤِ المُتَبَـــدِّدِ**

وقوله في موضع آخر: (من الوافر)

**بـهِ غَـرْقَـى الـنـجـوم فـبَـيْنَ طـافٍ وراسٍ يَسْـــــتَسِـرُّ ويُسْـتَبانُ"** [1]

ومثل هذا في شرح البَطَلْيُوسِيّ كثير. [2]

وقد تنبه ابن سِيدَهْ إلى أن تكرار المعنى قد يعتري القصيدة، فَيُكَرَّرُ في مواطن مختلفة منها، مثال ذلك قوله: "وقد اطَّرَد هذا المعنى في غير هذا الموضع من هذا الشعر". [3]

وإذا كان ابن السَّيد البَطَلْيُوسِيّ يُجَسِّدُ الموقف الأندلسي أمام النص الشعري المشرقي فإن ابن بسّام صَبَّ اهتمامه على رصد ما للشعر المشرقي من أثر كبير في نظيره الأندلسي، إذ راح يرصد جذور معاني الأندلسيين في البيئة الشعرية المشرقية محدّداً درجة الأخذ وسُبُلَهُ، وقد تناول الباحث هذا الجانب في بحث له بعنوان: "تأثير أبي العلاء المعرّي في الأدب الأندلسي"؛ إذ تجلّى تأثر الشعراء الأندلسيين بشعره مضموناً ووسائل تعبيرٍ وظواهرَ فنيةٍ، وتأرجحت وسائل الأخذ بين الإلمام والنظر،والعكس... [4]، فمن عكس المعنى قول أبي بكر بن بقّي (ت 545هـ): (من البسيط)

---

([1]) المصدر السابق ص660.

([2]) المصدر السابق الصفحات: 493، 496، 501، 529، 547، 571، 580، 633، 648... إلخ، وانظر أيضاً ابن سِيدَهْ: شرح مُشْكِل شِعْرِ المتنبي الصفحات: 37، 38، 41، 44، 47، 51، 53، 98، 184، 206، 26، 281، 285... إلخ.

([3]) ابن سِيدَهْ: شرح مُشْكِل شِعْرِ المتنبي ص71.

([4]) ميدان: تأثير أبي العلاء ص39 – 43.

**والنجم مُنْهَزِمٌ أولى كتائبه والصُّبْحُ يَغْسِلُ ثَوْبَ الليلِ من دَرَنِ**

وهو يُشْبِهُ قول أحد معاصريه: (من البسيط)

**شَهْمٌ له نَظْرَةٌ في كل مُشْكِلَةٍ يكادُ يَغْسِلُ ما في الطِّينِ من دَرَنِ**

ثم يُعَلِّقُ ابن بسام قائلاً: "وكلاهما اقتنص المعنى من قول المعرّي وقام بعكسه: (من المتقارب)

**فإنْ كانَ يكتبُهُ كاتِبٌ فَقَد سَوَّد الصُّبْحَ مما كتبْ** [1]

وكثيراً ما نَصُّ ابن بسام على أن للشعراء الأندلسيين إضافات باهرة على المعنى، مثال ذلك تعقيبه على بَيْتٍ لأبي بكر محمد بن عيسى الدّاني الملَقَّبِ بابن اللبّانةِ (ت 507هـ) من قصيدة قالها عندما ورد حضرة إشبيلية وتعذّر عليه رؤية المعتمد بن عبّاد (ت 448هـ)، يقول فيه: (من الكامل)

**قد رِشْتَني سَهْماً فَرِشْني طائراً وكما نفذتُ فإنني أتَرَنَّمُ**

بقوله: "وقوله الخَيْرٍ معنى مشهورٌ موضعه، باهِرٌ مطلعه فأخذه أبو بكر فنقله نقلاً مليحاً، وزاد فيه إحساناً صريحاً، والذي نَبَّهَهُ عليه قول المعرّي: (من الطويل)

**وحالاً كريش النَّسْرِ بَيْنا رأيته جناحاً لشَهْمٍ آضَ ريشاً على سَهْمِ** [2]

**3/ج- نقد المعنى:**

كما كان لوقوف الأندلسيين أمام المعنى كبير أثر في توثيقه وإثرائه أيضاً، وكثيراً ما تعقبوا سقطات الشعراء وهنات العلماء أيضاً الذين سبقوا إلى الوقوف أمامه، على أنني أسارع فأقرر أن حرص الأندلسيين على رصد المعنى

---

([1]) ابن بسّام: الذخَيْرِة ق2 م2 ص619 – 620. والبيت في ديوان اللزوميات للمعرّي 126/1.

([2]) ابن بسّام: الذخَيْرِة ق3 م2 ص680 – 681. وأبو العلاء: شروح سِقْطِ الزَّنْدِ 949/3.

وتقليب وجوهه أوقعهم أحياناً في تحميل النص الشعري مالا طاقة له به، وقد أشار ابن الإفليلي إلى هذا الملمح في تضاعيف شرحه لقول المتنبي: (من الطويل)

**أحبك يا شمس الزمان وبَدْرَهُ وإنْ لا منى فيك السُّها والفراقِدُ**

إذ قال بعد تمَحُّلٍ في استنطاق البيت: "وهذا وإن لم يُلْفَظْ بجميعه، ففي فحوى خِطابِهِ ما يَدُلُّ عليه". [1]

وقد تبيّن للعلماء الأندلسيين أن الخطأ الذي أصاب المعنى فيما رُوِي من أشعار مشرقية يعود إلى طابع الاجتزاء الذي هيمن على كتب المختارات الشعرية المشرقية، والاستشهاد بالبيت مقطوعاً عن سياقه، فيصبح حمّالاً لأوجه، ورأوا ضرورة ردِّه إلى سياقه مع التثبت من دِقَّةِ روايته.

وكان أبو عُبَيْدٍ البَكْرِيّ أكثر علماء الأندلس وعياً بهذا الملمح، وتجلّى وعيه في تعقُّب ما اعترى مرويات القاليّ في أماليه من إسقاط أبيات، أخَلَّتْ باتساق المعنى [2] وسار على نهجه ابن سِيدَهْ في شرح مُشْكِلِ شِعْرِ المتنبي [3] وابن السَّيد البَطَلْيُوسِيّ في شرح ديوان سِقْطِ الزَّنْدِ [4] والاقتضاب في شرح أدب الكُتّاب [5]، فقد ذهب ابن سِيدَهْ إلى أن تمام المعنى يستدعي أحياناً رواية البيت متصلاً بغيره، ففي معرض تعقيبه على قول المتنبي من قصيدة ودّع بها عَضُدَ الدولةِ البُوَيْهِيّ (ت 372هـ)، وكانت آخر شعر قاله: (من الوافر)

**وذاكَ النَّشْرُعِرْضُكَ كان مِسْكاً وذاك الشِّعْرُ فِهْري والمداكا**

أشار إلى أن الاكتفاء بهذا البيت يوقع المتنبي في نُبُوِّ ذَوْقٍ في مخاطبة الملوك؛ إذ "لولا البيت الذي بَعْدَ هذا لعُدَّ جفاء من المتنبي لتسويته شعره في نوعه بِعُلا الملك في نوعها، ولكن حَسُنَ ذلك بالبيت الذي أردفه به، فيقول فيه...

---

([1]) ابن الإفليلي: شرح شعر المتنبي ص180.

([2]) البَكْرِيّ: التنبيه ص68، 77، 119.

([3]) ابن سِيدَهْ: شرح مُشْكِلِ شِعْرِ المتنبي ص92، 355 – 356.

([4]) ابن السَّيد: شرح سِقْطِ الزَّنْدِ ص712، 729، 812.

([5]) ابن السَّيد: الاقتضاب ص300.

**فلا تَحْمَـدْهُمـا واحْمَـــــدْ هُمـاماً إذا لم يُسْــمِ حامِدُهُ عَناكـــــا"** [1]

كما تطرَّقوا إلى نقد ما اعترى شروح سابقيهم من سوء تفسيرٍ أو تأويلٍ للمعنى، مبعثه العناية "بتبيين اللغة والتصـــريف والإعراب عن تحقيق المعاني وتبيين الأغراض"، ومن هذا المنطلق حمل الأعلم على ابن جِنّي في شـــرحه ديوانَ المتنبي، إذ كان "خطأه في تأويل المعاني أكثر من إصابته فيها، وإعراضه عن تبيين المشكلات منها أكبر من إقباله عليها، وليس هذا قَدْحاً في علمه، ولا تسارعاً إلى ظلمه وهَضْمِهِ، ولكن معاني الشعر كثيراً ما زَلَّ العلماء في تأويلها، وضلّوا عن منهاج سبيلها، وذكروا عَجْزَ كثيرٍ من العلماء عنها والتقصير منهم فيها". [2]

ورأى البَكْرِيّ الرأي نفســـه في تعقبه لإخفاقات القاليّ في مجال المعنى، رادّاً هذه الإخفاقات إلى عنايته بـ "تفسير ظاهر اللغة عن تفسير غامض المعْنى". [3]

وقد كان أبو عليٍّ القاليّ في أماليه وابنُ جِنّي (ت 392هـــ) في الفَسْرِ الكبير والصغير أكثر رواة وشُرّاحِ الشِّعْرِ المشرقيين تعرُّضاً لنقد الأندلسيين الذي تأرجح بين الموضوعية تارة والتَّعَسُّفِ تارات أخر، فَعُني البَكْرِيّ بتعَقُّبِ سقطات القاليّ تعقُّباً لم يترك له فَضْلاً أو مَزِيَّةً، وراح ابن سِيدَهْ والأعلم الشنتمري وابن بَسّام الشنتريني يرصدون ما اعترى شروح ابن جِنّي من قصور.

فأبو عُبَيْدٍ البَكْرِيّ يخطئ القاليّ فيما فَسَّرَ به قول الشاعر: (من البسيط)

**إنَّ الذِّئابَ قد اخْضَــرَّتْ براثِنُهـــــا والناسُ كُلُّهُمُ بَكْرٌ إذا شَــبِعُـــــوا**

إذ ذهب إلى "أنَّ الناس كلهم عَدُوٌّ لكم إذا شبعوا كبكر بن وائل" طارحاً تفسيراً بديلاً، فقال "لم يُرِدِ الشاعِرُ هذا المعنى؛ لأن الناس كُلَّهم لم يكونوا عَدوّاً لبني تميم ولا أقلُّهم، وإنما يريدُ أنَّ الناس إذا شَبِعُوا هاجَتْ أضْغانهم وطلبوا الطوائل والتِراتِ في أعدائهم، فكانوا لهم كبكر بن وائل لبني تميم". [4]

---

([1]) ابن سِيدَهْ: شرح مُشْكِل شِعْرِ المتنبي ص355 – 356.

([2]) بن شريفة: أبو تمام وأبو الطيب في أدب المغاربة ص112.

([3]) البَكْرِيّ: التنبيه ص23.

([4]) المصدر السابق ص18.

أما ابن سِيدَهْ فله موقف خاص من شرحي ابن جِنّي لشعر المتنبي تُجَسِّدُه تعقيباته الآتية، والتي اتسم بعضها بالحدَّةِ ، كقوله: "لابن جنى في هذا البيت كلامٌ أُجِلُّهُ عن أن أعْزُوَهُ إليه"[1] و "هذا قول أبي الفتح، وليس عندي بقويّ" [2]، واتسم بعضها الآخر بالموضوعية، كقوله: "هذا قولُ أبي الفتح وهو حَسَنٌ" [3] وقوله: "وقد أجاد أبو الفتح في تمثيله...". [4]

وقد تَعَقَّبوا أيضاً أخطاء الشُّرّاحِ الأندلسيين في تفسير النص الشعري المشرقي، إذ راح المؤلف المجهول لكتاب "التنبيه على المغالطة والتمويه" يتعقَّبُ أخطاء أبي المطرف أحمد بن عميرة المخزومي في شرحه لأشعار امرئ القيس (ت 80ق هـ) والنابغة الذبياني (ت 18ق هـ) [5]، من ذلك ردُّه على أبي مطرف في شرحه قول امرئ القيس: (من الطويل)

**فكان تـــنادينـــا وعقد عِـــذاره وقال صحابي قد شَأَوْنَكَ فاطْلُبِ"** [6]

وكذلك قول النابغة الذبياني أيضاً: (من الطويل)

**وقد عسـرت من دونهم بـــأكفهم بنو عـامرعســـر المخـاض الموانعِ**

إذ ذهب أبو المطرف في شرحه للبيت إلى أن "عسرت من دونهم بأكفهم" تعني أنها رفعت أذنابها للضِّراب "فجعل بني عامر بن صَـــعْصَـــعَة نوقاً وجعل أكفهم أذناباً، فلو أن الكفَّ معروفة والذَّنَبَ معروف، وإن خلقة كل منهما متباينة لظنَّ من رأى هذا التفسير من الجُهّالِ أن القوم بغاؤون لأنهم هم الفاعلون للعسر بالأَكُفِّ... وعجبي من تفسير أبي المطرف... لتفسيره "عسرت" بـــ "رفعت أذنابها للضِّراب"، وإنما ترفع الناقة ذنبها لمنع الضِّراب لا

---

([1]) ابن سِيدَهْ: شرح مُشْكِل شِعْرِ المتنبي ص56.

([2]) المصدر السابق ص85.

([3]) المصدر السابق ص197.

([4]) المصدر السابق ص336.

([5]) بن شريفة: أبو المطرف، أحمد بن عميرة المخزوميّ، حياته وآثاره ص553.

([6]) مؤلف مجهول: التنبيه على المغالطة والتمويه ق44 ب.

للإمكان منه، وهذا المعنى مُفَسَّرٌ في عجز البيت نفسه وهو قوله "المخاض الموانع" أي المانعة لأنفسها من ضِرابِ الفحل، وكذلك تفعل كُلُّ لاقح". [1]

% % %

(1) المصدر السابق ق123 أ – 123 ب.

**خامساً: العناية باتساق النص واكتماله**

**امتدت عناية الأندلسيين بتوثيق النص الشعري لتشمل هيكله الخارجي، فتنبهوا إلى ما اعتراه من خلط أو إسقاط أو بتر، أصاب المعنى بالاختلال والقصور، وراحوا يزيلون هذا الخَلْطَ، ويضيفون ما أُسقط منه متكئين على ذاكرة حافظة واسعة غذتها مصادر شعرية كثيرة توفرت لديهم بفضل الرحلة والهجرة ورغبة أولي الأمر [1]، وذائقة سليمة تكونت لديهم نتيجة سعة رواية، وطول مجاهدة للنص الشعري مشرقياً وأندلسياً.**

وقد كان لأبي عُبَيْدٍ البَكْرِيّ (ت 487هـ) فضلٌ كبيرٌ في هذا الجانب ، عندما راح يتعقَّبُ مواطن الوهن التي أصابت رواية أبي علي القاليّ في آماليه، واتصلت بالإطار الخارجي للنص الشعري، إذ ردَّها إلى الإسقاط [2] والخلط [3] والتقديم والتخَيْرٍ [4].

**5/أ– الإسقاط:**

تعقب البَكْرِيّ أبا عليٍّ القاليّ في أربعة مواطن كان لإسقاط بعض الأبيات كبير أثر في اختلال المعنى، وتوجيه النقد لقائله، ففي معرض تعقيبه على بيتين لبكر بن النطاح (ت 192هـ) يقول فيهما:

**ولو خَذَلَتْ أموالُه جُودَ كَفِّهِ لقاسَمَ مَنْ يرجوه شَطْرَ حياتِهِ**

**ولو لم يَجِدْ في العُمْرِ قِسْماً لزائرٍ لجادَ له بالشَّطْرِ من حَسَناتِهِ**

قال: "أسقط أبو عليٍّ – رحمه اللهُ – من الشعر ما أخَلَّ بمعناه فصار فيه مَطْعَنٌ على الشاعر، وهو قد أحسن التخلُّصَ، فقال:

---

(1) د. أحمد هيكل: الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة ص 176 وما بعدها.

(2) البَكْرِيّ: التنبيه على أوهام أبي عليٍّ في آماليه، الصفحات: 68، 77، 104، 119.

(3) المصدر السابق، الصفحات: 31، 46، 56، 68، 72، 88، 93، 96.

(4) المصدر السابق ص47.

**ولو لم يَجِـدْ في العُمْرِ قِسْـــماً لزائرٍ  لجادَ له بالشَّـــطْرِ من حَسَـنـــــاتِهِ**

**لجادَ بها من غير كفـــــرٍ بربِّـــــهِ  وشـــاركه في صَـــوْمِهِ وصَـــلاتِهِ** [1]

وقال أبو عُبَيْدٍ البَكْرِيّ في موطن آخر: "أسقط أبو عليٍّ – رحمه اللهُ – من هذا الشعر البيت الذي يقوم به معنى البيت الخَيْرِ؛ لأنه جوابٌ له، ولا فائدةَ له إلا بذكره... ولولا هذا البيت المسْقَطُ لكان البيت الذي أنشده لَغْواً ومنقطعاً مما قبله، كأنَّه ليس من الشعر" [2].

وقد تنبّه ابن السيد البَطَلْيُوسِيّ في شرحه لديوان سِقْطِ الزَّنْدِ لأبي العلاء المعرّي (ت 447هـــ) إلى ما اعترى شعر المعرّي من حذف أقدم المعرّي ذاته على ارتكابه أخلَّ في مواطن محددة بتدفق المعنى داخل القصيدة، فقال في تضاعيف شرحه القصيدة التاسعة عشر "هكذا وقعت القصيدةُ في سِقْطِ الزَّنْدِ غير مُتَّصِل بعضها ببعض، فأثبتناها على ما وجدناه" [3]. ثم عاد فكرّر إشارته السابقة في تضاعيف تعليقه على البيت الرابع من القصيدة الرابعة والثلاثين، فقال: "وهذا البيت لا يلتئم بما قبله من الأبيات التئاماً صـــحيحاً؛ لأن أبا العلاء أســـقط أبياتاً كانت قبله، ولما كان فيها من ذَمّ هذا المذكور". [4]

**5/ب– التقديم و التأخير :**

كما نَبَّه بعض العلماء الأندلسيين على ما اعترى النص الشعري من خلل في ترتيب أبياته، وراحوا يعيدون ترتيبه وفق قراءة ذوقية، فقد آخَذَ البَكْرِيّ أبا عليٍّ القاليّ فيما رواه من رجز لرجل من غطفان، يقول فيه:

---

([1]) المصدر السابق ص77.

([2]) المصدر السابق ص68.

([3])ابن السَّيد: شروح سِقْطِ الزَّنْدِ ص635، ومُفْتَتح القصيدة: (من الكامل)

**وطِرْتُ بِعْزمي لو أصَبْتُ قطارا  تَخَيَّرتُ جُهْدي لو وَجَدْتُ خِياراً**

وقد أصاب الخللُ إطارَها الخارجي نتيجة إسقاط بعض أبيات تالية للبيت الثالث والعشرين. وقد أشار صاحب التنوير إلى أن أبا العلاء المعرّي أقدم على هذا الأمر مرّات متعددة، "وهذا عادته...".

([4])ابن السَّيد البَطَلْيُوسِيّ: شرح سِقْطِ الزَّنْدِ ص812، وقال في موطن آخر: "كما أسقط كثيراً من شعره" من 712، 729.

**حمراءُ من مُعَرّضـــــــــاتِ الغِرْبانْ  يَـــــقْـــــدُمها كُلُّ عَلاةٍ عِلْيانْ**

لأنه "أخَّرَ: .. الشطر المتقدّم فاستحال معناهما..." [1].

وقد أقدم الأعلم الشنتمري على إعادة ترتيب بيتين لجِران العَوْدِ النَّمَرِيّ (ت 68هـــ) أوردهما أبو تمام في حماسته، يقول فيهما: (من البسيط)

**يَوْمَ ارتحلـتُ برَحْلي قَبْـلَ برذَعتي  والعَقْـــلُ مُتَّلَـــةٌ والقلبُ مشـغولُ**

**ثم انصـرفَـْتُ إلى نِضْـوِي لأبعثَـــهُ  إثْـرَ الحُـدوجِ الغَوادي وَهْوَ معقولُ**

وذيلهما بقوله: "كذا وقع هذانِ البيتانِ، والصّـــواب أن يكون الأوَّلُ ثانياً؛ لأنه انصـــرف أولاً إلى نِضْـــوِهِ فأَرْحله وذهب" [2].

ومن ذلك أيضاً إقدام ابن السَّيد البَطَلْيُوسِيّ على إعادة ترتيب أبيات لطرفة بن العبد (ت 60 ق هـ) [3] وأبي حيَّان الأندلسي (ت 745هـــ) على إعادة ترتيب أبيات شعر لزهير بن صُرَّد الجشمي رواها الطَّبَرانيّ (ت 360هـ)، أنشدها يوم حُنَيْن، صدّرها قائلاً: (من البسيط)

**أمْنُـــــنْ علينا رســـولَ اللهِ في كَرَمٍ  فـإنـك المرء نـرجـوه ونـنـتـظِـرُ** [4]

**أمنن على بَيْضَـــةٍ قد ســـاقها قدرٌ  مشـــتت شملها في دهرها غِيَـــــرُ**

**5/جـ- الخلط والمزج بين الأشعار:**

---

(1) البَكْرِيّ: التنبيه ص47.

(2) الأعلم الشنتمري: شرح الحماسة ص799 – 800.

(3)ابن السَّيد: الاقتضاب في شرح أدب الكُتّاب ص452.

(4) أبو حيّان الأندلسي: البحر المحيط 26/5 – 27.

وقد تنبّه الأندلسيون أيضاً إلى ما اعترى النص الشعري من خلط، تتبعوا صوره وأنماطه، وكان البَكْرِيّ في هذا الجانب نسيج وحده، إذ تعقَّبَ المواطن التي زلَّ أبو عليٍّ القاليّ فيها، فخلط بين الأشعار المتفقة وزناً وقافية وغرضا، رادّاً هذه النصوص إلى قائليها، مثال ذلك ما أنشده القاليّ لسَلَمةَ بن يزيد يرثي أخاه لأُمِّهِ قيس بن سَلَمة، يقول من أبيات: (من الطويل)

**أقولُ لنفسي في الخلاء ألومُها لكِ الوَيْلُ ماهذا التجلُّدُ والصَّبْرُ**

ويعلّق أبو عُبَيْدٍ البَكْرِيّ على الأبيات بقوله: "وقد خلط أبو عليٍّ – رحمه الله – في هذا الشعرِ فأدخل فيه أبياتاً من قصيدة الأُبَيْرِد – الرياحيّ – المشهورة التي يرثي بها أخاه بُرَيْداً" [1].

ومثلُ هذا في تنبيهات البَكْرِيّ على أبي علي كثير [2].

وقد نَبَّهَ البَكْرِيّ أيضاً إلى أبيات مفردة تكونت نتيجة الاعتماد على الاجتزاء والضم، فثمة بَيْتٌ قُدَّ من عَجُزَيْ بيتين [3]، وثانٍ قُدَّ من ثلاثة أبيات [4] وثالثٌ قُدَّ من بيتين، فاستعار من الأول صَدْرَه، ومن الثاني عَجُزَهُ [5]، ردّها البَكْرِيّ إلى أصولها التي قُدَّت منها، مثال ذلك بيتٌ أنشده القاليّ مَعْزُوّاً إلى البَعِيث (ت 134هـ) يقول فيه: (من الطويل)

**ألا طرقتْ ليلى الرِّفاق بِغَمْرةٍ ومِنْ دُونِ ليلي يَذْبُلٌ فالقعاقِعُ**

حيث ردّه البَكْرِيّ إلى أصله الذي قُدَّ منه، فقال: "خلط أبو عليٍّ – رحمه اللهُ – في البيت الأوّلِ، فأتى من بيتين، وصِحَّةُ إنشاده...:

---

(1) أبو عُبَيْدٍ البَكْرِيّ: التنبيه ص97.

(2) تعقَّبَ البَكْرِيّ القاليّ فيما انتاب رواياته من خلط في مواطن متعددة من كتابه، فمنها ما خلط من أشعار لشاعرين (ص46، 88، 96) وما خلط من أشعار ثلاثة شعراء (ص31).

(3) المصدر السابق ص93.

(4) المصدر السابق ص68.

(5) المصدر السابق ص59.

**ألا طرقتْ ليلىالرِّفاقَ بِغَمْرةٍ وقد بَهَرَ الليلَ النجومُ الطوالعُ**

**وأنَّ اهتدتْ ليلى لعوجٍ مناخةٍ ومِنْ دُون ليلى يَذْبُلٌ فالقعاقِعُ** [1]

**5/د- إكمال النص الشعري:**

لم تقف عناية علماء الأندلس بتوثيق النصِّ الشعري عند حَدِّ إصلاح ما اعترى هيكلَه من خَلْطٍ، أو تقديمٍ وتَخَيْرٍ، أو بَتْرٍ، بل تجلَّتْ عبر مظهر آخر تَمَثَّلَ في حرصهم على أن تَضُمَّ الرواية الأندلسية للآثار الشعرية المشرقية نسخةً تامَّةً منها. فقد أشار د. محمد بنشريفة إلى وجود نسخة من ديوان المتنبي بالمكتبة السعدية المنصورية، وصفها بقوله: "وهي نسخة نفيسة مُقَابَلَةٌ على أصول أندلسية ومغربية عتيقة.." [2] وتضم زياداتٍ لا وجودَ لها في غيرها من أصول خطية ومطبوعة، وقام بنشرها في تضاعيف كتابه "أبو تمّام وأبو الطيب في أدب المغاربة" [3].

وأشار الوادي آشي في برنامجه أنه قرأ ديوان سِقْط الزَّنْدِ لأبي العلاء المعرّي "بالقاهرة المعزية على الأستاذ المحَدِّث أثير الدين أبي حيّان المذكور في أصلي، ووجدتُ في أصل سماعه زيادة قصائد له، قرأتُ بعضها عليه في أصل السماع، وقرأ عليَّ بعضها في آخر الديوان، فكمل لي بين سماعٍ من لفظه وقراءة عليه" [4].

وقد بلغتْ تلك الرغبةُ أوجَها لدى الأعلم الشنتمري في شرحه لحماسة أبي تمّام، إذ لم يقنع بشرح ما أورده أبو تمام من مختارات وفق ترتيبه، فراح يجمع نصوصها، ويستقصي رواياتها المتعددة شرقاً وغرباً، معيداً ترتيب أبوابها ترتيباً يعكس دقة وعيٍ ورقيّ ذوق فني، صابغاً مادتها بصبغة أندلسية، فأخضع ترتيب مادتها للأبجدية المغربية، تحدوه رغبة صادقة في أن "يخرج ..

---

(1) المصدر السابق ص59.

(2) بنشريفة: أبو تمّام وأبو الطيب في أدب المغاربة ص6.

(3) المرجع السابق ص291 – 308.

(4) الوادي آشي: برنامج الوادي آشي ص313.

مؤلفاً كاملاً لم يَكُنْ نظيرُه موجوداً قبل" [1]، وقد أوهمت إضافاتُ الأعلم الشنتمري التي طالتْ شكلَ الحماسة وجوهَرها تبويباً وترتيباً عبد القادر البغدادي (ت 1092هـ) فلم يُتَرَدَّدْ في نسبتها إليه [2].

وتتجلى هذه الرغبةُ لديه مرة ثانية في شرح شعر زهير بن أبي سلمى، إذ لم يقتصر على رواية الأصمعي بل شفعها بما زيد لدى الرواة الآخرين، فأتمّ روايته بما عثر عليه من زيادات لدى أبي عُبَيْدَة [3]. وقد قام أبو عُبَيْدٍ البَكْرِيّ بجمع ما تيسر له جمعه من رواياتٍ لديوان ابن الطثرية، فتجمعت لديه "منه كل رواية: رواية أبي حاتم عن الأصمعي، ورواية الصُّوسيّ عن ابن الأعرابي وأبي عمرو الشيباني". [4]

كما امتدت عنايتهم إلى الشعر الأندلسي أيضاً، فراحوا يكملون ما اعترى دواوين شعرائه من نقص، ويستدركون ما عثروا عليه من أبيات، مثال ذلك ما استدركه ابن سعيد الأندلسي من أبيات لابن خفاجة خلّت نسخة ديوانه منها [5] وما قام به ابن الأبّار من إضافة ثلاثة أبيات وجدها لابن عَمّار خلا ديوانه منها، وقال: "ولم أجد هذه الأبيات الثلاثة في ما جمع أبو الطاهر التميمي من شعر ابن عمّار، فأضفتها إليه، وكتبتها في نسختي منه" [6].

أما إكمال ما اعترى قصائدهم من بَتْرٍ فكثير الحدوث لديهم، وبه تعجّ مصنفاتهم، من مثل ذلك ما قام به لسان الدين بن الخطيب في معرض التطرق إلى قصيدة أبي بحر بن عبد الصمد في رثاء المعتمد بن عباد وأنشدها

---

([1])الأعلم: شرح حماسة أبي تمّام ص51. وقد أعرب الأعلمُ عن رغبته تلك في معرض شرحه أشعار الصِّبا الذي أتمَّ به شرح أستاذه ابن الإفليلي لديوان أبي الطيِّب المتنبي الذي تُوفِّي دون إتمامه، فقال بأنه أتمَّه لكي "يُسْتَغْنى بهما عن شرح أبي الفتح بن جِنّي وغيره".

([2]) عبد القادر البغدادي: خزانة الأدب 21/1 – 22.

([3]) الأعلم: شعر زهير بن أبي سلمى ص90، ومن القصائد التي لم ترد في رواية الأصمعي، وزادها من رواية أبي عُبَيْدَةَ قصيدته التي يُصَدِّرُها بقوله: (من البسيط)

"أبلغ بني نوف عني فقد بلغوا..." وذيّل صنيعه هذا بقوله: "ولم يعرفها الأصمعي، وعرفها أبو عُبَيْدٍة".

([4]) البَكْرِيّ: التنبيه ص60.

([5]) ابن سعيد: رايات المبرزين وغايات المميزين ص122.

([6]) ابن الأبّار: المعجم في أصحاب القاضي الإمام أبي علي الصَّد في ص69 – 70.

على قبره بأغمات، إذ اقتصرت المصادر السابقة على ذكر ثلاثة أبيات منها أوردها ابن الصيرفي يقول فيها: (من الكامل) [1]

**مَـــــلِكَ الملـــــوكِ أسـامِعٌ فأُنادي أم قد عَدَتْكَ عن السَّـــماعِ عوادي**

**لمّا خَلَـتْ منكَ القصـــورُ فلم تكُنْ فيهـا كمـا قـد كنـتَ في الأعيـادِ**

**قبَّلْتُ في هذا الثرى لك خاضـــعاً وتَخِـذْتُ قبرَكَ مَوْضِـــعَ الإنشـــاد**

بينما جاءت لديه في مائة بيت وأربعة أُخر. [2]

% % %

(1) ابن الخطيب: أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام ص165.

(2) المصدر السابق، ص165 .

## الخاتمة:

تُعَدُّ عناية علماء الأندلس بتوثيق النص الشـــعري لوحة أخرى من لوحات انبهارهم بالمنجز الحضـــاري المشرقي، إذ عُنوا بتوثيقه – مشرقياً وأندلسياً – عنايةً شملت مضمونه ووسائل تشكيله، وجَسَّدت وَعْيَهُم بأثره في تشكيل الخارطة الشعرية الأندلسية، وضخامته مُنْجزاً، وامتداده امتداداً زمنياً سحيقاً جعله عرضة لتبدل بصورة وتسرُّب الخطأ وتباين المواقف حيال تفسيره. فتكونت لديهم طائفة من الوسائل، وتمخضت عنهم لفتات ذكية تعكس رغبة صادقة في ردِّه إلى صورته الأولى.

وقد كانت عنايتهم بالنص المشرقي أعمق وأشمل، وجاءت أساليب الاستدلال والترجيح لديهم موضوعية في الأغلب الأعم، وينتابها شـــيء من التعسُّـــفِ في القليل النادر، ويتجلّى هذا الملمح جليّاً في تنبيهات أبي عُبَيْد البكري على أبي عليٍّ القاليّ في آماليه.

وقد تبلورت عنايتهم بخدمة النص في عدة ملامح تجلَّتْ في العناية بإســناده، وتحرّي الدقة في نســبته إلى قائليه وإزالة ما علق بأسمائهم وكُناهم وألقابهم من تصحيف أو تحريف واشتباه وفق أساليب تمثلت في ربط الشعر بحادثة معروفة أو خبر ذائع، أو ردِّ الشعر إلى ديوان الشاعر أو ما اشتهر من أشعار، أو الاتكاء على آراء العلماء المشارقة ممن لهم وعي أعمق بالشعر المشرقي، أو الاتكاء على قراءة ذوقية إن أعيتهم وسائلهم السابقة.

ثم امتدت عنايتهم لتشـمل تصـويب ما اعترى النص الشـعري من أخطاء طالتْ لغتَه وأسـلوبَه وإيقاعَه ومضـمونَه أيضـاً، فنبهوا – إلى جوار ذلك – على ما احتضـن النصُّ من غريب لغة ومفردات قبائل وقلقٍ اعترى السياق، وتعدُّدِ روايات، أخضعوها للنقد والترجيح.

كما عنوا بمضمون الشعر عناية أفضت بهم إلى شرحه ونقده ونقد شُرّاحه فيما أخفقوا في فهمه أو تأويله والبحث عن جذوره وامتداداته، إذ نبهوا في مواطن كثيرة على أصالة المعنى، أو درجة الأخذ وسبله.

**أبو تمّام وأبو الطيّب في أدب المغاربة:**

د. محمد بن شريفة.

دار الغرب الإسلامي. بيروت 1986م.

**أبو المطرّف أحمد بن عميرة المخزومي، حياته وآثاره:**

د. محمد بن شريفة.

مطبعة الرسالة، الرباط 1966م.

**أبيات المعاني في شعر المتنبي:**

د. عبد العزيز قلقيلة.

دار الفكر العربي، القاهرة 1993م.

**الإحاطةِ في أخبار غرناطة:**

لسان الدين بن الخطيب (ت 776هـ)،

تحقيق محمد عبدالله عنان.

مكتبة الخانجي، ط2، القاهرة 1973م.

**الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة:**

د. أحمد هيكل.

دار المعارف، القاهرة، ط11، سنة 1993م.

**أدب الكُتّاب:**

أبو بكر محمد بن يحيى بن عبدالله الصولي (ت 335هـ).

**أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض:**

المقّري التلمساني (ت 1041هـ)،

**تحقيق :**

مصطفى السقا

وإبراهيم الإبياري

وعبد الحفيظ شلبي.

لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة 1939م.

**أعمال الأعلام في مَنْ بُويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام:**

لسان الدين بن الخطيب .

تحقيق أ. ليفي بروفنسال.

دار المكشوف، بيروت، ط2 سنة 1956م.

**الاقتضاب في شرح أدب الكُتّاب:**

ابن السَّيد البَطَلْيُوسِيّ (ت 521هـ)،

تحقيق مصطفى السقا وحامد عبد المجيد.

الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1981م.

**الآمالي:**

أبو عليٍّ القاليّ (ت 356هـ).

دار الكتب المصرية القاهرة 1926م.

**الانتصار مِمَّنْ عدل عن الاستبصار:**

ابن السَّيد البَطَلْيُوسِيّ.

تحقيق حامد عبد المجيد.

المطبعة الأميرية، القاهرة 1955م.

**البحر المحيط:**

أثير الدين أبو حيّان الأندلسي (ت 745هـ).

مطبعة السعادة، القاهرة 1329هـ.

**برنامج الوادي آشي:**

محمد بن جابر بن محمد الوادي آشي (ت 749هـ)،

تحقيق محمد محفوظ. دار الغرب الإسلامي.

بيروت، ط2، 1982م.

**تأثير أبي العلاء المعرّي في الأدب الأندلسي:**

أيمن ميدان.

مجلة كلية الآداب جامعة المنصورة (إصدار خاص، يناير 2001م).

**تاريخ النقد الأدبي عند العرب:**

د. عبد العزيز عتيق.

دار النهضة العربية، ط4، بيروت 1986م.

**تاريخ النقد الأدبي في الأندلس:**

د. محمد رضوان الداية.

مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1981م.

**تحقيق التراث:**

د. عبد الهادي الفضلي.

مكتبة العلم، جدّة 1982م.

**التكملة لكتاب الصِّلة:**

ابن الأبّار القُضاعِيّ (ت 658هـ):

نشره عزت العطار.

مطبعة السعادة. مصر 1955م.

**التنبيه على أوهام أبي علي في آماليه:**

أبو عُبَيْدٍ البَكْرِيّ (ت 487هـ).

مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة 1926م.

**التنبيه على المغالطة والتمويه:**

مؤلف مجهول.

مخطوط بمعهد المخطوطات العربية برقم 1193 أدب.

**تيارات النقد الأدبي في الأندلس في القرن الخامس الهجري:**

د. مصطفى عَلِيَّان عبد الرحيم.

مؤسسة الرسالة، بيروت، 1984م.

**الحُلَّةُ السِّيَرَاء:**

ابن الأبّار البَلَنْسِيّ،

تحقيق د. حسين مؤنس.

الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة 1963م.

**خزانة الأدب ولُبّ لباب سرّ العرب:**

عبد القادر البغدادي،

تحقيق عبد السلام هارون.

الهيئة المصـــرية العامة للكتاب ومكتبة الخانجي، القاهرة 1979 – 1983م.

**دُرَّةُ الحِجال في أسماء الرجال:**

القاضي المكناسي (ت 1025هـ) .

تحقيق د. الأحمدي أبو النور.

دار التراث بالقاهرة والمكتبة العتيقة بتونس 1970م.

**ديوان المتنبي بشرح الواحدي،**

نشر بعناية فريدخ ديتريصي. برلين 1861م.

**الذخَيْرِة في محاسن أهل الجزيرة:**

ابن بسّام الشنتريني (ت 542هـ).

تحقيق د. إحسان عباس.

دار الثقافة، بيروت 1979م.

**رايات المبرزين وغايات المميزين:**

ابن سعيد الأندلسي.

تحقيق د. النعمان عبد المتعال القاضي.

مطبعة لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة 1973م.

**الرحلة المغربية:**

العبدري البَلَنْسِيّ (ت بعد 688هـ).

تحقيق أحمد بن جدّو.

كلية الآداب، جامعة الجزائر (د. ت).

**الرواية والاستشهاد:**

د. محمد عيد. عالم الكتب، القاهرة 1976م.

**ريحانة الكُتّاب ونجعة المنتاب:**

ابن الخطيب.

تحقيق محمد عبدالله عنان.

مكتبة الخانجي القاهرة (ج1، 1980م) و (ج2، 1980م).

**شرح الأشعار الستة الجاهلية:**

أبو بكر عاصم بن أيوب البَطَلْيُوسِيّ.

تحقيق د. ناصف سليمان عوّاد.

العراق 1979م.

**شرح حماسة أبي تمام:**

الأعلم الشنتمري (ت 476هـ).

تحقيق علي المفضل حمودان.

دار الفكر، دمشق 1992م.

**شرح ديوان الحماسة لأبي تمّام:**

المرزوقي (ت 421هـ).

نشره أحمد أمين وعبد السلام هارون.

مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة 1951م.

**شرح شعر زهير بن أبي سُلمى:**

الأعلم الشنتمري.

تحقيق د. فخر الدين قباوة.

دار الآفاق الجديدة، بيروت 1981م.

**شرح شعر المتنبي:**

ابن الإفليلي (ت 441هـ).

تحقيق ودراسة د. مصطفى عَلِيَّان.

مؤسسة الرسالة، بيروت 1992م.

**شرح المختار من لزومِيّات أبي العلاء:**

ابن السَّيد البَطَلْيُوسِيّ .

تحقيق د. حامد عبد المجيد.

دار الكتب، القاهرة 1970م.

**شرح مُشْكِل شِعْرِ المتنبي:**

ابن سِيدَهْ (ت 458هـ).

تحقيق د. محمد رضوان الداية.

دار المأمون للتراث، دمشق 1975م.

**شروح سِقْطِ الزَّنْدِ:**

شرح ابن السَّيد البَطَلْيُوسِيّ .

تحقيق لجنة إحياء تراث أبي العلاء بإشراف د. طه حسين.

دار الكتب المصرية، القاهرة 1945 – 1948م.

**شعر النابغة الجَعْدِي:**

قيس بن عبدالله بن عدس بن ربيعة العامري

(ت نحو 50هـ).

تحقيق عبد العزيز رباح.

المكتب الإسلامي، دمشق 1964م.

**شواهد أبي حيّان في تفسيره:**

د. صبري إبراهيم السيد.

دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية 1989م.

**شواهد الشعر في كتاب سيبويه:**

د. خالد عبد الكريم جمعة.

الدار الشرقية، القاهرة 1989م.

**صلة الصلة:**

أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير (ت 708هـ).

تحقيق ليفي بروفنسال.

مطبعة الاقتصادية، الرباط 1938م.

**ضبط النص والتعليق عليه:**

د. بشّار عوّاد معروف.

مؤسسة الرسالة، بيروت 1982م.

**طبقات فحول الشعراء:**

محمد بن سلام الجُمحيي (ت 231هـ).

تحقيق محمود محمد شاكر.

مطبعة المدني، القاهرة 1974م.

**العصر الجاهلي :**

د0 شوقي ضيف .

دار المعارف ، ط18 ، القاهرة 1995م0

**العِقْدُ الفريد:**

ابن عَبْد رَبِّه الأندلسي (ت 328هـ) .

تحقيق :

أحمد أمين وأحمد الزين

إبراهيم الإبياري.

مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة 1946م.

**فهرسة ابن خَيْرٍ:**

ابن خَيْرٍ الإشبيلي (ت 575هـ).

منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت 1979م.

**الكامل في اللغة والأدب:**

أبو العباس محمد بن يزيد المبرِّد (ت 285هـ).

نشره محمد أبو الفضل إبراهيم.

دار نهضة مصر، القاهرة 1956م.

**لمتنبي ومترسلو الأندلس في القرن الخامس الهجري:**

أيمن ميدان.

مجلة كلية الآداب – جامعة المنصـــورة (إصـــدار خاص، أغسطس 2000م).

**محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار في الأدبيات والنوادر والأخبار:**

محيي الدين بن عربي.

مطبعة السعادة، مصر 1906م.

**مستفاد الرحلة والاغتراب:**

القاسم يوسِف بن محمد التجيبي السَّبْتي (ت 730هـ).

تحقيق عبد الحفيظ منصور.

الدار العربية للكتاب، ليبيا / تونس 1975م.

**المعجب في تلخيص أخبار المغرِب:**

عبد الواحد المراكشي (ت 647هـ).

تحقيق أ. محمد سعيد العريان ومحمد العزبي العلمي.

مطبعة الاستقامة، القاهرة 1949م.

**المعجم في أصحاب القاضي الإمام أبي علي الصدفي:**

ابن الأبّار.

مدريد 1885م.

**المقتضب من كتاب تحفة القادم:**

ابن الأبّار.

اختيار أبي إسحاق البلفيقي.

تحقيق إبراهيم الإبياري.

دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط2، 1983م.

**نثير الجمان في شعر من نظمني وإيّاه الزمان:**

أبو الوليد إسماعيل ابن الأحمر (ت 807هـ) .

تحقيق د. محمد رضوان الداية.

مؤسسة الرسالة، بيروت 1976م.

**نزهة الألبّاء في طبقات الأدباء:**

أبو البركات الأنباري.

تحقيق د. إبراهيم السامرائي.

مكتبة الأندلس، بغداد 1970م.

**نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب:**

المقري التلمساني (ت 1041هـ)،

تحقيق د. إحسان عباس.

دار صادر، بيروت 1968م.

**النوادر في اللغة:**

أبو زيد، سعيد بن أوس الأنصاري (ت 215هـ).

تحقيق ودراسة د. محمد عبد القادر أحمد.

دار الشروق، القاهرة 1981م.

**الوافي في نَظْمِ القوافي:**

أبو البقاء الرُّنْدِي (ت 684هـ).

نسخة خطيّة بالمعهد العلمي العراقي برقم 126 شعر.

Abstract

The authentication of a poetic
Version (text) in the Andalusian Era

The Andalusian Scholars' heed to verify a poetic version is deemed to be another evidence which emphasizes their dazzling inspiration by the oriental cultural accomplishment.

As they devoted their attention to attest it easterly and Andalusian-wise, including its tenor and the devices of its formation. It unified their

awareness of its impact in contriving the Andalusian Poetry, with its immensity, extensively distant-timed accomplishment that was vulnerable to alteration of image (shape), the infiltration of mistakes and contradicting views towards its elucidation. Those scholars had a variety of mediums and intelligent gestures were brought forth by them. And that reflected their sincere desire to estimate it to its original image (version).

Their concern of the Oriental version (text) was more profound and comprehensive. Their inferential methods and giving preponderance were considerably objective more often, and were seldom afflicted by a bit of arbitrariness. This feature is quite obvious in "The Rousings of Abu Obeid Al-Bakry" to "Abu Ali Al-Kali" in his dictations to his disciples.

And their attention has become crystallized in the text service in several features that were revealed explicitly in the verification of its predication, tracing back its accuracy, as cribbing it to its advocates and eliminating what got stuck in their names their agnominal their appellations of any perversion, distortions and adiposities according to the methods that are presented while correlating poetry with any outstanding incident or prevailing news, the restitution of poems to their divan or to their famous category. Those methods might recline on a reading with great gusto if baffled by the previous schemes.

So their concern extended to include the emendation of mistakes that afflicted the poetic text's language, style, rhythm and its purport as well.

Besides, they perceived what the text comprised: peculiar language, tribal vocabulary, contextual apprehension and diversity of narrations which were subject to criticism and giving preponderance.

Moreover, they were interested in the content of poetry which led them to clarify and criticize it, even though they anatomized the interpreters, in case they might fail to absorb or construe it.

They searched for its roots and augmentations since they were aware, in many parts, of its originality of meaning (authenticity) or the level of in-taking and its approaches.

# جهود محمود شاكر في تحقيق المخطوط العربي وقواعده المنهجية

د زين الدين بن موسى جامعة قسنطينة

**ملخص المداخلة:**

قليلون هم أولئك الذين تقرّبوا من علم تحقيق المخطوطات تنظيرا وتطبيقا في الوطن العربي لاسيما في النصف الأخير من القرن الماضي؛ حيث لم يتصدّر لمدارسة هذا العلم وتعليمه إلاّ زمرة من العلماء الأفذاذ الذين وهبوا زبدة فكرهم وشطرا من حياتهم لخدمة التراث العربي برمّته دون استثناء، حيث إنّ القيمة العلمية للمخطوط هي التي كانت تستهويهم وتحفّزهم على تحقيقه بغضّ النظر عن موضوعه، ولما كانت أمانة تحقيق التراث واكتشاف نفائس مخطوطاته من أثقل أعباء الأمانات في الفكر الإنساني لم يتجرأ على حملها سوى نفر من العلماء تميّزوا بالصّبر والجلد يسبقهما سعة الاطّلاع والولع بكلّ ما هو أصيل في فكر الحضارة العربية الإسلامية.

ولعلّ أشهر من حمل لواء هذا العلم المضني في هذا العصر في الوطن العربي الشيخ محمود محمد شاكر (أبو فهر) الذي أغنى المكتبة العربية بعدّة كتب تصنّف ضمن دائرة كرائم المخطوطات المحققة، فانتخابه للمخطوط كان مبنيا على منهج رصين اتّضحت معالمه من خلال نوعية المادّة العلمية من جهة وقيمة المصدر الذي تحدّده ميزة الزمن الذي ألّف فيه ومكانة مولّفه من جهة أخرى، فشخصية المحقّق المبرّز عند محمود شاكر تكمن في منهجه الذي انفرد به عن أقرانه ومعاصريه من شيوخ التحقيق، فالنقد بجميع أدواته هو السّمة الغالبة على طريقة التحقيق في ما أخرجه للنّاس من مخطوطات، كما أنّ الدّقة العلمية في التخريج والتوثيق هي سمته التي ما انفكّ يؤكّد عليها تنظيرا وتطبيقا في مقدّمات التحقيق ومتون الكتب.

وسنحاول من خلال هذه المداخلة توضيح قواعد الشيخ محمود شاكر المنهجية في تحقيق المخطوط وتبيان جهوده العلمية التي تنمّ عن فكر ثاقب وذهن متيقظ وشخصية عالم حاذق.

**مقدّمة:**

لقد أنجبت مصرُ عديد المحقّقين المبرّزين من أمثال عبد السّلام هارون ومحمد أبو الفضل إبراهيم ومحمد محي الدين عبد الحميد وآل شاكر الأخوين أحمد ومحمود ولا تفاضل بينهم لكونهم جميعا أسهموا في إحياء التراث وتحقيق المخطوط العربي ولم يدّخروا وُسعا في الكشف عن نفائسه وتحديد أماكن تواجده بل اجتهدوا في جملتهم وقدّموا أكثر من دليل يُفهرس مختلف المخطوطات بحسب المكتبات التي تحويها أو المواضيع التي تتضمّنها، فتشكّلت بذلك مدرسة لها منهجها الخاص في التحقيق تتلمذ فيها أجيال من العلماء ضمّت نحو هؤلاء النخبة وغيرهم كثير، إلاّ أنّ ميزة كلّ واحد منهم تكمن فيما حقّق من مخطوط سواء من حيث الكمّ أو انفراده بخصائص منهج مستقلّ طبع أعماله التي ميّزته عن غيره، فهذه السّمة عند المحققين المصريين جعلت منهم أكثر علماء العرب إنتاجا في هذا العصر لاسيما في مجال اهتمامهم بالتراث ونشر مخطوطه، وموازاة مع هذا الجهد احتضنت مصر المعهد العربي للمخطوطات التابع للجامعة العربية، هذه المؤسسة العلمية التي حوت الملايين من المخطوطات والتي جُمعت من أقطار مختلفة في العالم إمّا بالتصوير الفيلمي أو العثور على النسخة الأصيلة أو ما يقابلها.

والذي أثرى هذه الحركية العلمية هو تعاقب أجيال من المحقّقين في هذا البلد لهم الاهتمام نفسه فكلّ من تصدّى للتحقيق من العلماء المصريين إلاّ وكان له اليد الطُولى في استخراج المخطوط من مدافنه وإبراز القيمة العلمية لتلك الكتب، كما أنّهم لم يبخسوا حقّ القدماء فيما ورّثوه من إرث فكري واجتهدوا في تثمين ما أنجزه السّلف ماديّا ومعنويا من خلال معالم الحضارة التي أسّسوها أيّام ازدهارها وهذا النّشاط العلمي الذي تصدّر لتبيان خصائصه وميزاته ثلّة من أولئك العلماء كان على رأسهم الشيخ محمود محمد شاكر (أبو فهر) الذي تشرّب حبّ التراث في نفسه ونافح عنه في جميع كتاباته ومقالاته وحاول أن يؤسّس نظرية قائمة بذاتها قواعدها الأولى استيعاب فكر القدماء الذي يضمن أصالة الانتماء إلى هذه الأمّة أوّلا وهذا الوازع هو ما دفع بمحمود شاكر إلى خوض غمار التحقيق والكشف عن مقوّمات الفكر العربي التي من خلالها ألّف علماء العرب هذا الكمّ الهائل من الكتب.

ولم يكن محمود شاكر في اهتمامه بالتراث العربي من المكثرين في تحقيق مخطوطه بل كان جلّ اهتمامه منصبّا حول نوعية التحقيق تلك الكتب وكيفية إخراجها للنّاس وفق منهج قويم يتلاءم وقيمة مضمون تلك المؤلّفات؛ حيث إنّه كان يقضي شطرا من حياته في البحث عن أصول المخطوط الواحد والكشف عن مصادر مادّته وما يشكل من معاني ألفاظه لهذا فقد اجتمع لديه نزر يسير ممّا حقّق من كتب إلاّ أنّها أبانت عن منهج محقّق مقتدر له من الملكات العلمية ما يؤهله بأن يكون أسوة لغيره في هذا المجال.

وسنحاول في هذه المداخلة إبراز خصائص منهج الرّجل في التحقيق وكيف أنّه تمكّن من إرساء دعائم هذا العلم لدى المحقّقين العرب في هذا العصر.

**أوّلا: نبذة عن حياة الأستاذ محمود شاكر**

محمود بن محمد شاكر بن أحمد بن عبد القادر، من أسرة أبي عَلْياء من أشراف جِرْجا بصعيد مصر، وينتهي نسبه إلى الإمام الحسين بن علي رضي الله عنه.

وُلد في الإسكندرية ليلة عاشوراء المحرّم سنة 1327 للهجرة، الموافق لأوّل فبراير سنة1909 الميلادية، انتقل إلى القاهرة صيف عام1909م بتعيين والده وكيلا للجامع الأزهر(1909-1913م) وكان قبل ذلك شيخا لعلماء الإسكندرية، تلقّى أوّل مراحل تعليمه في مدرسة الوالدة أم عبّاس في القاهرة سنة1916م، وبعد ثورة 1919م انتقل إلى مدرسة القِربِيَّة بدرب الجماميز، وفي سنة 1921م دخل المدرسة الخديوية الثانوية.

مع بداية عام1922م قرأ على الشيخ سيد بن علي المرصفي صاحب (رغبة الأمل) فحصّل دروسه التي كان يلقيها بعد الظهر في جامع السّلطان بَرْقُوق، ثمّ قرأ عليه في بيته (الكامل) للمبرّد، و(حماسة أبي تمّام) وشيئا من (الأمالي) للقالي، وبعض أشعار الهذليين، واستمرت صلته بالشيخ المرصفي إلى أن توفي رحمه الله في سنة1349هـ. 1931م.

وقد نال الشيخ محمود شاكر شهادة البكالوريا(القسم العلمي) عام1925م، وفي سنة1926م التحق بكلية الآداب الجامعة المصرية، قسم اللّغة العربية، واستمرّ بها إلى السّنة الثانية، حيث نشب خلافٌ شديد بينه وبين أستاذه الدكتور طه حسين حول منهج دراسة الشعر الجاهلي، كما بيّنه في مقدمة الطبعة الثانية من كتاب (المتنبي)[1] وترتّب على ذلك تركه الدّراسات الجامعية.

وفي سنة 1347هجريةالموافق لسنة1928 ميلادية ترك الجامعة وسافر إلى الحجاز مهاجرا، فأنشأ. بناء على طلب الملك عبد العزيز آل سعود مدرسة جدّة السعودية الابتدائية وعمل مديرا لها ولكنّه ما لبث أن عاد إلى القاهرة في أواسط عام1929م.

بعد عودته إلى القاهرة انصرف إلى الأدب والكتابة، فكتب في مجلتي (الفتح)و(الزهراء) لصاحبهما الأستاذ محب الدّين الخطيب، وأكثر ماله فيها الشهر، وكان من كتّابهما منذ كان طالبا.

بدأت صلة الشيخ محمود شاكر بالعلماء منذ شبّ في بيت أبيه، فعرف السياسيين والعلماء الذين كانوا يتردّدون على والده، كما اتّصل مباشرة بعلماء العصر أمثال محب الدين الخطيب وأحمد تيمور باشا والشيخ محمد الخضر حسين وأحمد زكي باشا والشيخ إبراهيم أُطفيّش ومحمد أمين الخانجي وغيرهم، كما تعرّف إلى الشاعر أحمد شوقي وكان يلتقيه في الأماكن العامّة التي كان الشاعر الكبير يتردّد عليها.

---

[1] ينظر فصول هذا الصّراع الفكري: المتنبي (رسالة في الطّريق إلى ثقافتنا): محمود محمد شاكر أبو فهر، مطبعة المدني، القاهرة، مصر، ط2،1987م، ص161-192.

وكانت بينه وبين مصطفى صادق الرّافعي مراسلات بدأت منذ سنة1921م وتوثّقت عرى التواصل المعرفي بينهما، وظلّت هذه الصّلة وطيدة إلى أن توفّى الرّافعي رحمه الله في سنة1356هـ الموافق لسنة1937م، فحزن عليه حزنا شديدا صرفه عن استكمال ردوده على الدكتور طه حسين في موضوع المتنبي التي كانت تنشر في جريدة البلاغ[2]. ومكانة الرّافعي عنده يوضحها تقديمه لكتاب سعيد العريان عن حياة الرّافعي، وقد ظلّت هذه الرّابطة بينهما تحول سنين عديدة دون التواصل بينه وبين الأستاذ العقّاد، ثمّ صارت بينه وبين الأستاذ العقاد صحبة وصداقة عميقة بعد ذلك.

بدأ محمود شاكر الكتابة في مجلة (المقتطف) منذ سنة1932م، ثمّ في مجلتي (لرّسالة) و(البلاغ) ولكنّه كان على صلة بالرّسالة في كتابة متقطّعة إلى أن توقّفت عن الصدور، وفي سنة 1357هـ الموافق لـ1938م أخذ امتياز إصدار مجلة (العصور) من الأستاذ إسماعيل مظهر لتصدر أسبوعية بعد أن كانت شهرية، وصدر منها عددان: الأوّل في27 رمضان 1357هجرية الموالفق لـ19 نوفمبر1938ميلادية، والثاني في 17 شوال1357هـ جرية الموافق لـ9 ديسمبر1938ميلادية، ثمّ توقّفت عن الصدور بعد أن كان قد دفع بعددها الثالث إلى المطبعة.

في هذه الفترة قامت صداقة عميقة وعلاقة وطيدة بينه وبين كل من الكاتب الكبير الأستاذ يحي حقّي والشاعر الرّاحل محمود حسن إسماعيل، وكان كلّ منهما يعدّ الأستاذ شاكر إماما عليما بأسرار البيان العربي في شعره ونثره، ومرجعا حيّا للثقافة العربية في مجموعها، يأنسان إلى ذخيرته في إبداعهما الأدبي، وقد عبّر كلّ منهما عن تلك الرّابطة في أكثر من مقام من مقامات القول، منها قصيدة الأستاذ محمود حسن إسماعيل في تقديم (القوس العذراء)، كما ذكر الأستاذ يحي حقّي في بعض أحاديثه الصحفية أنّه قرأ أمّهات كتب الأدب العربي على الأستاذ شاكر.

وبناء على دعوة من صديقه فؤاد صرّوف صاحب (المقتطف) أسهم في اختيار وترجمة مواد مجلة(المختار) بدءا من عددها الثاني ولكنّه توقّف بعد قليل.

وفي الفترة القليلة التي شارك فيها في إخراج(المختار) استطاع أن يقدّم مستوى للترجمة الصحفية لم يعرف من قبل، وأدخل عددا من المصطلحات الجديدة في اللّغة للتعبير عن وسائل واختراعات حديثة من(نوع الطائرة النفّاثة)[3] ومازال عدد من الصّحفيين الحاليين يعتبرون عناوين (المختار) التي كان يصوغها نموذجا يُحتذى في هذا الباب.

---

[2] ينظر القصيدة التي رثى بها مصطفى صادق الرّافعي والتي مطلعها:

رحمةُ الله عليك !رحمة الله عليكَ!

رحمةُ الله لقلب حزين، وكبد مصدوعة!

جمهرة مقالات الأستاذ محمود شاكر، جمع وتقديم: عادل سليمان جمال، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر،ط2003،1م، ط1،1/1،5.

[3]يعدّ هذا المصطلح من المصطلحات المعاصرة المستخدمة في مجال التقانة والميكانيك؛ ينظر المنجد في اللّغة العربية المعاصرة: أنطوان نعمة وآخرون، دار المشرق، بيروت، لبنان، ط1، 2000، مادة (ط ي ر) و (ن ف ث).

تعرّف الشيخ محمود شاكر على الأستاذ فتحي الرّضوان في الأربعينيات كما أسهم بالكتابة في مجلة(اللّواء الجديد)، ولقد انقطع عن الكتابة في الصّحف والمجلاّت بعد إغلاق (الرّسالة) القديمة في سنة1952م، وتفرّغ للتأليف والتحقيق ونشر النّصوص، فأخرج جملة من أمّات الكتب العربية مثل:(تفسير الإمام الطبري) في ستة عشر جزءا بالاشتراك مع أخيه الأكبر الشيخ أحمد محمد شاكر حتّى سنة1958م، و(طبقات فحول الشعراء) لمحمد بن سلاّم الجمحي و(جمهرة أنساب العرب) للزبير بن بكّار، كما شارك في إخراج(الوحشيات) لأبي تمّام و(شرح أشعار الهذليين).

لينشر في عام 1952م قصيدته (القوس العذراء) التي تعدّ معلما على طريق الشعر الحديث رغم التزامها بحرا متساوي الشطرين ومحافظتها على وحدة القافية ثمّ أعاد نشرها مرّة ثانية سنة1964م.

كما ألّف كتابه الشهير(أباطيل وأسمار) وهو مجموعة مقالات(خمس وعشرون مقالة) كتبها في مجلّة الرّسالة الجديدة، ثمّ طبعت مرّتين، المرّة الأولى سنة1965م وصدر مجلّد واحد(فيه قسم من المقالات) وصودر المجلد الثاني، والمرّة الثانية سنة1972م في مجلّدين ضمّا جميع المقالات.

وكان سبب كتابة هذه المقالات التعليق على ما نشره الدكتور لويس عوض، المستشار الثقافي لجريدة الأهرام القاهرية حينذاك، في جريدة الأهرام بعنوان (على هامش الغفران) وذهب فيما نشره إلى تأثّر المعرّي بحديث الإسراء والمعراج، كما ألمح إلى أثر الأساطير اليونانية وغيرها في الحديث النبوي، ممّا دفع الأستاذ محمود شاكر إلى بيان تهافت كلام لويس عوض وجهله وافترائه، ثمّ انتقل إلى الكلام عن الثقافة والفكر في العالم العربي والإسلامي وما طرأ عليهما من غزو فكري غربي ولاسيما حركة التبشير التي غزت العالم العربي والإسلامي، وما تنطوي عليه هذه الحركة من أساليب ووسائل وقادَهُ البحث إلى تناول قضايا مهمّة بحيث يعدّ (أباطيل وأسمار) من أهم كتبه، بل من أهمّ الكتب التي ظهرت في المكتبة العربية في العشرين عاما الأخيرة.

وأعاد طبع كتابه عن (المتنبي) الذي نُشر كعدد مستقل من(المقتطف) سنة1963، وقد أثار الكتاب ضجّة كبيرة حين صدوره بمنهجه المبتكر وأسلوبه في البحث والإبداع، ومقدّمته التي عنوانها(لمحة من فساد حياتنا الأدبية) التي تناولت بكلّ صراحة ما اعترى الحياة الأدبية في النّصف الأوّل من هذا القرن من فساد، وما أصاب أجيال المثقفين من تفريغ، تولّى كِبْرَهُ واضع نظم التعليم في مصر المبشّر (دنلوب) الذي سيطر سيطرة تامّة على التعليم[4] والذي لا تزال آثارُه باقية على أشنع صورة في نظمنا التعليمية.

وبعد أن ذاع صيته وانتشرت كتاباته في مختلف المجلاّت وأفكاره حول منهجه الجديد في كتبه التي صدرت مابين 1940م و1975م بدأت أجيال من دارسي التراث العربي والمعنيين بالثقافة الإسلامية من كافة أرجاء العالم الإسلامي يختلفون إلى بيته، ويتردّدون على مجالسه العلمية يأخذون عنه ويفيدون من علمه ومكتبته الحافلة التي

---

[4] أباطيل وأسمار: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط3،2005م،35/1.

يسّرها للدارسين والباحثين منهم الدكتور ناصر الدّين الأسد والدكتور إحسان عبّاس والدّكتور شاكر الفحّام والأستاذ أحمد راتب النفّاخ والدكتور محمد يوسف نجم.

وفي سنة1957م أسّس مع الدكتور محمد رشاد سالم والأستاذ إسماعيل عبيد مكتبة دار العروبة لنشر كنوز الشعر العربي ونوادر التراث وكُتب بعض المفكرين كما شارك الشيخ محمود شاكر في عدد من المؤتمرات والملتقيات العربية فحضر(مؤتمر الأدباء العرب) في بغداد سنة1970م، ودُعي إلى حضور الدروس الرّمضانية التي تعقد في ليالي رمضان في القصر الملكي بالرباط في المملكة المغربية (رمضان1359م).

كذلك لبّى دعوة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض وألقى سلسلة محاضرات عن الشعر الجاهلي صدرت في كتاب بعنوان(قضية الشعر الجاهلي في كتاب ابن سلاّم الجمحي).

وقد حالت ظروفه دون تلبية كثير من الدّعوات لحضور مؤتمرات وملتقيات عربية وإسلامية كثيرة.

انتخب عضوا مراسلا في (مجمع اللّغة العربية) بدمشق سنة1980م، كما اعتقل مرّتين في زمن حكم جمال عبد النّاصر الأولى لمدّة تسعة أشهر في الفترة بين9 فبراير1959م إلى أكتوبر1959موالثانية لمدّة ثمانية وعشرين شهرا من 31 أغسطس1965 م وحتّى30 ديسمبر1967م.

كرّمته الدولة فأهدته (جائزة الدولة التقديرية في الآداب) في عام1981م تقديرا لجهوده وإسهاماته المتعدّدة في خدمة تراث الإسلام، ودرايته الواسعة بعلوم العربية ومكانته المتميّزة في تاريخ الفكر الإسلامي، وعلى المستوى العربي نال جائزة الملك فيصل العالمية في الأدب العربي وتسلّم الجائزة في احتفال بحضور الملك فهد بن عبد العزيز في الرياض في 24 جمادى الأولى سنة1404هـ الموافق لـ 25 فبراير سنة1984م، كما انتخب عضوا عاملا في مجمع اللّغة العربية بالقاهرة عام1982م وعضوا بالمجلس الاستشاري لمؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي(1991-1997م)وعضو مجلس إدارة دار الكتب والوثائق القومية(1994-1997م)، لينتقل إلى جوار ربّه تعالى مساء يوم الخميس3 ربيع الثاني1418هـ الموافق لـ7أغسطس1997م[5].

ولما بلغ الشيخ محمود شاكر هذه المكانة العلمية وشاع اسمه في الخافقين كان لا بدّ من أن يحتفي العلماء وطلبة العلم بشخصه وآثاره ويكون محطّ أنظار الباحثين من خلال دراساتهم المختلفة؛ حيث مثّل لهم مدوّنة ثرية في البحث ومن أهم الدّراسات العلمية المطبوعة التي تناولت سيرة حياته وأعماله العلمية:

. شيخ العربية وحامل لوائها أبو فهر محمود محمد شاكر بين الدرس الأدبي والتحقيق لمحمود إبراهيم الرضواني..

-محمود محمد شاكر الرجل والمنهج لحسن القيام.

. المتنبي بين طه حسين ومحمود شاكر لإسماعيل الشرقاوي.

. محمود محمد شاكر سيرته الأدبية ومنهجه النقدي لإبراهيم محمد الكوفحي.

. محمود محمد شاكر الأديب الناقد للدّارس نفسه.

---

[5] من أعلام العصر(آل شاكر): أسامة أحمد شاكر، مكتبة الإسكندرية، مصر، ط1،2001، ص73-82.

. الصورة الفنية في شعر محمود محمد شاكر عبد الله خميس سنكر.

. مقالات حارس التراث أبي فهر محمود محمّد شاكر لإبراهيم بن محمّد أبا نمى.

. محمود محمد شاكر شاعرا لأماني حاتم بسيسو.

. محمود محمد شاكر إسهاماته في البحث العلمي والتحقيق الأدبي لمحمد إبراهيم.

. جمهرة مقالات الأستاذ محمود محمد شاكر جمع الدكتور عادل سليمان جمال.

. معجم محمود محمد شاكر لمنذر أبي شعر.

–وهناك كتاب طبعته دار الخانجي بعنوان (دراسات عربية وإسلامية ) مهداة للعلامة محمود شاكر بمناسبة بلوغه السبعين شارك في كتابة هذه البحوث والمقالات عدد من طلاب الشيخ ومحبيه وهو كتاب نفيس.[6]

**ثانيا: جهوده في تحقيق المخطوط**

لقد أصدرت دور النشر عدّة كتب ألّفها الشيخ محمود شاكر من حرّ فكره وأبان فيها عن وجهته في الحياة العلمية التي حفلت بنشاطات متنوّعة شملت جميع ميادين المعرفة، كما اتّضح ذلك من خلال العنصر السّابق من هذه الدّراسة، فعطاؤه العلمي لم ينحصر في كتابة المقالات أو تأليف الكتب بل تجاوز كلّ ذلك ليعمّ مجالات أخرى كالمشاركة في المجامع اللّغوية والعلمية، ولعلّ أبرز محطّة في حياته العلمية هي مشيخته لجيل من الطلبة أصبحوا في بعد أقطاب الحركة الفكرية في مصر، وهذا ما يبيّن جدارة الرّجل بمنصبه العلمي الذي أهّله لكي يكون مرجعا في مختلف العلوم اللّغوية والأدبية، ولم يتأت له ذلك إلاّ باطّلاعه الواسع على التراث الذي استقرأه بعمق وفهم رسالته وأدرك أبعاد الحضارة الإسلامية التي تضمّنتها أفكار علماء السّلف المبثوثة في بطون كتبهم التي أقبل عليها محمود شاكر بنهم يقرأ ما فيها ويعبّ من معينها حتّى صارت بالنّسبة إليه مصدر الهوية الواجب حمايتها والكشف عن مظانّها وقيمتها، وهذا ما ألقى بظلاله وكلكله على شخصيته العلمية وحفّزه على أن يلج عالم تحقيق المخطوط ويسهم فيه بحظّ وافر؛ حيث قدّم للمكتبة العربية نفائس المخطوط في التراث الأدبي الذي اختار منه أعزّ كتبه وهي:

ـــــ (دلائل الإعجاز) لعبد القاهر الجرجاني رحمه الله ، حققه وكتب على واجهته (قرأه وعلق عليه أبو فهر محمود شاكر).

. أسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني قرأه وعلق عليه كذلك.

. فضل العطاء على العسر للعسكري ، ضبطه وعلق عليه.

. إمتاع الأسماع للمقريزي حقّق الجزء الأول منه.

. طبقات فحول الشعراء لمحمد بن سلام الجمحي. حققه وهو من أفضل تحقيقاته وشروحه.

---

(6) آراء محمود شاكر وجهوده اللّغوية: محاسن بنت أحمد بن محمود مولوي قربان،إشراف: عليان بن محمد الخوارزمي، مخطوط رسالة ماجستير، قسم اللّغة والنحو والصرف كلية اللّغة العربية، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية،مسجّلة تحت رقم42380187 ص26.

. تحقيق تفسير الطبري بالتعاون مع أخيه أحمد محمد شاكر رحمه الله وبلغ في تحقيقه إلى منتصف سورة إبراهيم.

– الوحشيات لأبي تمام ، زاد في تعليقات الميمني عليه.

– جمهرة نسب قريش وأخبارها حققه كذلك.

. إمتاع الأسماع بما للرسول من الأبناء والأموال والحفدة والمتاع لتقي الدين المقريزي صحّحه وشرحه.

– المكافأة وحسن العقبى لأحمد بن يوسف بن الدّاية الكاتب حقّقه وشرحه وصحّحه.

– شرح أشعار الهذليين صنعة أبي سعيد الحسن بن الحسين السُكّري الواقع في ثلاثة أجزاء راجع تحقيق عبد الستار أحمد فرّاج له.

**ثالثا: أسس منهجه في التحقيق**

استطاع محمود شاكر أن يرسي منهجا متميّزا في التّحقيق انطلاقا من تجاربه المتكرّرة التي تجلّت في الممارسة الفعلية في تحقيق المخطوط وإخراجه، وذلك بالرّغم من العدد الضـــئيل الذي حقّقه من الكتب لأنّه اعتمد مبدأ ترجيح النّوع على الكمّ ويمكن أن نتلمّس معالم منهجه في التحقيق من خلال الخصائص الآتية:

**1ـــ موقفه من تحقيق المستشرقين للتراث العربي:** لم يكن لمحمود شاكر أن يغمط حقّ المستشرقين في إسهامهم العلمي وما أصدروه من كتب تراثية، لكنّه تعقّبهم في منهج تحقيقهم وأعاب عليهم تقحّمهم في دراسة تراث فكري لا علاقة لهم به لا من حيث الانتماء ولا من حيث اللّغة الناطقة بلسانه[7]؛ فالمستشرقون استحدثوا مجموعة من القواعد التي تناسب متونهم لكنّها لا تناسب بالضّرورة الكتب العربية لأنّ منطلقات التأليف تختلف عندنا ومن ذلك ارتباط التأليف في اللّغة العربية بالرّواية والإسناد في حين تخلو كتب الأعاجم من هذه الفضيلة، يقول محمود شاكر: (وباب ثالث لا بدّ منه أيضا، يعلمه كلّ من له خبرة بالكتب المخطوطة، لا في العربية وحدها، بل في جميع لغات الأعاجم التي أورثت أهلها كتبا مخطوطة، مع خلوّ مخطوطات الأعاجم من فضيلة الإسناد الذي تميّزت به العربية وحدها قرونا متطاولة. أمر مألوف كلّ الإلف، أن يوجد من كتاب واحد، لمؤلّف واحد، نسخ يكثر عددها أو يقلّ، يتردّد جميعها بين التّمام والنقص، وبين الاختصار الهيّن والاختصار المبين، ويكون ذلك من فعل من أدّى إلينا الكتاب عن مؤلّفه. بل إنّ المؤلّف نفسه قد يترك بين تلامذته نسخا من كتابه بعضها أتمّ من بعض، بما أدخل هو نفسه على كتابه، تطاول السنين، من زيادة أو حذف أو تبديل أو تغيير أمر مألوف كل الإلف)[8].

فغياب مثل هذه الإحاطة بعلمي الرّواية والدّراية حتما سيكون له كبير الأثر في قيمة ووزن الكتاب المحقّق إذا ما أشرف عليه مستشرق يجهل خصوصية مؤلفات العرب وكيف أنّهم نقلوا علومهم بالسّند جيلا بعد جيل، فمحمود شاكر يتبرأ من شنيع فعل المستشرقين وتعاطيهم مع التراث بقوله: (وقبل كلّ شيء، فأنا لم ابلغ يوما ما من السّذاجة والغفلة وطيب النّفس، مبلغا يحملني على أن أعتقد، مغرورا بما أعتقد أنّ فتًى أعجميا غريب الوجه واليد

(7) ينظر جمهرة مقالات الأستاذ محمود شاكر 125/1.

(8) ينظر برنامج طبقات فحول الشعراء: محمود شاكر في مقدّمة تحقيق طبقات فحول الشعراء لمحمد بن سلاّم الجمحي،دار المدني، جدّة، المملكة العربية السعودية، دط، دت، 44/1.

واللّسان عن العربية، يدخلُ في العشرين أو الخامسة من العشرين من عمره، قسم (اللّغات الشرقية) في جامعة من جامعات الأعاجم، فيبتدئُ تعلم ألف باء،تاء،ثاء، أو أبجد هوّز في العربية ويتلقّى العربية نحوها وصـــرفها وبلاغتها وشعرها وسائر آدابها وتواريخها، عن أعجميّ مثله، وبلسان غير عربيّ، ثمّ يستمع إلى محاضر في آداب العرب أو أشعارها أو تاريخها أو دينها أو سياستها بلسان غير عربيّ، ويقضي في ذلك بضع سنوات قلائل، ثمّ يتخرّج لنا مستشرقا(في اللّسان العربي والتاريخ العربي والدّين العربي)، ندين له نحن العرب بالطّاعة، ولم أبلغ من السّذاجة أن أعتقد أنّ هذا ممكن، وإن كنت أعلم علم اليقين أنّ كثيرا من أهل جلدتنا اليوم قد دانوا بذلك،وجعلوا الأمر ممكنا كلّ الإمكان)[9].

**2ـ نظرته إلى علم التحقيق**: كثيرا ما اعتقد الدّارسون المعاصرون أنّ علم التّحقيق هو علم مستحدث لم يبتدعه إلاّ المستشرقون، غير أنّ هذه الحقيقة سرعان ما تدحض عند من استقرأ التراث العربي وعرف منهجهم في الأمالي العلمية ونقل الأخبار، وقد ظهرت معالم علم التحقيق الموضوعية لا الشكلية عند علماء الحديث خاصّة[10]، فهم قد اعتنوا أيّما عناية بالتثبّت من دقائق الحقائق بدءا بالحرف واللّفظ وانتهاء بالكتاب المتكامل تأليفه، ويكفي دليلا على ما بلغوه في مجال التحرّز من الخطأ والنّسبة هو ما ابتكروه من طرق في تحمّل العلم أشهرها الوجادة والمناولة والمكاتبة والإجازة[11]هذه القواعد الأصول في تحقيق المعارف هي التي تشبّث بها محمود شاكر وأرادها لنفسه منهجا أصيلا يتمكّن من خلاله من إعادة الأمور إلى نصابها حيث يخلص بوساطتها إلى لبّ التحقيق لا أن يقف على شكلياته فحسب ممّا اهتمّ به المستشرقون وورّثوه لطلبتهم من العرب الذين أخذوا عنهم، ويصف محمود شاكر هذه الظاهرة بقوله: (...لأنّي بالطّبع لست أتّبع أصول المنهج العلمي ولا فصول علم التّحقيق، لكي أملأ هوامش الكتاب بعلم فياض من فروق جهلة النّساخ في كتابة(ينبغي)، (تبتغي)،(يقولها)،(تقولها)،(يجرّن)،(يجرّر)(يقرآن)،(بقرآن)،(فراهيد)،(فراهيده)،(فردوسي) (قردوسي)،(يئلوا)،(يتلوا)،وأشباه هذه المعارف الجليلة التي تطفح على هوامش الكتب المحقّقة على أصول (المنهج العلمي)، وعلى فصول(علم التحقيق)، وقد أعفاني يوسف هل[12]، في آخر نسخته، من الاستغراق في ذكر خلافات المخطوطتين)[13]، وهذا ما جعل محمود شاكر يتنصّل من مسؤولية التحقيق أصلا ولا يُثبت هذا

---

(9) المصدر نفسه 117/1

(10)ينظر الجامع لأخلاق الرّاوي وآداب السّامع: الخطيب البغدادي، تحقيق: أبو عبد الرحمان صلاح بن محمد بن عويضة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1424هـ،ص122 وما بعدها.

(11)ينظر تفصيل طرق تحمّل العلم عند العلماء العرب قديما: المزهر في علوم اللّغة وأنواعها: جلال الدّين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم وآخرون، مكتبة دار التراث، ط3، دت، 144/1 وما بعدها.

(12) هو جوزيف هيل المولود في1875 والمتوفّى سنة1950، تخرّج باللّغات الشرقية على فريتز هوميل، من جامعة إرلنجين، ثمّ عيّن أستاذا فيها، وقد عنى بالشعر العربي عناية خاصّة، من آثاره: الفقه الأكبر متنا وترجمة(بينا1915)، وحضارة العرب(ترجمه إلى الانجليزية خودابخش،كمبريدج1925)، طبقات الشعراء لابن سلاّم(ليدن1916)، ينظر ترجمته: المستشرقون: نجيب العقيقي، دار المعارف، القاهرة مصر، ط2،2006، 437/5.

(13) ينظر مقدّمة تحقيق طبقات فحول الشعراء: محمود شاكر 117/1.

المصطلح على واجهة الكتب التي حقّقها كما هو واضح من خلال قائمة الكتب التي أوردناها في العنصر السّابق، وقد صرّح هو نفسه بقصده هذا الذي ارتضاه لنفسه بقوله: (فالدكتور علي جواد الطاهر، قد استخدم في مقالته هذه، وفي هذا الذي نقلته الكلمات الآتية(التحقيق)و(المحقّق)و(يحقّقه)و(حقّقه)، وسائر ما يتصرّف فيه هذا الفعل، وكذلك فعل غيره، كالدكتور منير سلطان والآخرين، وهذا خطأ شنيع، لأني قد أسقطت هذا اللّفظ وجميع مشتقاته من كلامي وكتبي، ودليل ذلك أني في الطبعة الأولى سنة 1952 كتب (طبقات فحول الشعراء) وتحته (شرحه محمود محمد شاكر) وفي الطبعة الثانية1974 كتبت اسم الكتاب، وتحته قرأه(قرأه وشرحه محمود محمد شاكر). وذلك تعمّد منّي، لأنّ (المنهج العلمي) و(علم التحقيق) الذي تخصّص فيهما الأساتذة الكبار كالدكتور علي هما من الأشياء التي طرحتها وراء ظهري منذ زمان طويل جدّا ولأسباب كثيرة جدّا، ولم أتّبع في عملي في كتاب الطبقات وغيره من الكتب إلاّ (منهجا) آخر يخالف (المنهج العلمي) كلّ المخالفة، في جذوره وفروعه، وكذلك نبذت أيضا مستنكفا لفظ (حقّق،وتحقيق،ومحقّق) وما يخرج منها نبذا بعيدا دَبْرَ أُذُني، لما فيه من التبجّح والتعالي والادّعاء، واقتصرت على (قرأ) لأنّ عملي في كلّ كتاب لا يزيد على هذا: أن قرأ الكتاب قراءة صحيحة، وأؤدّيه للنّاس بقراءة صحيحة، وكلّ ما أعلّق به عليه، فهو شرح لغامضه، أو دلالة للقارئ من بعدي على ما يُعينه على فهم الكلام المقروء والاطمئنان إلى صحّة قراءته وصحّة معناه، لا أكثر ولا أقلّ إن شاء الله، فكان لزاما على الدكتور علي وأمثاله أن يضعوني حيث وضعتُ نفسي، إنّما أنا قارئ أو شارح، أو دليل ليس غيرُ، لست (محقّقا)، إنّما المحقّق من يقول في(د): (قال)، وفي نسخة(ع):( نال)، وفي نسخة (م):(فال)،وهلمّ جرّا)[14].

**3 . قواعده العامّة في التحقيق:**

تفاوت المحقّقين لا يبرز إلاّ من خلال بعض المميّزات التي تطبع عملا دون آخر تكون بمثابة الختم الذي يُفرد جُهدا عن آخر وإن كانت بعض الجوانب الشكلية هي القاسم المشترك بين جميع المحققين؛ وأهمّ تلك الخصائص المنهجية في التحقيق التي اشترك فيها محمود شاكر مع غيره وبزّهم فيها ما يلي:

– عنايته بجمع نسخ المخطوط الواحد حيث إنّه لا يهدأ له بال حتّى يتحصّل على رغبته وما كان ينشده ولو قاده ذلك إلى أقاصي البلاد في هذه المعمورة، فما من دليل يقوده إلى بغيته إلاّ ويتّبعه لكي يستوثق ويزداد تأكّدا ممّا بدا له أنّه مظهر من مظاهر النّقص الذي من شأنه أن يشوّه النّسخة التي يريد أن يخرجها للنّاس كاملة غير مجتزأة، وما يشهد على حرصه هذا هو تتبّعه لنسخ المخطوطات في كلّ كتاب حقّقه لاسيما كتاب (طبقات فحول الشعراء)، و(دلائل الإعجاز)و(أسرار البلاغة).

---

(14) المصدر نفسه158/1

ـــ توثيقه لعنوان الكتاب: وله في ذلك مساجلات علمية ومطارحات نقدية كانت له مع أقرانه عندما أخرج للنّاس كتاب (طبقات فحول الشعراء) لابن سلاّم وقد ترسّخ في أذهانهم أنّ العنوان الأصيل لهذا الكتاب يخلو من كلمة (فحول)[15].

ـ سعيه الحثيث للتثبت من المصادر والمظانّ التي استقى منها المؤلّف مادة كتابه لكي يستكمل بها عند مراجعتها ما نقُص من المادّة العلمية التي هو بصدد تحقيقها[16]

ـــ دقّه اصطفائه للكتب التي يروم تحقيقها لكي يستفيد منها النّاسُ نظرا للقيمة التي تحويها؛ وما صنيعه بتفسير الطبري إلاّ خير دليل على ذلك، فهو قد نظر في طبعات الكتاب المختلفة وعثر على موضـــع الخلل فيها فبذل قُصارى جهده في إيجاد النّسخ الأصيلة التي يمكنها أن ترؤب هذا الصدع الذي شوّه طبعات الكتاب الكثيرة، وتفسير الطبري مصدر نفيس مثّل لعصور طويلة قديمها وحديثها معينا لكل من أراد أن يطّلع على أصول التفسير ورواياته فمحمود شاكر قد قدّر قيمة هذا الكتاب وطاوعته نفسه في تحقيقه رفقة أخيه المحدّث أحمد شاكر بالرّغم من المصاعب الجمّة التي واجهاها في نسخه وتقسيم فقراته وتخريج شواهده المختلفة؛ يقول محمود شاكر متحدّثا عن هذه المعاناة التي كابدها في سبيل تحقيق هذا السّفر النفيس:(بيد أني كنت أجد من المشقة في قراءته ما أجد، كان يستوقفني في القراءة كثرة الفصول في عبارته، وتباعد أطراف الجُمَل، فلا يسلم لي المعنى حتى أعيد قراءة الفقرة منه مرتين أو ثلاثاً .وكان سبب ذلك أننا ألفنا نهجاً من العبارة غير الذي انتهج أبو جعفر، ولكن تبين لي أيضاً أن قليلاً من الترقيم في الكتاب، خليق أن يجعل عبارته أبينَ، فلما فعلت ذلك في أنحاء متفرقة من نســـختي، وعُدْتُ بَعْدُ إلى قراءتها، وجدتها قد ذهب عنها ما كنت أجد من المشـــقة...فتمنّيت يومئذ أن ينشـــر هذا الكتاب الجليل نشـــرة صـــحيحة محققة مرقمة، حتى تســـهل قراءتها على طالب العلم وحتى تجنبه كثيراً من الزلل في فهم مراد أبي جعفر)[17].

ـــ إعداده للفهارس الفنيّة لكلّ كتاب بما يستوجبه موضوعه؛ حيث إنّ هذه الفهارس تتنوّع بحسب المادّة العلمية للكتاب فهو مثلا في تحقيقه لتفسير الطبري ارتأى أن يجعل لكلّ جزء فهارسه لتقريب المطلوب من القارئ لأنّه لو جمعها في جزء منفصـــل يكون في آخر الكتاب لكان ذلك أشـــق على قارئ الكتاب إذا ما أراد العودة إلى مظان المعلومة من خلال إحالتها في الفهارس لاســـيما وأن الكتاب يقع في أربعة وعشـــرين جزءا، ولعلّ كشـــفه عن المصطلحات النحوية ورصدها في التفسير ومحاولته جمع وحصر أكثر من ألفي شاهد شعري خير دليل على صبره ودقّة استقصائه.

**نتائج الدراسة**

---

(15) المصدر نفسه133/1

(16) ينظر جهده في هذه المسألة: مقدّمة تحقيقه دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني، مطبعة المدني، القاهرة، مصر،ط3، 1992م، ص هـ.

(17) ينظر مقدّمة تحقيقه لجامع البيان في تأويل القرآن: أبو جعفر الطبري، مؤسسة الرّسالة، بيروت، لبنان، ط1، 2000م،11/1.

قيمة الكتب التي حققها محمود شاكر تكتسي أهميتها في ثراء الإحالات العلمية المتنوعة شكلا ومضمونا فالصورة التطبيقية لمنهجه يمكن عدّها مدرسة متكاملة المعارف في جميع العلوم اللغوية والأدبية.

ما يدل على حنكته في التحقيق وامتلاكه للأدوات الفاعلة في استقراء التراث هو عدم اقتفائه لأثر المستشرقين في هذا العلم بل إنه تعقبهم وأوضح الزلل فيما أخفقوا في تحقيقه إما لعجزهم في إدراك معنى التُبس عليهم لعُجمتهم أو لكونهم نظروا إلى الحقيقة العلمية بعين واحدة تفتقد إلى الحيادية والمصداقية.

مثلت تحقيقاته فضاء نقديا تحكمه الموضوعية في أحايين كثيرة لأن أطراف الصراع في تلك المعارك النقدية تسلحوا بأعز ما يملكونه في علم التحقيق وسبر أغوار التراث بجميع أسراره ومكامنه فمحمود شاكر من خلال ردوده على خصومه ومعارضيه في الفكرة والمنهج لم يكن سوى هاديا إلى سبيل الحق الذي طُمست معالمه حينما ازدرى بعض المحدثين من العرب تراث أمتهم وتنكروا له إما جهلا لقيمته أو هي مجاراة للذين يتربصون الدوائر بأصول الفكر الإسلامي العربي.

المبتغى الذي كان ينشده محمود شاكر من وراء كتاباته عموما وتحقيقاته خصوصا هو استكناه مقاصد الفكر العربي الأصيل وتجديده بما يتوأم وهوية هذه الأمة دون اجترار عقيم أو تقليد أعمى لما قاله وتركه القدماء، لكن الأمر عنده فيه سعة للاجتهاد الذي لا مجال فيه للانسلاخ والاستغراب.

جهود المستشرقين في تحقيق المخطوطات العربية المستشرقون الألمان نموذجا

بن يوسف شتيح

**ملخص المداخلة :**

لايزال موضوع تحقيق المخطوطات العربية وغيرها اشكالا يحتاج الى مدارسات وحوارات علمية واعية باستمرار نظرا لما يكتنفه هذا الموضوع الحساس من اهمية قصوى وتبقى جهود الباحثين والاكادميين المهتمين بالمخطوط في حاجة الى تقييم وتدعيم تارة والى تطوير وتحديث تارة اخرة.

وان جهود الباحثين العرب ظلت تترا لإحياء التراث والمحافظة عليه وإخراجه الى الناس ولكن اعداد المخطوطات في ارجاء المعمورة فاقت كل تصور وتجاوزت كل تقدير مما يؤكد أن أي تهاون او تغافل في شأن المخطوط يعد جريمة لا تغتفر في حق تراثنا العربي وانتمائنا القومي و هويتنا الوطنية .

ولكن من الانصاف ان نلتفت الى جهود بذلت من قبل فئة المستشرقين الذين اشرأبت اعناقهم نحو تراثنا العربي وميراثنا الثقافي فطفقت تستثمر الخبرات وتكثف الجهود للاعتناء بالتحقيق والتدقيق فكان لهم منهجهم في نشر المخطوطات وانفردوا بشيء من القواعد في هذا السياق فكانت لهم اليد الطولى والفضل الذي لا يجحد في نشر بعض النوادر من مخطوطاتنا . فقد اعتمدوا في نشرهم للنصوص العربية على القواعد الاوربية في نشر النصوص الكلاسكية اليونانية واللاتينية وهي قواعد كانت غاية في الدقة كما وصفها بعض الباحثين . وتأتي هذه المداخلة لتميط اللثام عن تلك القواعد التي وضعها المستشرقون الالمان في تحقيق النصوص وبيان كيفية الاستفادة منه .والوقوف على تلقي الاخر للتراث العربي وكيف تعامل معه بإنصاف ام بإجحاف ؟ وماهو دور المدرسة الإستشراقية الالمانية في هذا المجال ؟وهل يمكن ان يتخذ من جهود المستشرقين ارضية لتوحيد الرؤى وتقريب وجهات النظر .؟ .

**تمهيد**

اهتم العرب في الربع القرن الماضي بنشر تراثهم القديم وتحقيقه وكان المستشرقون قد الى نشر هذا التراث منذ اكثر مئة عام فنشروه متبعين نهجا علميا دقيقا مع ضعف فريق منهم باللغة العربية او اطلاع اخرين منهم عليها

وشاء العرب أن يحذوا حذو المستشرقين في تحقيق النصوص .فنجح أناس اوتوا العلم والنهج العلمي , وأخفق آخرون اعوزهم المهج الذي ينبغي اتباعه في النشر , وحاول هؤلاء ستر نقصهم هذا بالغض مما نشر المستشرقون واتخذوه هزوا

ثم زاد الاستخفاف بما نشر المستشرقون وبالمنهج الذي اتبعوه, عن الجهل بالنهج العلمي وعصبية ضده , ورأينا كل ناشر ينهج في نشره منهجا ويزعم انه ابتدع طريقة

"ومن الانصاف ان تقرر ان المستشرقين كان لهم فضل السبق في نشر تراثنا العربي , منذ القرن الماضي وأنهم اول من نبهنا الى كتبنا ونوادر مخطوطاتنا وانهم وضعوا بين ايدينا نصوصا لولاهم لم نعرفها . نضرب على ذلك مثالا : ففي سنة 1922 هجري نشر وستنلفد معجم البلدان لياقوت , وفي سنة 1819 م نشر فريتاغ المنتخب من تاريخ حلب الابن العديم . ولم يصدر حتى اليوم طبعات عندنا احسن منهما

طبق المستشرقون في نشرهم النصوص العربية القةاعد التي تتبع في اوربية لنشر النصوص الكلاسيكية : اليونانية واللاتينة . وهي قواعد دقيقة تتضمن الامانة في إخراج النص , وتضمن ان ياتي النص المنشور كما وضع في اصله. وقد طبقت هذه القواعد في هذا القرن , في نشر النصوص العربية , جمعية المسترقين الألمان DMG في نشرياتها Bibliotheca islamica التي كان يشرف عليها المستشرق الكبير هـ رويتر.وطبقتها جمعية غيوم بوره Associtionن Guillaume Budé في فرنسة وتبعها من جميع المستشرقين وكان على ناشري النصوص من العرب اتباع الطريقة العلمية التي يتبعها المستشرقون والاطلاع على قواعدهم واقتباسها , او اقتباس الجيد منها . ولكن الذين فعلوا ذلك قلة" [1].

ولأن وقد ظهرت في البلاد العربية نهضة علمية قوية, ومال كثيرون الى نشر النصوص القديمة, ومال كثيرون الى نشر النصوص القديمة, واختلفت الطرق التي يتبعها الناشرون كما ذكرنا كان لابد من وضع قواعد عملية دقيقة ينهجها المحققون, وتتوج دبها الطرق في التحقيق والنشر .

**1/- المستشرقون وخدمة التراث العربي :**

**أ-) جمع المخطوطات العربية :**

اهتم المستشرقون منذ زمن طويل بجمع المخطوطات العربية من كل مكان في بلاد الشرق الاسلامي .

وكان هذا العمل على وعي تام بقيمة هذه المخوطات التي تحمل تراثا غنيا في شتى مجالات العلوم .

1- صلاح الدين المنجد، قواعد تحقيق المخطوطات دار الكتاب الجديد بيروت ط 7- 1978 ص.7 -8

"وكان بعض الحكام في اوربا يفرضون على كل سفينة تجارية تتعامل مع الشرق ان تحضر معها بعض المخطوطات . وقد ساعد الفيض الهائل من المخطوطات المجلوبة من الشرق على تسهيل مهمة الدراسات العربية في اوربا وتنشطيها .

ومنذ الحملة النابليونية على مصر عام 1798 م تزايد نفوذ اوربا في الشرق وساعد ذالك على جلب الكثير من المخطوطات . وكانت الجهات المعنية في اوربا ترسل مبعوثيها لشراء مخطوطات من الشرق . فعلى سبيل المثال ارسل (فريديريش فيلهلم الرابع) ملك بروسيا ( ريتشارد ليبسيوس) الى مصر عام 1842م و(هينيريش بيترمان ) عام 1852 م الى الشرق لشراء مخطوطات شرقية .

وقد تم جمع المخطوطات من بطرق مشروعة وغير مشروعة ، ولقد لقيت هذه المخطوطات في اوربا اهتماما عظيما وتم العمل على حفظها وصيانتها من التلف والعناية بها عناية فائقة وفهرستها فهرسة علمية نافعة تصف النخطوط وصفا دقيقا وتشير الى ميتضمنه من موضوعات وتذكر اسم المؤلف وتاريخ ميلاده ووفاته وتاريخ تأليف الكتاب او نسخه ...الخ وبذلك وضعت تحت تصرف الباحثين الراغبين في الاطلاع عليها في مقر وجودها او طلب تصوريها بلا روتين او اجراءات معقدة .

وقد قام الوارد ahlwardt بوضع فهرس للمخطوطات العربية في مكتبة برلين في عشرة مجلدات بلغ فيه الغاية فنا ودقة وشمولا . وقد صدر هذا الفهرس في نهاية القرن الماضي وإشتمل على فهرس لنحو عشرة الاف مخطوط .

وقد قام المستشرقون في الجامعات والمكتبات الاوربية كافة بفهرسة المخطوطات العربية فهرسة دقيقة وتقدر المخطوطات العربية الاسلامية في مكتبات اوربا بعشرات الاف بل قد يصل عددها الى مئات الالاف .

وهناك دراسات للمستشرقين عن هذه المخطوطات في مجالات عديدة . وعلى سبيل المثال باحثة من المستشرقين بإعداد بحث عن نوادر مخطوطات القرأن الكريم في القرن السادس عشر قال عنه الشيخ امسن الخولى بعد ان سمعه اثناء حضوره لمؤتمر المستشرقين الدولى الخامس والعشرين

"لقد قدمت السيدة كراتشكوفسكي بحثا عن نوادر مخطوطات القران في القرن السادس عشر ميلادي واني اشطك في ان الكثيرين من أئمة المسلمين يعرفون شيئا عن هذه المخطوطات وأضن هذه مسألة لا يمكن التساهل في تقديرها "[1]

وهنا كلمة حق يجب ان تقال وهي ان انتقال هذا العدد من المخطوطات الى اوربا بوسائل شرعية او غير شرعية قد هيأ لها احجث وسائل الحفظ والعناية الفائقة والفهرسة الدقيقة . وعندما اقول هذا اشعر بالأسى والحصرة لحال المخطوطات النادرة في كثيرا من بلادنا العربية والإسلامية وما أل اليه حال الكثير منها من التلف والتآكل وصعوبة او استحالة الاستفادة منها .

**ب) التحقيق والنشر :**

ولم يقتصر عمل المستشرقين على جمع المخطوطات وفهرستها بل تجاووز ذالك الى التحقيق والنشر فقد قاموا بتحقيق الكثير من الكتب التراث وقابلوا بين النسخ المختلفة ولاحظوا الفروق و أثبتوها و رجحوا منها ما حسبوه أصحها و اعدلها و أضافوا الى ذلك فهارس ابجدية للموضوعات و الأعلام و اثبتوها في أواخر الكتب التي نشروها و قاموا في بعض الاحيان بشرح بعض الكتب شرحا مفيدا .

---

1- محمود حمدي زقزوق ،الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الفكري ، دار المعارف- القاهرة- 1997 ص 64/63

و هكذا استطاعوا ان ينشرو عددا كبيرا جدا من المؤلفات العربية كانت عونا كبيرا للباحثين الاوربيين من المستشرقين و غيرهم من بلاد الشرق . و قد عرفنا الكثير من كتب التراث
محققا و مطبوعا على ايديهم . و من بين هده الكتب نذكر – على سبيل المثال لا الحصر –"نشرهم لسيرة ابن هشام و الاتقان لسيوطي و المغاز لواقدى و الكشاف لزمخشري و تاريخ الطبري و كتاب سيبويه و الاشتقاق لابن دريد و الانساب لسمعاني و معجم الادباء لياقوت و تجارب الامم لبن مسكويه وفتوح مصر والمغرب والاندلس لابن عبد الحككم واللمع لأبي نصر السراج والبديع لابن المعتز وحي بن يقظان لابن طفيل والمختصر في حساب الجبر والمقابلة للخوارزمي والملل والنحل للشهر ستاني ، وعمدة عقيدة اهل السنة والجماعة للحافظ النسفي وفتوح الشام للازدي البصري وفتوح الشام للواقدى والكامل للمبرد والجمهرة لابن دريد واخبار النحويين البصريين للسيرافي وكتاب المناظر لابن هيثم ولاصابة في تمييز الصحابة لابنحجر العسقلاني والأحكام السلطانية للماوردي وفضائح الباطنية للغزالي وتايخ اليعقوبي والفهرست لابن النديم وكشف الظنون لحاجي خليفة والتعريفات للجرجاني وطبقات الحفاظ للذهبي و وفيات الأعيان لابن خلكان و تهذيب الاسماء للنووي و صحيح البخاري و المقتضب لابن جنى و مقالات الإسلاميين للأشعري و الوافي بالوفيات للصفدى والتيسير في القراءات السبع لابي عمرو عثمان الداني و الرد الجميل على مدعي الوهية المسيح بصريح الانجيل للغزالي و عيون الانباء في طبقات الاطباء لابن ابي اصبعه و الاغاني للاصفهاني و الاوائل لسيوطي و الطبقات لابن سعد و عيون الاخبار لابن قتيبة و الفقه الاكبر لابي حنيفة و عدد هائل من دواوين الشعر العربي في عصوره المختلفة " [1]

**2-/ إسهامات المدرسة الاستشراقية الالمانية في خدمة التراث**

إن ما قدمه المستشرقون للتراث العربي شيء لا ينبغي أن يجحد، و الإستشراق بمدارسه المتنوعة لكل مدرسة منه كيانها المستقل من حيث الأهداف و الرواد و المؤسسون، و الأسلوب المنهجي و العلمي الذي خدمت به هذا التراث .

و يرى بعض الباحثين في الظاهرة الإستشراقية أن المستشرقين ليسوا على خط واحد في تعاملهم الإيديولوجي مع تراثنا العربي أدبيا كان أم لغوي، و ليسوا على مسافة و احدة حيث أمكن تصنيفهم إلى صنفين إثنين : فمنهم المتحاملون الحاقدون الذين ما درسوا التراث إلا لأهداف مسبقة معلنة و غير معلنة، و هذا توجه أغلب المدارس الإستشراقية .

و هناك المنصفون اللذين إلتزموا الحياد العلمي الظاهر، بل منهم المنبهرون بالتراث العربي و المدافعون عنه أحيانا حتى جر ذلك عليهم الكثير من الأتعاب و الأذى .

و من المدارس الإستشراقية التي صنفها الباحثون ضمن هذه الظاهرة؛ المدرسة الألمانية التي كان لها الإسهام الوافر لا سيما في مجال الأدب و اللغة العربية، و هذا البحث يناقش في إيجاز الجهود اللغوية التي قدمها الإستشراق الألماني، و ذلك من خلال أبرز الشخصيات التي قدمت للعربية جهدا لا ينكر . و يثري أهم الخصائص المنهجية و الذاتية التي إنفردت بها المدرسة الألمانية .

---

1- المرجع السابق ص 65-66

لقد أصبح الاستشراق اليوم علما له كيانه ومنهجه، ومدارسه وفلسفته، ودراساته ومؤلفاته وأغراضه وأتباعه، ومعاهده ومؤتمراته..وهو اتجاه فكري يعنى بدراسة حضارة الأمم الشرقية بصفة عامة وحضارة الإسلام والعرب بصفة خاصة، وقد كان مقتصرا في بداية ظهوره على دراسة الإسلام واللغة العربية، ثم اتسع لدراسة الشرق كله بلغاته وتقاليده وآدابه، ولقد نالت ظاهرة الاستشراق حظا وافرا من الدراسات والأبحاث، واختلفت الآراء حولها، وكانت محط جدل واسع بين مؤيدين ومعارضين، بل نستطيع الجزم أن هذه الظاهرة من أكثر المسائل إثارة للجدل والنقاش، وسوف يستمر لأزمنة لاحقة، حتى يتم فهمها فهما علميا بعيدا عن التعصب والولاء، والهوى والأحكام المسبقة.

وكثيرة هي الدراسات والمؤلفات التي غرقت في إبراز وتحليل الجوانب الفكرية، والأيديولوجية لظاهرة الاستشراق إلى حد التطرف في أن كل ما أنتجه المستشرقون حول الدراسات الإسلامية والعربية ملغوما ولا يمكن اعتباره من المراجع العلمية الموثوقة، وغرق فريق آخر في التبجيل والتعظيم لما أنتجه المستشرقون عن الشرق وحضارته وآدابه وكل ما يتعلق به، "والدراسات الاستشراقية وإن كانت قد تعددت أغراضها، وتباينت أهدافها إلا أنها لم تكن خالية من الفائدة العلمية التي لا مناص لنا من الاعتراف بها فالمستشرقون قاموا بجمع المخطوطات العربية والإسلامية والشرقية وفهرستها، وحققوا العديد منها بأعلى المقاييس العلمية والمتعارف عليها، ونشروها نشرا علميا خالصا، وترجموا الآلاف من هذا التراث إلى اللغات العلمية، وعرفوا الآخرين بحضارتنا وتراثنا، ومن هنا فإن هذه الدراسات الاستشراقية تستحق منا الإطلاع عليها ودراستها لا بالثناء المطلق، ولا بالتحامل المطلق، بل نخضعها لمعايير البحث العلمي الصارم، ومهما بلغت هذه الدراسات من الموضوعية في مضمونها إذا سلمت من التعصب والهوى، فإنها لا تخلو من هنات وأخطاء لغوية أو علمية أو تاريخية سببها الجهل باللغة العربية أو اللغات الشرقية الأخرى، فهؤلاء القوم مهما بلغت معرفتهم بلغتنا وحضارتنا، فقد يغيب عنهم فهم العديد من المصطلحات والتعابير اللغوية ..ولا ننسى أن الإطلاع على الدراسات الاستشراقية يقودنا إلى الاستفادة من تلك المناهج العلمية التي طبقها المستشرقون في دراساتهم خاصة تلك المناهج الموسومة بالعلمية والموضوعية، والدقة في التحقيق والاستقراء، كما لا يغيب عن أذهاننا ما يمتاز به المستشرقون من الصبر والمثابرة، وتجشم الصعاب والأخطار، والتضحية بالنفس والمال، تكاد تكون مضرب الأمثال".[1]

لقد ألم المستشرقون بجميع مناحي الحياة الشرقية والإسلامية ولم يدعوا مجالا إلا وأدلوا فيه بدلو، ولم يتركوا شاردة ولا واردة إلا وكان لهم فيها مقال، ولم يهملوا جزئية أو رأيا مهما كان تافها، إلا وأشبعوه بحثا وتحليلا، فمن واجبنا أن نطلع على دراستهم ومؤلفاتهم حول تراثنا العربي والإسلامي والحكم عليها من خلال المنظار الموضوعي بعيدا عن التعصب والأحكام المسبقة. وفي حدود علمنا تعد الدراسات العربية حول الإنتاج الاستشراقي في مجال

[1] ساسي سالم الحاج، الظاهرة الإستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية، الجامعة المفتوحة، طرابلس، ط3، 1997، ص 7- 8.

الثقافة الإسلامية عموما غزيرة كالمستشرقين والقرآن أو السنة النبوية أو السيرة والتاريخ الإسلامي أو الفقه والتشريع وغيرها. أما حول الإنتاج الاستشراقي في مجال الدراسات اللغوية والأدبية فقد كان قليلا لاسيما الأبحاث والدراسات المتعلقة بالدرس اللغوي عموما، فلقد أسهم فيه المستشرقون بقسط كبير، ولم ينل ما يستحق من العناية والدرس. وكان حظ المدارس الاستشراقية الكثيرة متفاوتا في الدراسات اللغوية والأدبية، فبعضها جمع بين المجالين، وبعضها نحا منحى التخصص. ولا يفوتنا أن نشير إلى أن عناية الاستشراق باللغة العربية تركز على

" دراسة كل ما يتصل بها فبحث في فقهها، وأصواتها، ولهجاتها، وصرفها ونحوها، ومعاجمها، وأطوارها، ومادتها، وبلاغتها، وفلسفتها، وعلاقتها باللغات الأخرى، خاصة السامية، ومميزاتها وعناصرها، وتاريخها، ونقوشها، وكل ما أنتجته هذه اللغة حتى يبدو وكأنه قد صب اهتمامه كله عليها، وذلك لصلتها الوثيقة بالقرآن والحديث والشريعة على حد سواء."[1]

**أ–) من خصائص المدرسة الاستشراقية الألمانية:**

وكان الاقتصار على هذه النخبة من المستشرقين الألمان عينة تنبئ عن مدى الشغف الذي سيطر على نفوس الباحثين في الشرق ولغته من كبار المدرسة الألمانية. ولا يعني ذلك أن ما ذكر من هذه الأسماء اللامعة، أنه لا يوجد غيرهم من الذين كرسوا أعمارهم في البحث عن اللغة وأسرارها، وعلومها، وفقهها إلى غير ذلك. " فلقد اعتنى المستشرقون الألمان بالعربية منذ فترة مبكرة، فقد نشر الألماني "فلهلم بوستل" "wilhelm postel" سنة 1538م مصنفه الأول في "قواعد العربية" "Grammatica Arabica" ولكنه كان باللاتينية كما هي الحال السائدة في أوربا آنذاك. وقد زاد نشاطهم واهتمامهم بالعربية منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وهي فترة طويلة نسبيا، صنفوا خلالها كثيرا من البحوث العلمية والكتب التعليمية، وتأثرهم واضح بالدرس اللغوي عند العرب، خاصة الجيل الأول منهم مثلا: "فلايشر" "Fleischer"، و"كاسبراي" "Caspori"، و"ركندورف" "Reckendorf"، ثم أخذ يقل تدريجيا إلى أن أصبح بدرجة أقل عند "سوتزين" "Socin" و"بروكلمان" "Brochelman" وقد اهتم المستشرقون في الماضي بالفصحى التراثية التي أسموها العربية الكلاسيكية، ثم اهتموا بالعربية المعاصرة التي أسموها بالعربية المعاصرة المكتوبة، والعاميات المعاصرة." [1]. وقد تناول بعض الدارسين جهود الألمان اللغوية، وأولوها عناية خاصة ذلك لما تمتلكه هذه المدرسة من تراث واسع حول اللغة العربية على وجه التحديد.[2]

1 - يحيى مراد، معجم أسماء المستشرقين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2004، ص79.

[1] اسماعيل أحمد عمايرة، بحوث في الاستشراق واللغة، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان، ط2، 2003، ص 321- 322.

[2] أنظر على سبيل المثال مقالات وبحوث لاسماعيل أحمد عمايرة في كتابه "بحوث في الاستشراق واللغة" المقال بعنوان "الفصحى في الدرس اللغوي وكتب تعليم العربية عند المستشرقين الألمان"ص 319، ومقال آخر بعنوان: "المراحل الزمنية للغة العربية الفصحى" بقلم المستشرق: "فولف ديتريش فيشير" ص 485 ومقال بعنوان: "الجمل المصدرة ب أن و "أن" لنفس المستشرق، ص 493، قام عمايرة بترجمتها عن الألمانية.

والمدرسة الألمانية الاستشراقية كغيرها من المدارس الأخرى قد جعلت العرب والمسلمين وتراثهم وحضارتهم موضوعا للدراسة سخروا ما بوسعهم من جهد مادي ومعنوي للتحقيق ما يهدفون إليه من وراء اهتمامهم المتميز بالشرق ولكن لكل مدرسة استشراقية خصائصها وخطتها وخلفيتها الفكرية والمذهبية تتجلى أثناء البحث والدراسة لشؤون الشرق عموما والشرق العربي والإسلامي على وجه الخصوص ولكن " يتميز الاستشراق الألماني بميزة خاصة حيث لم يرتبط إلا في القليل النادر بالاستعمار الذي سيطر على عالمنا الإسلامي ردحا من الزمن، ومن هنا حظي بسمعة طيبة، وذلك فضلا عن تميزه في كثير من الأحيان بالموضوعية. ونذكر في هذا المقام كتابات العديد من المستشرقين الألمان بدءا من "رايسكه" وانتهاء "زغريد هونكه" و"آناماري شميل" في العصر الحاضر. وهناك بطبيعة الحال أمثلة أخرى كثيرة تتسم بتلوينات سلبية سواء كان ذلك عن قصد أو سوء فهم للنصوص، أو خطا في الاستنتاج أو غيرها."[1]

لقد تناول بعض الباحثين في الشؤون الاستشراقية الاستشراق الألماني بالدراسة الوافية، وقد سبقت الإشارة إلى أولائك المهتمين بهذه المدرسة وما ألفوه حول روادها وأبرز سماتها الفكرية، وأصولها المنهجية وأهم توجهاتها

في دراسة التراث العربي والإسلامي، والمراحل التاريخية التي مرت بها. " فأهم السمات التي اتسم بها الاستشراق الألماني ما يلي :

1. تعدد مجالاته سواء أكان ذلك في موضوعات الاستشراق التقليدي أم في الموضوعات المعاصرة.
2. أن علم الشرق المرتبط بالعصر الحاضر، يقصد منه دراسة الشرق على مستوى العلوم الإنسانية والعلوم التطبيقية.
3. عدم اختفاء الهدف التنصيري في أعمال عدد من المستشرقين الألمان حيث ساهموا في رحلات البحث إلى فلسطين على اعتبار أنها أرض الكتاب المقدس، كما تم إنشاء المعهد الانجليزي في فلسطين.
4. كان الهدف الاستعماري من بين الأسباب التي أدت إلى الاهتمام بالدراسات المعاصرة في العالم الإسلامي، ويظهر ذلك في أعمال "كارل هينرش بيكر"، والذي أسس معهد المستعمرات في هامبورج.
5. تميز الاستشراق الألماني بوجود التخصصات البينية للمساهمة الشاملة في دراسة الشرق حيث تتعاون تخصصات غير استشراقية مع تخصصات استشراقية في إصدار أعمال شاملة عن الشرق.
6. وجود معاهد بحث خاصة بالأبحاث المرتبطة بالشرق، وغير تابعة للجامعات مثل معهد "ماكس بلانك".
7. رغم التطورات العديدة التي طرأت على الاستشراق الألماني، وميل غالبية الباحثين إلى الدراسات المعاصرة، إلا أن الإستشراق التقليدي لا يزال الأساس الذي يعتمد عليه الاستشراق المرتبط بالعصر الحاضر."[1]

[1] - أحمد محمد هويدي، الاستشراق الألماني تاريخه وواقعه وتوجيهاته المستقبلية، مطابع دار التعاون للطبع والنشر، القاهرة، 2000، ص 3.

وكان اهتمام المدرسة الاستشراقية الألمانية كغيرها من المدارس الأخرى ببعض القضايا التي لا تخلو من أهداف وأغراض، ولكن قد تكون بدرجات متفاوتة بين المدارس الاستشراقية كقضية التصوف والمتصوفة لاسيما ما يعدونه من قبل الاضطهاد ومصادرة للحريات لفئة من أهل التصوف الذين كانت لهم آراء شاذة كالحلاج، وابن عربي وغيرهما.

وقضية اللهجات، واللغات الدارجة والتي قدم فيها المستشرقون عموما دراسات مستفيضة، ومسألة الفرق الإسلامية وطروحاتها الفكرية والعقدية خاصة تلك التي عانت عبر التاريخ كالمعتزلة والشيعة وغيرها من المسائل التي جذبت انتباه المستشرقين وقدموا فيها رسائل أكاديمية ونالوا بها رتبا علمية مرموقة. وعن الأصول المنهجية المدرسة الألمانية فقد عدها الدارسون فرنسية الينابيع والأصول " ففي مطلع القرن التاسع عشر وبفضل العلامة "دي ساسي" أستاذ العربية والفارسية في مدرسة اللغات الشرقية بباريس الذي جدد الدراسات العربية، ولاسيما علمي النحو والصرف في أوربا جمعاء، فقصده الألمان وغيرهم، وتتلمذوا عليه وتأثروا به ومن أشهرهم "فلايشير" و"إيفالد" فعدا مؤسسي الدراسات العربية في ألمانيا وتخرجا عليهما كبار المستشرقين"[2].

ويرى الباحثون في الاستشراق الألماني أنه مر بتطورات متعددة خلال تاريخه " فمع انتهاء الحرب العالمية الأولى يلاحظ اتجاه علماء الدراسات الإسلامية بقوة نحو الموضوعات التاريخية والتركيز على العمل الفيلولوجي، فقد كان من الطبيعي أن يؤدي انتقال السلطة إلى النازيين، إلى إبعاد عدد من المستشرقين الألمان المشهورين إلى الخارج بعد 1933 لأسباب سياسية وعنصرية، وقد كان النازيون يميلون إلى التقليل من الدراسات الشرقية، وذلك

---

1- المرجع السابق ص 19

2-نجيب العقيقي، المستشرقون، ج2، ص 341

بإدعاء أن الدعم للاستشراق لمدة عقود طويلة أدى إلى تحويل النظر عن دراسة الثقافة الألمانية المميزة..وقد أدى هذا إلى أن تحتل علوم الإسلام مكانة ضئيلة في خريطة البحث الألماني مثلها مثل علوم الاستشراق بصفة عامة."[1]

ويعد صلاح الدين المنجد من المتخصصين في الاستشراق الألماني كما ذكرنا قبل، حيث أثرت عنه دراسات واسعة، أحاطت بشؤون هذه المدرسة المتميزة في نظره. فكتب تحت عنوان: "لمحات من عظمة الاستشراق الألماني" " والمتتبع لحركة هذا الاستشراق يلاحظ أنه اختص بمزايا واضحة، وهي في رأيي:

1. لم يخضع لغايات سياسية أو استعمارية أو دينية، كالاستشراق في بلدان أوروبية أخرى فألمانيا لم يتح لها أن تستعمر البلاد العربية أو الإسلامية، ولم تهتم بنشر الدين المسيحي في الشرق لذلك لم تؤثر هذه الأهداف في دراسات المستشرقين الألمان، وظلت محافظة على الأغلب على التجرد والروح العلمية. وإذا ظهر في بعض الدراسات الاستشراقية الألمانية بعض الانحراف في الرأي، أو الخطأ، فهذا أمر لا يمكن تعميمه في الدراسات كلها .

2. لم تكن دراسات المستشرقين الألمان عن العرب والإسلام والحضارة الإسلامية العربية متصفة على الأغلب بروح عدائية. نعم لقد وجد بعض المستشرقين الذين أتوا بآراء لا توافق العرب والمسلمين، أو بآراء خاطئة تماما كبعض آراء "نولدكه" عن الشعر الجاهلي والقرآن الكريم، أو آراء "فوللرز" "Vullers" عن القرآن وتهذيبه، لكن هذه الآراء معدودة، فالاستشراق الألماني لم يعرف مستشرقين جعلوا ديدنهم عداء العرب والإسلام، وتعمدوا الدس والتشويه في دراساتهم، بل العكس وافقت هذه الدراسات روح إعجاب وتقدير وحب وإنصاف. فعلى سبيل المثال نجد "رايسكه" سمى نفسه "شهيد الأدب العربي" . حتى إن بعضهم أسلم حبا للعربية والإسلام مثل: "ريشر" الذي سمى نفسه "عثمان" بعد إسلامه، وقد نال بعضهم الكثير من المتاعب والأذى في سبيل العربية، ومنهم من كف بصره وهو يبحث لسنوات في النصوص العربية يحققها على نفقته الخاصة.

3. المنهج العلمي الدقيق الذي يعتبر عند بعضهم مثالا نادرا يحتذى.

ولست أنكر أن في إنتاج بعض هؤلاء المستشرقين نقصا وأغلاطا، ولكن يكفي أنهم عملوا بحماسة وحب بقدر ما أسعفتهم به المعرفة والمصادر، ولقد استدرك بعضهم على بعض بإخلاص، وصحح بعضهم أخطاء بعض، وكانوا علماء حقا يقبلون كل نقد وتصحيح ."[2]

سبق التعرض في المبحث السابق لشخصيات استشراقية من المدرسة الألمانية كان لها العطاء الغزير في ميدان الدراسات العربية وتركوا البصمات الواضحة على تراثنا العربي، وكان الوقوف على أبرز هذه الوجوه العلمية على سبيل التمثيل وليس الحصر، وقد نالت هذه المدرسة قسطا من البحوث والمؤلفات من قبيل الجمع والاستقصاء، أو النقد والتقييم فبالإضافة إلى موقف ادوارد سعيد من الاستشراق الألماني الذي أشير إليه آنفا. وهناك آخرون برأوا ساحة هذه المدرسة من الخلفيات الإيديولوجية أو الأهداف غير العلمية

---

1- احمد محمد هويدي الاستشراق الالماني تاريخه وواقعه وتوجهاته المستقبلية ، دار التعاون الطبع والنشر القاهرة 2000-ص 163

2- صلاح الدين المنجد، المستشرقون الالمان دار الكتاب الجديد بيروت ط 1 1978 جـ1 ص 7-12-8

ومن بين هؤلاء " صلاح الدين المنجد الذي كان أكثر من كتبوا عن الاستشراق وتعاطفوا مع الاستشراق الألماني، وتبرئته من التبعات غير العلمية التي ألصقت بالمستشرقين من جنسيات أخرى، وظهر منه ذلك في عدد من الدراسات الهامة، والأعمال

المتخصصة، والتي ركز فيها على هذا النوع من الاستشراق منها: " المستشرقون الألمان وتراجمهم وما أسهموا به من الدراسات العربية"، ومنها :" المنتقى من دراسات المستشرقين"، وكذلك : "الاستشراق الألماني في ماضيه ومستقبله".[1]

**ب) نماذج من المستشرقين في المدرسة الألمانية**

تتمثل جهود المستشرقين على مدى تاريخهم الطويل بما في ذلك المدرسة الألمانية في أعمال مختلفة تشكل في مجموعها كلا واحدا لخصها المهتمون بشؤون الاستشراق في جملة من الأعمال الكبرى يأتي في مقدمتها: التدريس الجامعي حيث لا تكاد تكون هناك جامعة في أوربا أو أمريكا إلا وقسم أو معهد منها خاص بالدراسات العربية والإسلامية بل يوجد أحيانا في بعض الجامعات أكثر من معهد للاستشراق مثل جامعة "ميونيخ" تقوم هذه المعاهد بالتدريس وتعلم العربية وتخريج الدارسين في أقسام الماجستير والدكتوراه، ولكل معهد مكتبة عامرة بالكتب العربية والإسلامية "وكان اهتمام المستشرقين بجمع المخطوطات منقطع النظير مبنيا على وعي عميق بقيمتها وما تحمله من تراث غني في شتى المجالات العلمية.. وقد قام المستشرق "آلوارد" "Ahlwardt" بوضع فهرس للمخطوطات العربية في مكتبة "برلين" في عشرة مجلدات بلغ فيها الغاية فنا ودقة وشمولا صدر في القرن التاسع عشر، واشتمل على عشرة آلاف مخطوط، ومن الإنصاف القول أن انتقال هذا العدد الهائل من المخطوط إلى أوربا قد يصل إلى الآلاف قد تهيأت له وسائل الحفظ والعناية الفائقة والفهرسة الدقيقة"[2]. ولم يقتصر عمل المستشرقين على جمع المخطوطات وفهرستها بل تجاوز ذلك إلى التحقيق والنشر فقد قاموا بتحقيق الكثير من كتب التراث، وقابلوا الفروق بين النسخ وأثبتوها، ورجحوا ما حسبوه الأصح والأعدل، وأضافوا إلى ذلك فهارس أبجدية للموضوعات والأعلام، وقاموا أحيانا ببعض الشروحات لبعض الكتب فكان عملا مفيدا. ومن الكتب الكثيرة نذكر على سبيل المثال لا الحصر: الإتقان للسيوطي، وكتاب سبويه، والاشتقاق لابن دريد، ومعجم الأدباء لياقوت الحموي، واللمع لابن نصر السراج، والبديع لابن المعتز، والكامل للمبرد، والجمهرة لابن دريد والتعريفات للجرجاني، والمقتضب لابن جني، والأغاني للأصفهاني، وعدد هائل من الدووين وكتب لا حصر لها في الشؤون الإسلامية.

ومن الوسائل التي عمد إليها المستشرقون في خدمة التراث أنهم " قاموا بترجمة مئات الكتب العربية والإسلامية إلى اللغات الأوروبية كافة، وتعددت أيضا مجالات التأليف عندهم، فبلغ عدد ما ألفوه في الشرق في قرن ونصف أي منذ أوائل القرن التاسع عشر حتى منتصف القرن العشرين ستين ألف كتاباً، وفي بعض ما ألفوه فائدة علمية للباحثين، ولهم مؤلفات مليئة بالطعن في الإسلام، وهذا ما تصدى له العلماء والمحققون"[3]غير أن ما لاحظه الدارسون للظاهرة الاستشراقية أن معظم الدراسات التي أجراها المستشرقون حول الثقافة الإسلامية عموما لم تخل في أغلبها من التشكيك وإثارة الشبهات، وبث السموم تحت تأثير الأهداف السياسية غير المعلنة، ولكننا نلاحظ أن

---

[1] -علي بن إبراهيم النملة، المستشرقون والتنصير، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط1، (د- ت).

[2]- محمود حمدي زقزوق، الإستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط1، 2008، ص 58-59.

[3]- نفس المرجع ، ص 59-60.

الأمر يختلف عنه في الدراسات اللغوية والأدبية إلا شيئا قليلا مقارنة بالدراسات الإسلامية التي كانت أكثر خصوبة للتشويه والتلغيم.

وتعد المدرسة الاستشراقية الألمانية رائدة في الدراسات اللغوية على وجه الخصوص بفضل كثرة روادها فقد أحصينا في كتاب العقيقي "المستشرقون" وحده عددا جاوز 240 مستشرقا[1]. ناهيك عن المعاجم التي ألفت تحصى تراجم المستشرقين الألمان وغيرهم على اختلاف مدارسهم وتفاوت إسهاماتهم وإنتاجهم الثقافي لغويا كان أم أدبيا أم إسلاميا." وبالرغم من اتصال ألمانيا بالشرق منذ الحروب الصليبية الأولى، وانشقاقها عن الكاثوليكية بعد الثورة الدينية التي قادها "مارتن لوثر" وبالرغم من تدبيج بعض الكتب عن اللغة العربية وخاصة كتاب "كريستمان" الذي أعده لتعليم كتابة الحروف العربية منذ 1585 م، وبالرغم من حاجة المذهب البروتستانتي الجديد لدراسة التوراة لمقارعة ومجادلة الكاثوليكية، فإن الدراسات الاستشراقية الألمانية لم تزدهر إلا في القرن الثامن عشر خلافا للبلدان الأوروبية الأخرى، وبلغت هذه الدراسات أوجها بعد أن تخرج على يدي "دي ساسي" عشرات من المستشرقين الألمان"[2].

وسوف يطول بنا المقام لو رحنا نستعرض المستشرقين الألمان ومساهمتهم العربية والإسلامية، وما يهمنا الحديث عنه هو أهم الأعمال والمنجزات التي لفتت أنظار الباحثين العرب في المجال اللغوي، وأولوها عنايتهم الخاصة، معترفين أن ما قدمه المستشرقون من المدرسة الألمانية لا ينبغي الاستهانة به، أو تجاهل القيمة العلمية لجل الدراسات الاستشراقية لهذه المدرسة في اللغة العربية علما أن فريقا من المستشرقين الألمان توجه إلى الدراسات

الإسـلامية، ومنهم من ولى وجهه شـطر اللغة العربية وعلومها وآدابها، واختار فريق ثالث الدراسـات الإسـلامية والعربية ليضرب في كل منها بسهم وافر، وإنتاج زاخر. وتمتاز المدرسة الاستشراقية الألمانية عن غيرها من المدارس الكثيرة على وجه العموم بجملة من الخصائص حيث " يؤكد معظم الباحثين العرب أن الاستشراق الألماني لم يخضع لغايات سياسية أو دينية أو استعمارية بحجة أن ألمانيا لم يتح لها استعمار البلاد الإسلامية، ولم تهتم بنشر الدين المسيحي في الشرق، وهذه الخاصية ليست صحيحة في إطارها العام لأن الاستشراق الألماني كان مبعثه تحقيق الأهداف الدينية.. وإن ألمانيا لم تتعفف عن استعمار البلاد العربية والمشـرق، ولكن الظروف الدولية منعتها من ذلك، خاصة المنافسة البريطانية لها، ولا يمكن أن نبرئ ألمانيا من نواياها الاستعمارية. ولقد تميز الاستشراق الألماني بالدراسـات الشـرقية القديمة والحقبة الإسـلامية واهتم بالآثار والأدب والفن، وهذا النوع من الدراسـات عادة ما يكون خاليا من تحقيق أي غرض من الأغراض السياسية. وإن هذه المدرسة امتازت أيضا عن غيرها بغلبة الروح العلمي على أبحاثها والتي تتسم غالبا بالموضوعية والتجرد و الإنصاف، وهذه الروح التي امتازت بها المدرسة الألمانية مبعثها تلك الخصـال المميزة للشـعب الألماني المجبول على الدقة البالغة، والعناية الفائقة، والصـبر الجميل، وإتباع المنهج العلمي الصـارم بأعلى المقاييس العلمية المتعارف عليها، ومع ذلك لا يمكن أن يخلو من تحقيق أهداف سياسية. نعم لقد جاءت الدراسات الاستشراقية الألمانية خالية من العداء للعرب أو التحامل عليهم. والسبب في ذلك في رأينا هو اهتمام هذه المدرسـة بالتراث العربي القديم والآداب والآثار القديمة، وكان اهتمامها مميزا في الدراسات النحوية، والصرفية والبلاغية والعروضية، وفي فقه اللغة."[3].

---

[1] –يرى بعض الباحثين ضرورة الإشارة إلى أنه منذ صدور كتاب نجيب العقيقي وعبد الرحمن بدوي حول المستشرقين، وقبل أكثر من ثلاثين سنة لم تصدر كتابات تهتم بسير المستشرقين المعاصرين وتراجمهم.

[2] – ساسي سالم الحاج، الظاهرة الإستشراقية، ص 155.

[3] –نفس المرجع، ص 160، 161 ، 162.

ومهما يكن من خلاف في مسألة الأهداف السياسية والدينية في نشاط المدرسة الألمانية فإننا نؤكد مرة أخرى على أن أعمال المستشرقين عموما في الدراسات الإسلامية لا تخلو من الشبهات والأحقاد والطعون، فهو ظاهر لا يستطيع المستشرقون أن يتجاوزوه، ولكن دراساتهم في مجال اللغة يكاد يخلو من التعصب والهوى والكراهية والعداء رغم التباين العقدي والفكري والمنهجي والحضـاري.. ولذلك لا يمكننا بحال من الأحوال " أن ننكر مساهمات المدرسة الألمانية في نشر الثقافة الإسلامية، وبيان الحضارة العربية، وذلك لما نشرت من نصوص قديمة ساعدت على نشر آلاف من أمهات الكتب العربية والإسلامية. وجعلتها ميسورة للمثقفين الغربيين، كما كانت مجهوداتها لا تنسى ولا تجحد في مجال فهرسة المخطوطات العربية، وقيامها بتصنيف العديد من المعاجم العربية،

واهتماماتها بالدراسات المختلفة في ميادين الثقافة الإسلامية، و إتباعها لمنهج علمي دقيق فرضته الطبيعة الألمانية وخصال شعبها، واهتمام هذه المدرسة بعد الحرب الثانية بأحوال الوطن العربي ودراسته من جميع جوانبه، وهذه جميعها خصائص إيجابية لا ننكرها، أو نقلل من قيمتها. ومع ذلك تبقى هذه الدراسات غير مبرأة من الأهواء، وتحقيق أغراض لا علاقة لها بالمنهجية العلمية والموضوعية والحيادية أحيانا."[1].

وتألقت المدرسة الألمانية في سماء العلوم العربية وغيرها على أيدي عدد هائل من المستشرقين علا كعب فريق منهم في التأليف والتصنيف، والأبحاث والتحقيق أخذت اللغة العربية جل اهتمام كثير منهم، فكان التفاوت والتباين ملحوظا في إنتاجهم كما وكيفا، وسوف نقتصر على إبرار بعض الشخصيات الاستشراقية اللامعة التي كانت لها اليد الطولى في إثراء الثقافة العربية، والتراث العربي، ونسلط الضوء على الذين عرفوا بغزارة الإنتاج وسعة الإطلاع، وتنوع التأليف، والذين اشتهروا بالإنصاف والروح العلمية، والدقة والعمق في تناول الظواهر اللغوية، ممن شهد لهم بذلك جمهور اللغويين، وتلقوا أعمالهم وإسهاماتهم بقبول حسن، وصنفت على أنها جهود في خدمة التراث العربي لا يمكن تجاوزها أو الاستخفاف بها. وعكف جمع من الباحثين العربية في شؤون الاستشراق وإسهاماته اللغوية أو الأدبية على جمع ودراسة الكثير مما أنتجه المستشرقون من ذلك ما لوحظ أن " البلاغة العربية والنقد الأدبي العربي حظي باهتمام المستشرقين الألمان فقد أصدر "أوجيست فون ميرن" " August von mehren" سنة 1853 كتابا عنوانه "بلاغة العرب" وقف فيه عند عدد من المصطلحات البلاغية وشرحها شرحا عميقا .. ويعد "فلفهارت هاينرشس" من أهم المستشرقين المهتمين بالدراسات العربية المتصلة بالأدب والنقد القديمين والبلاغة وله بحوث عديدة منها: مؤلف عن "صلة النقد عند حازم القرطجني بالنقد عند أرسطو" وقد نشر بالألمانية سنة 1969. ومنها: "يد الشمال": آراء حول الاستعارة. وبحث حول العلاقة بين البديع والاستعارة في الكتابات النقدية العربية القديمة نشر بالانجليزية عام 1984. ومنها بحث حول: "البديع عند أبي نواس". ودراسات أخرى."[2].

ويعمل بعض الباحثين العرب على جمع أعمال المستشرقين اللغوية ويتناولونها بالتعليق والشرح والتحليل كما فعل "يوسف أبو العدوس" في كتابه " الاستعارة في دراسات المستشرقين". وكتبت مقالات كثيرة على هذا المنوال كالمقال الذي كتبه "ملك ميمون" بعنوان "المستشرقون ودراسة العروض العربي" حيث اعتبر أن من "المستشرقين الذين تناولوا العروض العربي بدراسة والتحليل "فايل" "weil" الألماني إذ نجد له مقالا في دائرة المعارف الإسلامية

---

[1] نفس المرجع، ص 162.

[1] يوسف أبو العدوس، الاستعارة في دراسات المستشرقين فلفهارت هانيريشس نموذجا، الأهلية للنشر والتوزيع، لبنان، ط1، 1998، ص 8 وما بعدها.

سـنة 1960 تحت عنوان "العروض" والمقال من عشـر صـفحات سـبع منها خصـصـت للمعلومات التاريخية العامة عن العروض، والأخرى للحديث عن النبر، كما نجد "لفايل" "weil" كتابا خاصـــا عن العروض العربي طبع سنة 1958 وهو بالألمانية"[1]. تلك إشـارة عابرة إلى ما بذله المسـتشـرقون الألمان، وسـوف نقف على مزيد من التفاصيل لذلكم المنتوج الزاخر عندما نتعرض لتراجم نخبة من المشـاهير، والرواد في المدرسـة الألمانية. وقبل ذلك نود أن نشير أن "ادوارد سعيد" ناقد الإستشراق الشهير الذي استثنى الاستشراق الألماني من هذا البحث. وقدم تبريرات لذلك في حوارات أجريت معه، لكن هذا الاســـتثناء شـــكل ميزة اعتبرها كثير من النقاد والباحثين صـك براءة للاستشـراق الألماني من المثالب التي كشـفها "ادوارد سـعيد" حول الاسـتشـراق الغربي عموما وقد اهتم النقاد بتجربة سعيد المعرفية والفكرية والثقافية حيث استثنى بوضوح الاستشراق الناطق بالألمانية من النقد، وذلك لارتباط أغلب الدراسـات الاسـتشـراقية المكتوبة بالألمانية بفقه اللغة، وتتأسـس مقولة سـعيد " بأنه لا ينبغي أن نصنف الاستشراق الناطق بالألمانية في نفس الدرجة التي يصنف بها الاستشراق البريطاني والفرنسي وذلك على فرضـية أن مفهوم "الشـرق" نتيجة لمشـروع ثقافي بريطاني وفرنسـي خاص مرتبط بالتورطات البريطانية والفرنسـية في الشرق، وكان سعيد يرى أن البلدان الإسلامية في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين كانت مستعمرة من قبل بريطانيا وفرنســـا فقط وســـيطرت عليها منذ نهاية الحرب العالمية الثانية المصـــالح الســـياســـية للولايات المتحدة الأمريكية"[2]. وهذا الاستثناء للاستشراق الألماني في نقد سعيد قد أثار انتقادات بعض الدارسين، وبغض النظر عن ما وجه إليه من اسـتدراك إلا أن كلامه يعزز ما وصـف به الاسـتشـراق الألماني من غلبة الأنصـاف والعلمية على أبحاث ودراسات جمهور الألمان للتراث العربي. وفيما يلي نقف عند أبرز الشخصيات الألمانية التي شاعت بإنتاجها الواسع للعربية وعلومها، وآثارها التي لفتت الأنظار.

### 1. برجشتراسر Golthelf Borgstrasser

عاش برجشتراسر في الفترة ما بين 5 أفريل 1886 و 16 أغسطس 1933 مسيحي برز في نحو العبرية واللغات السامية عموما، وعني بدراسة اللهجات العربية، وبالقراءات القرآنية. " تعلم في جامعة "ليبتسك" الفلسفة وعلم اللغة، والفيلولوجيا الكلاسـيكية (اليونانية واللاتينية) . ثم تفرغ لدراسـة اللغات السـامية، وكان أسـتاذه الكبير فيها "فيشر أوجست" وبعد تخرجه عين أستاذا ثانويا، ثم حصل على الدكتوراه في 1912 في رسالة عنوانها "حنين بن إسحاق ومدرسته" اهتم فيها بدراسة أسلوب "حنين" ـــ شيخ المترجمين ـــ في الترجمة من اليونانية إلى العربية والسـريانية، وفي فبراير 1914 رحل إلى إسـتنبول، وسـوريا، ومصـر، وفي نهاية 1915 دعي أسـتاذا في جامعة "استنبول" وكلفته وزارة الحربية الألمانية برحلة استكشـافية لسوريا وفلسطين سنة 1917، وبعد الحرب الأولى عين أستاذا في جامعة برلين في 1919"[3].

" وفي العام الجامعي 1930/1929 و1932/1931 دعته كلية الآداب بالجامعة المصـــرية القديمة لإلقاء محاضــرات في النحو وتاريخه، وفي فن تحقيق النصــوص فنشــرت محاضــراته في كتاب "التطور النحوي للغة العربية" وكتاب "نقد النصـوص ونشـر الكتب" ."[4]اسـتغل وجوده بالقاهرة لتسـجيل بعض الإسـطوانات لمختلف القراءات القرآنية

---

[1]-ملك ميمون، المستشرقون ودراسة العروض العربي، عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والعلوم، الكويت، المجلد 3،العدد 2 .

2 -إدوارد سعيد، الاستشراق، ترجمة كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، ط4، 1995، ص 52- 53.

3 - نفس المرجع، ص 85.

4-التطور النحوي للغة العربية، أخرجه وصححه وعلق عليه رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1997، ص 3-

لعدد من مشـــاهير القراء في مصـــر، واطلع على المخطوطات في علم القراءات، كما عني باللغة العامية المصرية وسجل اسطوانات مع الأطفال في القاهرة. " نال دكتوراه في جامعة "ليبزج" عام 1911 عن "استعمال حروف النفي في القرآن الكريم" . وكان برجشــتراســر يكره "هتلر" ودعوته إلى النازية، وكان لا يرى مانعا من حمل بند قبته والخروج لمحاربته فدفع إليه "هتلر" بمن يقتله، وكان برجشــتراســر مغرما بتسـلق الجبال، ففي إحدى المرات، حيث كان يتسلق الجبال، ومعه طالب من طلبته، إذ تعلق الطالب بقدمه فهوى من ارتفاع شاهق إلى قاع الوادي، حيث لقي حتفه في جبال الألب بنواحي "برشسجادن" جنوبي ألمانيا."[1]

أما آثاره فقد تنوعت في نشاط علمي واسع ما بين اللغات السامية، وتاريخ العلوم عند العرب، وقراءات القرآن " فكتب معجم قراء القرآن وتراجمهم، واللهجات العربية العامية في ســوريا وفلســطين، وله دراســات حول كتاب: اللامات لأحمد بن فارس، وقراءة الحسـن البصـري، وقراءة القرآن في القاهرة، والقراءات الشـاذة في كتاب "المحتسب" لابن جني، وفي مجال النشر تولى نشر أمهات الكتب العربية فنشر لأابن خالويه: "القراءات الشاذة في القرآن"، و"طبقات القراء" لابن الجزري، وتهذيب اللغة للأزهري، ومن مباحثه: قواعد العربية لأحمد بن فارس، وله في ميدان القراءات القرآنية عمل مميز لما تهيأ له من معرفة واسـعة بالكتب العربية المؤلفة في هذا المجال والتي جمع لها مادة ضخمة مثل "الميكروفلمات" من خزائن إستنبول والقاهرة."[2].

وله في الدراسات الفقهية عمل رائد، ثاقب نذكر على سبيل المثال: "أوليات وخصائص الفكر الفقهي في الإســـلام" و"مناهج البحث في الفقه". وكان يدعو إلى عدم المبالغة في دعوى القانون المقارن والبحث عن المؤثرات الأجنبية في الفقه الإسلامي، ومن أعماله اللغوية البارزة والتي تناولها بعض اللغويين "الأطلس اللغوي الذي عمله لبلاد سوريا وفلسطين، فقد قام بعمل تسجيلاته كلها بنفسه عام 1914 بعد أن حصل على إجازة من جامعة "ليبزج" ليقضي شهورا في بلاد الشرق فتنقل بين أرجاء المعمورة باحثا وراء اختلاف اللهجات الدارجة فزار دمشق وحلب والجنوب ثم فلسطين ولبنان وكانت حصيلة هذه التسجيلات أن وضع أطلسا لغويا في 42 خريطة تفصيلية، وواحدة إجمالية مع شرح لغوي مستقل طبع سنة 1915. وكان يرى أن بحث اللهجات العربية قبله كان مقصورا على دراسة كل لهجة محلية دراسة مستقلة، وبين أن هذه الدراسات السابقة تفتقر إلى التكملة بدراسة الفروق اللغوية، في مناطق كبيرة، باســتخدام الجغرافيا اللغوية، وعلى الرغم من تقدم هذا الفرع من فروع الدراســة اللغوية في أوربا وأمريكا، فإنه لا يزال غض الاهاب في بلادنا وليس لدينا لغتنا العربية، إلا محاولة هذا المســتشــرق الألماني "برجشتراسر" ولا يخفى ما لهذه الأنواع من الدراسة من الفوائد الجليلة على الدرس اللغوي."[3]

## 2. فيشير أوجيست Fischer August

" ولد فيشــير ســنة 1865، وكانت وفاته في 14 فبراير 1949، اختص باللغة العربية نحوا وصــرفا، ومعجما مواصلا الدرب الذي رسمه أستاذه اللغوي الكبير "هينرش فليشر" مؤسس مدرسة في الاستشراق الألماني، وعلى منهجه سار، ويقوم هذا المنهج على الاستناد الوثيق إلى الشواهد اللغوية العربية في المقام الأول، وإلى أعمال اللغويين والنحاة العرب، والابتعاد عن الفروض التي قد تكون بارعة ولكنها واهية الأساس. حصل على الدكتوراه

---

[2] – رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة، ص 158.

[3] – نجيب العقيقي، المستشرقون، ج2، ص 450- 451، وينظر أيضا عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين ص 86-87.

[4] – رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة، ص 157-158.4.

الأولى نهاية 1889 من جامعة "هاله" عنوانها :" تراجم حياة الرواة الذين اعتمد عليهم ابن إســحاق" ونشــرها عام 1890، واعتمد على كتب الرجال والتراجم خاصــة "ميزان الاعتدال" للذهبي .كان يتمتع بقدرة فائقة في اللغة، وعلى فهم العربية ونصــوصــها الشــعرية الجاهلية ..عمل في معهد اللغات الشــرقية في "برلين" من خريف 1896 إلى ربيع 1900 مدرســا للغة العربية وأمينا للمعهد ومحافظا لمكتبته. وفي هذه الفترة أتقن لغة التخاطب العربية، خاصة للهجة المغربية المراكشية، بفضل مدرس للهجة المغربية يدعى "الجيلاني الشرقاوي" وكانت

ثمرة ذلك عدة مقالات عن هذه اللهجة، بدأها بواحدة جمع فيها أمثالا مغربية عنوانها "أمثال مراكشـــية" وتوالت المقالات في هذا الســياق."[1]. كان "فيشــير" شــديد الاهتمام باللهجات العربية الحية لاعتقاده أنه يلج منها إلى استخلاص نظرات ثاقبة في سر العربية وكذلك فهم اللغات السامية بوجه عام. ويبدو أنه سيطر عليه هذا الشغف باللغة العربية اتصــاله بالعالم العربي ورحلته إلى المغرب زار أغلب مدنها الكبرى. " وفي عام 1899 شــغل كرســي اللغات الشرقية في جامعة "لبيتسك" وهو الكرسي الذي شغله أساتذة "فليشر" من قبل بدأ عمله فيه عام 1900 وكان مركزا قويا للدراسـات الشـرقية، وخصـوصـاً العربية في ألمانيا، فأمها دارسـوا العربية وعلومها من سـائر الأنحاء، ويذكر تلاميذه أنه كان نموذجا في دروســه ومحاضــراته من حيث التدقيق في فهم خفايا النصــوص العربية التي كان يشــرحها، واســتمر في منصــبه حتى 1939. وبعد تقاعده اســتمر في التدريس في بيته، ورغم أنه كان في الرابعة والثمانين من العمر كان يشـرح لبعض تلاميذه "ديوان امرئ القيس". وكان حريصـا على التأكيد لطلابه على أهمية اللغة العربية ومعرفة دقيقة شــاملة للنحو والمعجم والاســتعمال اللغوي، وذلك قبل التصــدي لأي بحث في ميدان الدراسات العربية والإسلامية، ويندر من يمتلك هذه الرؤية عند المستشرقين الآخرين."[2].

ويبدو أنه كان يرى أن دراسة النحو هي لب الدراسات العربية برمتها فقد أخذت المسائل النحوية مكانا واسعا في أبحاثه ومقالاته، كما عني بدراسة تاريخ اللغة العربية منذ أقدم نصوصها حتى لهجاتها الحالية، وكان ميالا إلى تحليل لغة الشعر لأنه وجد فيها أرسخ الشواهد لمعرفة العربية. ومن هنا اهتم بجمع كل الشواهد الشعرية الواردة في كتب النحو وشروح الشواهد. " وفي هذا الميدان صنف "فهرست الشواهد" وهو ثبت شامل للشواهد بحسب القوافي والشعراء. وكان "فيشير" يكره الاتجاه الذي ساد عند المستشرقين الباحثين في القرآن وهو إبراز تأثير الاتصال مع اليهود والنصـارى باعتبار أن النبي صـلى الله عليه وسـلم نشـأ في بيئة عربية وثنية، بعيدة كل البعد عن أي بيئة أخرى. أما عن العربية الفصـحى والإعراب فكان يرى أن الفصـحى لم تنشـأ عن لهجة قريش من الشـعر الجاهلي ، وأنها لم تكن لغة للعرب القدماء بوجه عام بل لابد أن تكون قد قامت على لهجة واحدة من لهجاتهم. وفيما يتصل بالإعراب يرى "فيشــير" أن ســكان مكة والمدينة وأجزاء من المناطق المحيطة كانوا قد تخلوا عنه في زمن النبي وقبله، ويرى أن ثمة أربعة أصــناف مميزة للغة العربية وهي 1. لغة الشــعر الجاهلي 2. لغة القرآن. 3. لغة النثر الواردة في "السـير والمغازي". 4. لغة الحديث النبوي."[3]. إذا كانت هذه الأربعة بمثابة المصـادر الأولى للعربية الفصـحى فإن القرآن والحديث النبوي ينبغي أن يتصدرا هذه التي سماها الأصناف، على خلاف في مصدرية الحديث والاحتجاج به في اللغة وتلك قضية نالت حظا واسعا من المدارسة والبحث.

---

1- عبد الرحمن بدوي ، موسوعة المستشرقين، ص 303-304.

2- نفس المرجع ، ص 404.

3- نفس المرجع ، ص 405.

" وخير ما خلف "فيشير" هو معجم اللغة العربية القديمة مرتبا على المصادر، وقد قضى أربعين سنة في جمعه وتنسيقه، وقدم جذاذاته إلى المجمع اللغوي بمصر، وكان الدافع في التأليف هو الشعور بنقص المعاجم العربية وافتقارها إلى الشواهد في كل حالة. فجاء معجمه يستند في كل معنى ينطوي عليه اللفظ إلى شواهد خصوصا الشعر الجاهلي والأموي على وجه التحديد، وأعلن عن مشروعه الأول عام 1907 أثناء انعقاد مؤتمر الفيلولوجيين الألمان في "بازل" 1907، ثم في المؤتمر الدولي المنعقد للمستشرقين في "كوبنهاجن" 1908. وجمع في معجمه العربية القديمة لغة الشعر من بدايته إلى العصر الأموي، ولغة القرآن ولغة الحديث، ولغة المؤرخين، واستغل المواد المعجمية التي خلفها "فليشير" و"توربيكه" و"جولدسيهر" وغيرهم، وبدأ فيشر عمله سنة 1913 مستخرجا مواده من المعلقات والمفضليات والأصمعيات والحماسة والهاشميات، وشعر المراثي.. وفي الحديث اعتمد على البخاري، وأجزاء من تاريخ الطبري. فبلغ عدد الجذاذات في 1918 إثناء عشر ألف جذاذة وكان بمساعدة بعض الألمان والمصريين."[1]. ولما أنشئ مجمع اللغة العربية في مصر في 1932 عين فيشر عضوا فيه فاستأنف العمل بحماسة فصار يتردد على القاهرة في شتاء كل عام حتى 1939، ولما قامت الحرب لم يستطيع العودة إلى مصر بعد أن ألغيت عضويته في المجمع، ولكن مصير المواد التي جمعها وضعت لدى أمانة المجمع فضاعت ولم يبق منها إلا النزر القليل، حاولت بعض الجامعات الألمانية الحصول عليها لاستكمال الجهد ولكنها فشلت " والملاحظ على إنتاج فيشر الاقتضاب وعدم التوسع في بعض أبواب النحو واللغة، فكانت غالبية أبحاثة تعليقات صغيرة، وتصحيحات لغوية مفيدة نذكر منها: "المسألة الزنبورية" وأسماء الإشارة للمؤنث :"هذه، ذه ، ته، هذه، ذه، وهذهي، ذهي، تهي" و" تركيب المصدر : ضرب عمرو زيد" و" الكلمة العربية أيش"."[2]

### 3. بروكلمان كارل Carl Brockelman

عاش بروكلمان ما بين 18 سبتمبر 1868 و6 ماي 1956 ولد في مدينة "روستوك" "كان أبوه تاجرا فيما يسمى بسلع المستعمرات، وكانت أمه كما يقول عنها كارل في ترجمته الذاتية سيدة موهوبة روحيا، ومنها ورثت ميولي العلمية، وهي التي فتحت لابنها آفاق الأدب الألماني ولكن من سوء الأحوال المالية عاشت الأسرة في ضيق شديد، وفي المدرسة الثانوية في "روستوك" بدأ يظهر ميوله إلى الدراسات الشرقية يقول "بروكلمان" :" وفي الصفوف العليا تجلت الميول التي ستسيطر على حياتي، بكل وضوح، وكانت هناك جمعية للقراءة تجتمع مرتين في الأسبوع لقراءة أبرز المجلات الجغرافية، وكان الوقت وقت الاكتشافات الجغرافية العظيمة في آسيا وإفريقيا، وعلى الطريق ارتبط خيالي بالمشرق، وكنت أهتم في المقام الأول بما يرد فيها من أخبار عن اللغات، ولهذا فإنني وأنا لا أزال تلميذا في المدرسة الثانوية وضعت مشروعا لكتاب نحو لهجة "البانتو" التي كان يتكلم بها في المستعمرة البرتغالية "أنجولا" وكان أشد أماني إلحاحا علي أن أعيش فيما وراء البحار."[3]. درس بروكلمان على كثيرين العربية

والحبشية، ففي أول أكتوبر 1890 عين مدرسا في المدرسة البروتستنتية في "اشتراسبورج" أولا تحت التمرين ثم مساعدا وفي نفس الوقت واصل دراساته العربية. " وما لبث أن تبين له أنه لا مستقبل له في هذه الثانوية البروتستنتية قرر أن يبحر لوظيفة مدرس مساعد فيعد نفسه للانخراط في التدريس الجامعي فانتقل إلى "برسلاو" وحصل على الدكتوراه

---

[1] نجيب العقيقي، المستشرقون، ج2، ص 415-416.

[2] عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، ص 406.

[3] نفس المرجع، ص 98.

للتأهيل للتدريس في يناير 1893 برسالة عنوانها "عبد الرحمن أبو الفرج بن الجوزي" تلقيح فهوم أهل الآثار في مختصر السير والأخبار، أصدر معجما سريانيا في فبراير 1895 ودعي إلى إعداد نشرة نقدية محققة لطبقات ابن سعد، والسفر إلى لندن واستنبول فلم يكتف بمهمته حول الطبقات بل انتهز الفرصة فنسخ نسخة من "عيون الأخبار" لابن قتيبة، وعاد إلى "برسلاو" وكان بروكلمان مكلفا بتحقيق الجزء الثامن من طبقات ابن سعد وتولى نشر عيون الأخبار بنفسه، ووجد في "قيمار" ناشرا مستعدا لتحمل النفقات بشرط أن يقدم له بروكلمان كتابا آخر أكثر رواجا فقرر أن يصنف كتابه العظيم "تاريخ الأدب العربي" امتد طبعه من 1898 إلى 1900 وكان بروكلمان يتقن إحدى عشر لغة شرقية."[1]. رحل "كارل" عن عمر يناهز التسع والتسعين عاما وترك بعده تراثاً واسعا أبهر الكثيرين، وشكل مادة دسمة لأبحاثهم وطروحاتهم، وخدم هذا المستشرق الفذ التراث العربي، خدمة لا نظير لها بشهادة الدارسين للظاهرة الاستشراقية فعرف "بكثرة نشاطه وغزارة إنتاجه الذي اتصف بالموضوعية والعمق، والشمول والجدة، مما جعله مرجعا للمصنفين في التاريخ الإسلامي، والأدب العربي، إذ قل منهم من لم يستند إليه قنوع إنتاجه ما بين نشر وترجمة، وتعليقات وشروحات وتحقيقات وتأليفات، فكتب: الكلمات اليونانية الدخيلة على الأرمينية. والمعجم السرياني، ورسالة في لحن العامة للكسائي مذيلة بتعليقات وفوائد، وعن كتابه في الأدب العربي النفيس عرض فيه تراجم العلماء والأدباء في العصور الإسلامية جمعاء، وذيل كل ترجمة بمصادرها، ووصف الكتب وميزاتها وتاريخ طبعها، ومكانها في الشرق والغرب، وأحصى المخطوطات في مكتبات أوربا، فجاء نموذجا في ترتيبه وسعته ودقته وحسن إخراجه، نقل منه عبد الحليم النجار ثلاثة أجزاء إلى العربية، ونشرته الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية. وكتب عن قواعد علم النبر والعروض في اللغة السريانية، ومؤلفات ابن المقفع في البيان والبلاغة، وملاحظات على علمي النحو والصرف في العربية والأرامية وكتاب المفصل في علم النحو والصرف المقارن للغات السامية، والصيغ المتشابهة في اللغات السامية، والجوهري وترتيب الهجائية

العربية، وأسماء التصغير والتكبير في اللغات السامية. وملاحظات على سر الصناعة لابن جني وما قاله في اسم الإشارة المؤنث، واشتقاقات مصرية قديمة ومناسبتها للغات السامية، واشترك مع "شبولير" و"هوفنير"، و"فوك" في تصنيف كتاب العربية فقها وأدبا كما أسهم كارل بدراسات واسعة جدا في دائرة المعارف الإسلامية" [2،3].

**4-"يوهان فك" "Johann Fück" :**

" ولد يوهان فك في 8 جويلية 1894 بفرنكفورت أماين وتوفي في 24 نوفمبر 1974 بهاله كان كاثوليكي المعتقد وكان أبوه نجارا. درس الفيلولوجيا الكلاسيكية من 1913 إلى 1916 في جامعات هاله وبرلين وفرنكفورت، وما بين 1916 إلى 1917 أدى الخدمة العسكرية. وفي فبراير 1918 إلى 1920 بقي متربصا في الجامعة وفي 1921 بدأ في التحضير لرسالة الدكتوراه في الفيلولوجيا، وما بين 1921 و1930 درس اللغة العبرية في جامعة

فرنكفورت، وفي 1929 تخصص في الدراسات الإسلامية، في 1930 إلى 1935 انتقل إلى الهند أستاذا وفي نفس الوقت كان مديرا لفرع اللغة العربية والإسلام، ثم من 1935 إلى 1938 درس العربية وعلومها في جامعة فرنكفورت وفي 1936 أصبح أستاذا حرا (فوق العادة) في نفس الجامعة، وفي 1938 استدعى من قبل جامعة هاله ليرأس مكتبة دول الشرق الأوسط وفي 1962 أحيل إلى التقاعد.

---

[1]- المرجع السابق، ص 100-105.

[2]- لا يسعنا المجال لذكرها لكثرتها وتنوعها ما بين شخصيات أدبية، ولغوية، وتاريخية، وإسلامية، وعلمية وغيرها..

[3]- نجيب العقيقي، المستشرقون، ج2، ص 424 وما بعدها .

وقد امتاز يوهان فك بأنه كان من المدرسين الممتازين يميل إلى البساطة، كان كثير التواضع دقيق الملاحظة حاضر النكتة، وكان حريصا جدا على تنمية القدرات الكلامية عند طلابه، وكان يرفض أن يشرف غيره على تدرس اللغة العربية لشعوره بمسؤولية كبرى نحوها لاعتقاده أنه يملك أسرار العربية ما لا يملكه غيره خوفا من التشويه والطمس. توفي في مدرج جامعة هاله وهو يلقي محاضرة وقد جاوز عمره الثمانين، وبوفاته فقدت الساحة العلمية الألمانية شخصية علمية غير عادية"[1].

و لقد أحصى الباحثون للمستشرق "يوهان فك" عددا من المؤلفات والمقالات والبحوث نشرت في مجالات مختلفة، كان أغلبها يتمحور حول قضايا اللغة العربية وأبرز هذه الآثار: " العربية لغة وأسلوبا. في "برلين" 1950، وقد نقله إلى العربية عبد الحليم النجار في القاهرة 1951، ونقله إلى الفرنسية "نيزو"، ونشره بمقدمة المؤلف ومدخل "لكانتينو" في باريس 1955، وبمعاونة "بروكلمان"، و"شبولير"، و"هوفنر". وكتب: العربية فقها

وأدبا، وألف "العربية" بحوث عن تاريخ لغتها وأسـلوبها في ليدن 1954 وله: الدراسـات العربية في أوربا عام 1944- 1955 في "ليبزيج" ومن مباحثه: محمد بن إسحاق، وفي الآداب الشرقية كتب "القرآن" في 1933، و"حديث البخاري" في 1938 و"الإسـلام" في 1938، و"الصـوفية" عام 1940، و"ترجمة القرآن" سـنة 1944، و"الموسـيقى العربية" في 1953. وفي المجلة الشـرقية الألمانية نشـر فهرسـت ابن النديم وهو يعد طبعة جديدة له، و"أصـالة النبي محمد" في 1936، و"تصـغير الجمع" عام 1936، و"مكانة المحدثين في الإسـلام" في 1939، و"أوجيسـت فيشـير" في 1950، وفي غيرها "الحديث"، و"الكيمياء في كتاب الفهرسـت" في 1951، و"البيروني" في 1952، و"محمد شـخصـيته ودينه"، و"محمد إقبال" و"المعتزلة"، و"كارل بروكلمان". وكتب حول اللغة العربية والتاريخ الإسـلامي، ومحي الدين الأصـفهاني، وتقويم قرطبة، ومحمد بن سـعيد العوفي وأصـل التشـريع الإسـلامي."[2]. يبدو أن "يوهان" اهتم بما اهتم به غيره من المسـتشـرقين خارج الدراسـات اللغوية الذين كتبوا حول قضـايا تقصـدوها، وكأن لهم من ورائها مآرب وأغراض كموضـوع الفرق الإسـلامية، والتصـوف والصـوفية، وبعض الشخصيات الإسلامية والرموز التاريخية، والتي كانت لها مواقف متباينة. والأهم من هذه الدراسة هو الوقوف على ما ألفه "فك" حول العربية، وما دقق النظر فيه فعد عملا رائدا يسـتحق التنويه، فحظي بالترجمة والتعاليق والشروحات، فكان في المقام الأول كتابة "العربية دراسات في اللغة واللهجات والأساليب".

---

1- http://www.catalogus-professorum-halensis.de/fueckjohann.html. 29/06/2008

2- نجيب العقيقي، المستشرقون، ص 463- 464.

و في ختام هذا البحث نخلص إلى جملة من النتائج و هي :

1- ضـرورة إخضـاع الظاهرة الإسـتشـراقية إلى المنطق العلمي الدقيق، و الرؤيا الموضـوعية بعيدا عن الأهواء و الأحكام المسبقة .

2- المدارس الإستشراقية ليست في موقع واحد في تعاملها مع التراث العربي و الحكم عليه و هي لا تنطلق كلها من مواقف عدائية للعرب و المسلمين .

3- المدرسة الألمانية مثلت الإستشراق الإيجابي و المنصف أحسن تمثيل و بشكل عام .

4- ضرورة التمييز بين المدارس الإستشراقية بعد الدراسة الفاحصة المتأنية عند الوقوف على إشكالية الأنا و الآخر .

5- تبقى العديد من العوائق التي تعترض طريق المستشرقين في قراءتهم للتراث العربي و الإسلامي قائمة و من أبرزها : فهم اللغة العربية في ألفاظها و معانيها و أساليبها و بلاغتها ..

6- ان جهود المستشرقين في خدمة التراث جديرة بالتنويه والانصاف

7- اكتشاف تلقي الاخر للتراث العربي

8- الاستفادة من مناهج المستشرقين في تحقيق النصوص ونقدها

9- تشجيه طلبة الدراسات العليا على خوض غمار ميدان التحقيق رغم صعوبته

10- فتح مشاريع بحث حول تحقيق المخطوطات وفتح مخابر تأخذ على عاتقها مهمة الاهتمام بالمخطوط

11- تحديث عملية تحقيق المخطوطات واستثمار وسائل التكنولوجيا الحديثة

12- الخروج من الجهد الفردي في عملية تحقيق المخطوط الى العمل الجماعي نظرا للمشاق التي بهذا الموضوع الحساس

## الاستشراق ودوره في تحقيق المخطوطات

**د. عابد بوهادي**

**جامعة ابن خلدون – تيارت –**

يرى بعض الباحثين في الموضوع أن نشأة الاستشراق إنما بدأ منذ أن استصفى نابليون أموال الكنيسة في إيطاليا وأقفل منشآتها واستولى على المدرسة المارونية (1798) التي ظهرت بأمر البابا غريغوريوس الثالث عشر عام 1584. «ثم تأسست مطبعتها الشرقية (1653)، حيث اختار بعض طلابها محققين في المطبعة أو تراجمة في جيشه، فانضموا إلى حملته.

ويرى الباحث اللبناني المعاصر نجيب العقيقي أنه اختيار منهجي يهدف إلى تأليف حلقة اتصال بين المشرق والمغرب وقد استثمره الفاتيكان وبعض ملوك أوروبا وأمرائها في جامعاتهم ومكتباتهم ومطابعهم، فعلموا اللغات

الشرقية وجمعوا مخطوطاتها وفهرسوها وترجموا النفيس منها، فعاونوا بذلك على تعريف الشرق في الغرب، لغات وديانات وشرائع ثقافات وحضارات الخ..([1]).

غير أن الدراسات النقدية للاستشراق؛ تؤكد في الكثير مما يتعلق بمجال تحقيق مخطوطات تراثنا العقلي أن ما قد يبدو تنويراً ثقافيًّا في عمل المستشرقين، هو في الواقع ظاهرة معكوسة كما أشار إلى ذلك مالك بن نبي في حديثه عن تنمية شخصيته الفكرية حيث قال: « والجيل الذي أنا منه يدين له بذلك النصيب على الأقل في المحافظة على شخصيته الإسلامية. اكتشفت ، وأنا بين الخامسة عشر والعشرين من العمر، أمجاد الحضارة الإسلامية في ترجمة دوسلان لمقدمة ابن خلدون وفيما كتب دوزي عنها وأحمد رضا بعد الحرب العالمية الأولى. وإنني على إدراك تام لما أدين به لهذه المطالعات».([2])

فاعتراف المفكر الجزائري مالك بن نبي بقيمة الاستشراق، لم يمنعه من نقده بعد ذلك، عندما يريد توضيح قيمة الوعي التاريخي بمشكلاته، وذلك لأن الافتخار بأمجاد الماضي في زمن الاحتلال له ما يبرره في مقاومة الاستلاب الثقافي وبناء الشخصية، غير أنه يصبح بمثابة الأفيون أو المخدر لأنه يبعدنا عن حقائق العلم. يضيف قائلا: « فالأدب الذي ينشد عصر الأنوار للحضارة الإسلامية يؤدي هذين الدورين: أنه أتاح – في مرحلة معينة– الجواب اللائق للتحدي الثقافي الغربي وحفظ هكذا مع عوامل أخرى على الشخصية الإسلامية، ولكنه من ناحية أخرى، صب في هذه الشخصية الإعجاب بالشيء الغريب ولم يطبعها بما يطابق عصر الفعالية والميكانيك».([3])

وفي ضوء هذا السياق النقدي تغلبت أطروحة أن الشرق والغرب لا يلتقيان على المسألة القائلة بوحدتهما؛ لأن تطور هذه المعرفة اعتمد على ما سُمِّي بالمركزية الغربية.

بالرغم من الاختلاف القائم بين الدارسين حول قيمة التنوير الثقافي للاستشراق، فإنه لا يغيب على أحد ما كان للاستشراق من دور فعال في مجال تحقيق المخطوطات في تراثنا العربي الإسلامي.

وقد يكون من الحكمة أن نراجع تاريخ هذا الدور، وبخاصة بعد نهضة علم الاستغراب الذي يعتبر العلم المضاد له، وهو تاريخ تتميّز فيه اتجاهات مختلفة.

ولعلنا نجد في ذلك ما يبرر شرعية التساؤل عن عوامل التقدم العقلي في تصنيف الموضوع إلى نوعين على الأقل هما:

أ – الاستشراق السياسي.

ب– الاستشراق العلمي.

---

[1] ) ينظر، نجيب العقيقي في عمله الموسوعي «المستشرقون».

[2] ) مشكلات الحضارة ، لمالك بن نبي، ص

[3] ) المرجع السابق ، ص:

### أ – الاستشراق السياسي

قد يكون من الطبيعي أن يتساءل المهتم بموضوع الاستشراق عن الفائدة التي يجنيها أولئك الأجانب من تخصيص جهودهم في دراسة القضايا الدينية والتراثية والتاريخية والاجتماعية للشرق؟

فإذا كان الغرض من الاستشراق هو مجرد طلب لدراسة ما في الشرق، فما الغاية من هذا الطلب؟ ولعلنا نجد في مقدمة كتاب ( مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية) الصادر عن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ومكتب التربية العربي لدول الخليج، الجواب بصورة واضحة ، خاصة إذا علمنا أن هاتين الهيئتين قصدتا بعملهما هذا « تصويب الأخطاء التي وقع فيها بعض المستشرقين الذين عالجوا موضوعات الفكر الإسلامي، ومقومات الحضارة العربية الإسلامية وتراثها الأدبي والعلمي والأخلاقي والسياسي في لغاتهم، فأساؤوا تقديمها لقرائهم، وحرّفوا مقولاتها، وشوهوا صورتها، عن قصد مبيّت حيناً، وعن جهل وسوء فهم أحايين أخرى».([1])

قد يقول قائل أن الأمر يتعلق بفئة من المستشرقين التي عملت في الدوائر السياسية، والتي لم تنظر إلى الاستشراق كنظام أكاديمي، بل كنظام « سياسي ومصطلح تاريخي يعنى بالشرق والإسلام والمعلومات المتوفرة عن الإسلام في الغرب، للتمكن من سياسة المسلمين والتحكم فيهم».([2])

وهذه المجموعة هي استمرار لتخريب هولاكو الذي جعل من المجلدات جسراً لعبور خيوله بين شاطئي دجلة، وما أتلفه الصليبيون في « طرابلس وحدها يقدر بثلاثة ملايين مجلد » بالإضافة إلى إحراق منظمة الجيش السري في 7 جوان 1962 لمكتبة الجزائر وإتلاف 600 ألف عنوان.

غير أن ما يراه بعض الدارسين مثل عبد الرحمن بدوي (1917 – 2002) يشككون في هذه الروايات. ويرون أن هذه الممارسات كانت سبب تعميم الأحكام على الاستشراق إلى درجة انعدام دراسة دقيقة ، تقوم على حصر أعمال المستشرقين، في مجال تحقيق التراث ونشره ... وإلى أن تتم هذه الدراسة، سيظل الحديث في هذا المجال (عمل المستشرقين) قائما على الحدس والتخمين، يعتمد على أحكام متسرعة، ويتأثر بأهواء مزاجية، وصلات شخصية، ومواقف نفسية، تجذبه من هنا وهناك ... ([3])

وعلى هذا الأساس كان موقف محمود قاسم (1913 – 1973) عندما فسر العلاقة الاستعمارية بالفكر الاستشراقي حيث رأى أن الاستعمار الفرنسي استطاع بجبروته وتعسفه أن يفرض لغته على الكثير من المثقفين في الجزائر وشمال إفريقية، غير أنه لم يستطع أن ينال كثيراً من العقيدة الإسلامية، رغم ما بذله المختصون في شؤون الثقافة من محاولات لفصم العقلية الجزائرية، عن طريق تمجيد وإشاعة الأكاذيب والأباطيل على نحو ما نراه في

---

[1] ) مشكلات الحضارة ، لمالك بن نبي، ص

[2] ) مشكلات الحضارة ، لمالك بن نبي، ص

[3] ) المرجع السابق ، ص:

مؤلفات لويس (ماسينيون) ([1])، كما رأى أن ماسينيون ما كان يُعنى بالحلاج قدر عنايته بتنفيذ مخطط استعماري أحكم صنعه، حتى يعمق الهوة بين طائفتين توجد بالجزائر: طائفة تتمسك بالقديم، فتنساق، حسب ظنه، إلى اعتقاد أن هذه الخرافات والهذيانات هي صميم الإسلام، وطائفة مثقفة بالثقافة الحديثة تتجه من جانبها إلى السخرية والزراية بهذه الخرافات، بل من الإسلام كله ...([2])

وكأن هذا التقسيم للمجتمع الجزائري يبرّئ سياسة التجهيل الاستعمارية، وينصف الاستيطان بجرائمه وقوانينه الجائرة، وقد كان لويس ماسينيون مستشارا بوزراة المستعمرات الفرنسية في شؤون الشمال الإفريقي، والراعي الروحي للجمعيات التبشرية الفرنسية في مصر وخدم بالجيش الفرنسي خمس سنوات في الحرب العالمية الأولى .([3])

فكيف تساهم مثل هذه الوظائف في تكوين جزائريين بثقافة حديثة؟ وهذا ما يدعونا إلى مراجعة النقد الموجه للاستشراق، خاصة عند أولئك الذين اعتمدوا آراء بعض المستشرقين من القرن الثامن عشر والتاسع عشر، وقد يبدو هذا الموقف مسألة ضرورية في فهم الاستشراق وتبيان أغراضه وأهدافه.

وقد لا يكون هذا التفسير محل إجماع ، ولكنه يبيّن لنا على الأقل أن الاستشراق أنواع مختلفة باختلاف اللغات الأوروبية، فمنه الإنجليزي، والفرنسي، والألماني، والإسباني، والروسي، وغيرها، وبعض هذه الثقافات لم تكن في الدائرة الاستعمارية وانتصرت للرؤية العلمية التي وجدت حسب البعض مع المجادلة التعليمية بالهند ، حيث كان المستشرقون هم الذين نادوا بالتعليم والأدب الهنديين، بينما كان معارضوهم يرغبون في أن تكون الإنجليزية هي أساس التعليم بالهند...([4])

### ب- الاستشراق العلمي

مجال الاستشراق العلمي (الفكري) واسع يشمل جميع ميادين المعرفة، فهو ظاهرة تاريخية ارتبط وجودها بتطور العلوم الإنسانية والاجتماعية التي انتصرت لمبدأ التعاطف لفهم عادات وأخلاق وأفكار الشعوب التي تكون موضوع الدراسة، ولعل من شروط هذه المعرفة هو امتلاك أدوات التواصل اللغوي وأحياناً الممارسة العقائدية، إلاَّ أن تطور الترجمة ووسائل الاتصال ونقل المعلومات، وما آل إليه الدور الاستشراقي من تراكم كمي في ترجمة تراثنا ، جعله يتطور نحو الإسلاميات، لأن المهتمين بالفكر الشرقي، وبالتحديد بالحضارة العربية الإسلامية اليوم نادراً ما يعرفون اللغة العربية، وعلى هذا الأساس، تأتي الدعوة إلى الحوار مع الاستشراق المعاصر، لأن الرهان الحقيقي هو امتلاك المعرفة وليس تصنيف هؤلاء على أساس ديني باعتبار أن هذا المستشرق متعاطف مع الإسلام وذاك معادٍ

---

[1]) ينظر، محمود قاسم، في كتابه حول الامام ابن باديس الزعيم الروحي لحرب التحرير الجزائرية، ألفه بعد نكسة 1967 حيث نحدث عن التصوف الكاذب وما خصصه ماسينيون من حياته للكتابة عن الحلاج حتى جعله صورة من المسيح في الإسلام.

[2]) مشكلات الحضارة ، لمالك بن نبي، ص

[3]) مشكلات الحضارة ، لمالك بن نبي، ص

[4]) مجادلة حسمها تقرير ماكولي الشهير سنة 1743

له، ونحن نعلم مسبقاً أن تكوينه العلمي يهدف أول ما يهدف إلى خدمة مشروعه الثقافي، على نقيض ما تعمل به بعض مراكزنا ومعاهدنا في تنمية ثقافة الآخر ولغاته كحلقات تابعة وليس كوجود منفعل وفاعل لتطوير ذاتها العلمية. يقول المستشرق الفرنسي مكسيم رودنسون:

إن الدراسات الاستشراقية اليوم معظمها دراسات جادة، وليس أمامها أي خيار آخر من أجل إثبات وجودها العلمي ومصداقيتها عند الباحث المتخصص أو القارئ إلا باتباعها منهجاً علميّاً دقيقاً يتوخى تقديم الفائدة والكشف بعيداً عن الميول الدينية المسيحية أو اليهودية وتعصبها تجاه المجتمعات ذات الانتماء الديني المخالف، وإن الدراسات الاستشراقية الحديثة التي كتبها جيلي أو الجيل اللاحق من المتخصصين المعنيين بشؤون الشرق العربي الإسلامي لم تكن سوى دراسات تتوخى الكشف العلمي بصدد الموضوع الذي تتناوله. وإن كان هناك شيء « تنتقد » بسببه، فهو انطلاقاً من نظرة مسبقة أو رؤية غربية للعالم دون أن تكون هذه النظرة ذات تعصب أو مراهنة على حيادية البحث العلمي([1]).

ومهما وجهت من **تهم للاستشراق والمستشرقين**، فلابد من إنصاف بعضهم، وخصوصاً أولئك الذين أدوا للتراث العربي والإسلامي خدمات جليلة سواء بأبحاثهم العلمية القيمة وتحقيقاتهم للتراث واكتشاف مصادره ووضع فهارس مهمة يستفيد منها القارئ العربي والغربي في أبحاثه ودراساته.

يقول إدوارد سعيد: « الاستشراق هو عبارة عن رد الفعل الغربي اتجاه الشرق. وهو أمر له جذوره في السياسة، ولكنه مع ذلك يعتبر ظاهرة ثقافية ([2])

ويرى المستعرب الإسباني بيدرو مارتينيت مونتابيت **أن شخصية المستشرق هي شخصية مزدوجة**. وهذا الازدواج الوظائفي النفسي ما يزال حتى الآن، لأن المستشرق هو شخص يريد أن يعرف حضارة مختلفة، حضارة بعيدة عنه. ولا شك أن هذه لها أصولها وخصوصيتها ومميزاتها. فعليه إذاً أن يتقمص هذه الحضارة، هذه الثقافة المختلفة البعيدة عنه ([3])

كان الأوروبيون على اتصال بالشرقيين منذ العصور القديمة التي شهدت ميلاد أولى العلاقات التجارية والسياسية بين أوربا والشرق. وبحكم قانون التطور ونمو الحاجات العلمية وظهور حركات التبشير، توثقت هذه العلاقات في العصور الوسطى أكثر من السابق. ومن ثم دخلت طوراً جديداً مع ظهور الرأسمالية في أوربا التي أصبحت بحاجة متزايدة إلى الشرق وخيراته، فغدت معرفة دقائق الأمور المتعلقة بشعوب هذه الرقعة الحساسة من العالم مهمة ضرورية فرضت ظهور علم قائم بذاته على صعيد القارة الأوربية عرف بالاستشراق الذي استهدف دراسة تاريخ شعوب الشرق واقتصادياتها ولغاتها وفنونها وعاداتها ودياناتها وفلسفتها وغير ذلك من المواضيع. فيكون الاستشراق

---

[1] ) ينظر حوار أجراه معه مندوب مجلة رسالة الجهاد الليبية بفرنسا، عدد 70، 1988، ص. 59.

[2] ) ينظر، لقاء معه في جريدة **الجزيرة** السعودية، عدد 19/ 11/ 1983، ص. 10.

[3] ) ينظر، حوار معه في مجلة **الموقف الأدبي** السورية، عدد 122، ص. 97 .

بذلك وليداً شرعياً للنظام الرأسمالي واستجابة ضرورية لمتطلباته، وليس مجرد صدفة كما يعتقد البعض([1])وظهر بصفته حقلاً علميّاً مستقلاً في القرنين 16 و17 م. والاستشراق بما هو علم إنساني هو بدوره امتداد لبقية العلوم الإنسانية التي ولدت في الغرب. إنه «نحن» في أوضاع تاريخية، وصور اجتماعية وممارسات حياتية لدى «الآخر» الذي يعبر عن وجودنا بلغة هي شبكة من العلاقات الاجتماعية والسياسية والتاريخية، هو وجود ليس كما نبتغي. ربما. أو يمثل صورة مغايرة لتصوراتنا، لطريقة تفكيرنا في الوجود، لطبيعة انفعالاتنا.

إنه «الآخر» الذي يهتم بأمرنا، بموضوع يشغلنا، يعري حقيقتنا، يكشف أوراقنا، يستنبط أسرارنا التي نحب إبقاءها مطمورة، لأنها تشي بضعفنا، بخواء أساليبنا في الحياة، محدداً حدود لغتنا في التفكير، حدود قاماتنا الحضارية، كيفية ممارسة حواسنا لوظائفها، إنه «الآخر» الذي يصحح مسارنا دون أن ندري، أو ندري ذلك عند التمعن([2])ولهذا لا نستطيع أن نقيم ستاراً حديدياً بيننا وبين هذا «الآخر» (المستشرقون). فلا مفر إذن من أن نباريهم في ميدان هو أخص الميادين بنا، لأنه من صميم ثقافتنا، حتى نعود سادته ومعلميه. فإن لم نفعل، فلن يكون أمامنا إلا واحدة من اثنتين: إما أن ننعزل ونتحجر كسائر الحضارات التي عجزت عن مواجهة التحديات الجديدة بالإبداع المستمر، وإما أن نمتص ونذوب. فلننظر إلى مقدار ما نترجمه من أبحاث المستشرقين، ومقدار ما يترجمه المستشرقون من أبحاثنا... ولننظر كم من الكتب والمقالات حتى لصغار المستشرقين، ترجم إلى اللغة العربية... لنتعرف بأن أبحاثنا ما زالت بوجه عام دون أبحاثهم في القيمة العلمية([3])

## منهج الاستشراق

لا شك أن المنهجية الاستشراقية تنطلق في نظرها إلى الشرق من اعتبار سياسي بالأساس، مفاده أن المستشرق يحاكم منطق الشرق بكل ما يحمله من موروث، ومن ثم يبدأ إعادة إنتاجه وصياغته في ضوء المنهجية الغربية في الرؤية إلى الشرق، ومن زاوية خارجية تجعل أسرار الشرق وتبعاته واضحة للغرب ومن أجله([4])

والمستشرق هو المراقب الموضوعي، لأنه يرى دون أن يكون شرقياً، وإن كان بفضل الكتب، وكتب المستشرقين الآخرين بشكل خاص، بما هي مادة «مراقبة» على الأحداث التي تزعج موضوعيته. فالمستشرقون يكتبون للأوربيين ما يريدون قراءته من ناحية، وما يحتاجه الشرقيون لفهم أنفسهم ومعرفة ذواتهم، فيصبح وجود المستشرقين شرعياً ومبرراً في عملية إحلال صوت المستشرق مكان صوت الشرقي. هذا هو لب عملية الاستشراق: إقصاء الشرقي عن المسرح الذي يتم فيه تمثيله؛ فلا صوت له إلا الذي أريد له ([5])

---

[1] ) ينظر، «هل الثقافة الغربية منبعها عربي؟»، مجلة **الوطن العربي**، عدد 40، صص. 60 . 62.

[2] ) ينظر، إبراهيم محمود، «محاكمة ماركس استشراقيّاً»، مجلة **الطريق**، عدد 6، 1990، ص. 104.

[3] ) ينظر، إبراهيم محمود، «المرجع السابق، ص. 104.

[4] ) ينظر، شكري محمد عياد، «المستشرقون»، جريدة **الرياض** السعودية، عدد 21/ 3/ 1985، ص. 15.

[5] ) ينظر: خير الله رشك سعيد، «الاستشراق»، مجلة **دراسات عربية**، عدد 9، السنة 26، ص. 106.

ويرى الدكتور إدوارد سعيد في كتابه "الاستشراق" أن الاستشراق ليس مجرد مذهب إيجابي حول الشرق يوجد في وقت واحد محدد في الغرب، بل هو كذلك تقليد جامعي ذو تأثير (حين يشير المرء إلى مختص جامعي يدعى مستشرقاً)؛ كما أنه إقليم للاهتمام يحدده الرحالة، والمشروعات التجارية، والحكومات، والحملات العسكرية، وقراء الروايات ومسارد المغامرات الغريبة المدهشة، والمؤرخون الطبيعيون، والحجاج الذين يمثل الشرق لهم نمطاً مخصصاً من المعرفة حول أماكن وشعوب وحضارات معينة.

وقد أصبحت العبارات الجاهزة المتعلقة بالشرق كثيرة الحدوث، وتجذرت هذه العبارات بقوة في الإنشاء الأوربي. ([1])

لقد حيكت صورة الشرق والإسلام بوجه خاص في ذهن الرجل الأوربي من خيوط الجهل والتعصب والتجني، حتى حفل التراث الأوربي بسوء فهم الشرق وسوء تصويره، ولم يفطن رواده إلى أن البشرية واحدة، وأن للحضارات والأديان أسساً ومثلاً واحدة، وأن القلوب واحدة مهما تعددت واختلفت الألسنة والألبسة والألوان والمعتقدات([2])وبسبب سوء النية في استخدام مصطلح الاستشراق بسبب ألوان التحامل التي سادت استخدامه، أصبحت الإشارة إليه مثيرة للمشاعر، مستفزة لقوى العقل لدى الكثير من المهتمين به، بل أصبح الاستشراق بسبب سوء استخدامه «بعبعاً» مخيفاً لدى هؤلاء.

ولهذا يتم تحديد الاستشراق مباشرة حين يكون هناك تحديد لأصوله في مقابلة مع مستشرق ما. وليس هناك مستشرق لا تنتابه مشاعر خاصة، حين يبدأ في الحديث عن الاستشراق، وذلك نتيجة البلبلة وعملية خلط الأوراق التي تمت باسمه وداخل فضائه بعضها مع بعض. وقد حاول العديد من المستشرقين التهرب من هذه الصفة([3])

ويرى الدكتور محمد أركون في تقييمه لثقافة المستشرق، أن المستشرقين الذين يكتبون لا يستطيعون الإفلات من التضامن مع الثقافة التي يكتبون فيها والتي كبروا في ظلها، وهي الثقافة العربية([4])

وعلى العموم، فقد انصبت اهتمامات المستشرقين على دراسة الإسلام بشكل جاد وعميق ودرسوه من عدة زوايا وجوانب، بل إنهم أوجدوا المختصين في كل جانب من جوانبه، ومن ثم انطلقوا حوله بأساسيات ثابتة حددت بمسار تفكيرهم. ولابد من الإشارة هنا إلى أعمال بعض المستشرقين الكبار الذين ساهموا مساهمة فعالة في خدمة التراث العربي الإسلامي، فأخرجوه من بطون خزانات المخطوطات المنسية للمحافظة على قسم منه ولإحيائه ونشره، مما ساهم ويساهم في إغناء ثقافة البلدان التي يعيش هؤلاء المستشرقون بين ظهرانيها، علماً بأن ما أنجزه

---

[1] ) ينظر، نبيل بهيم،الاستشراق: علم موضوعي أم سياسة مقنعة؟، مجلة **الطريق**، عدد 1981،5، ص155.

[2] ) ينظر، إدوارد سعيد في كتابه "الاستشراق"، ص. 215.

[3] ) ينظر، حسن جوادي، «صور غربية للعرب»، مجلة **حوار** اللبنانية، عدد 5، 1963، صص. 5 . 6.

[4] ) ينظر، مجلة **الطريق**، **المرجع السابق**، عدد 6، 1990، صص. 106 . 107.

هؤلاء من كتب وأبحاث عن ديننا وتراثنا في الفترة بين 1800 و1950 م يقدَّر بنحو ستين ألف كتاب (60.000). أضف إلى ذلك ما أنجزوه منذ سنة 1950 إلى اليوم!! إذ عرفت حركة الاستشراق تطوراً، وذلك تمشياً مع طبيعة المرحلة والوضع الجديد الذي تشهده الأمة العربية الإسلامية. واختلف غرب القرن الثامن عشر والتاسع عشر عن غرب النصف الثاني من القرن العشرين اختلافاً شديداً، وتغير الرأي الذي كان سائداً بين المستشرقين في القرنين الماضيين والذي كان قائماً على العصبية وإنكار فضل العرب ودورهم في الحضارة الإنسانية، فقد عصف بهم التعصب الأعمى. إلا أنه لا يجب إنكار ما قام به بعضهم الآخر من مجهود جبار في خدمة العرب حضارة وثقافة وفكراً، ومسحوا غبار الإهمال والنسيان عن كثير من آثار التراث العربي الإسلامي.

## المستشرقون والتراث الإسلامي

ليس الهدف هنا هو الدفاع عن المستشرقين، وإنما الغاية هي قبل كل شيء إبراز الحقيقة والوقوف على بعض الجوانب الإيجابية في أعمال هؤلاء، وينبه الدكتور **حسين مؤنس** إلى حقيقة هامة، وهي أنه منذ زمن بعيد نجد نفرا ممن لا يقرؤون الكتب الغربية في لغاتها يصرون على أن كل ما كتبه المستشرقون عنا تحامل وعصبية حتى ثبت في أذهان بعض قرائهم أن كل مستشرق عدو، وهذه فكرة خاطئة. فإن الكثيرين جدّاً من المستشرقين منصفون، وقد قالوا الحق كما تصوروه. حقيقة، هناك ناس متحاملون؛ ولكن إلى جانب هؤلاء، هناك علماء أجلاء لا يستطيع الإنسان إلا تقديرهم واحترامهم. وإذا وجد المسلم في كتاباتهم ما لا يرضيه، فليس من الضروري أن يكون ذلك صادراً عن سوء نية، بل هذا هو الحق كما رآه. وما دام قد صدر في ما يكتبه عن إخلاص، فنحن نحترم رأيه وإن لم يُرْضِنَا. ولا ننسى كذلك أن أولئك المستشرقين خدموا لغتنا وعلومنا خدمات جليلة. ويكفي أننا تعلمنا منهم تحقيق النصوص.

ومهما كان في آرائهم مما لا يرضينا، فهي آراء لا تنقص من قيمة الخدمة التي قاموا ويقومون بها. ويذكر **حسين مؤنس** طائفة من المؤلفات التي لا يجوز التقليل من شأنها، منها كتاب آسين بلاثيوس عن ابن حزم وكتابه في "الأصول العربية للكوميديا الإلهية لدانتي"، و"قاموس العربية المعاصرة" لهانزفير، ودراسات شارل بيلا عن الجاحظ، وما نشر من نصوصه، وكتاب مونتجمري واط عن سيرة الرسول (ص)، ومجموعة من الدراسات عن تاريخ الإسلام وحضارته، ومؤلفات ليفي بروفنسال عن التاريخ الأندلسي، وكتاب يوسف شاخت عن أصول التشريع الإسلامي وغيرها من المؤلفات الكثيرة التي اهتمت بالعرب والإسلام([1])

**أما الدكتور عبد الرحمن بدوي، فيرى أن الاستشراق** أدى مهمة في غاية الأهمية ... للدراسات الإسلامية والعربية، وخصوصاً في فترة كان العرب فيها في غاية التخلف والجهل بحضارتهم وعلمائهم وإنتاجهم القديم.

واستمرت هذه الحركة تقريباً حتى قيام الحرب العالمية الثانية، ثم بدأت حركات في العالم العربي – الإسلامي توخى أصحابها القيام بنفس المهمة التي حمل عبئها من قبل المستشرقين. ولما كانوا قد وجدوا أن بعض هؤلاء المستشرقين

[1] ) ينظر، حوار مع محمد أركون ، مجلة **الفكر العربي المعاصر**، عدد 20،21، ص. 82.

قد طغت عليهم منازع قومية أو دينية أفسدت أحكامهم، فقد كان من الضروريّ أن يقوم بعض العرب بالتصدي لهذه الأحكام. وهذا ما فعلته **أنا** مثلاً في ما يتعلق بالقرآن وسيرة النبي (ص)، في كتابي بالفرنسية "دفاع عن القرآن ضد منتقديه" سنة 1989 م و"دفاع عن النبي (ص)، ضد المفترين عليه" سنة 1990 م. هذا ضروريّ، خصوصاً وأن المتصدين للأمور الدينية في البلاد الإسلامية عاجزون كل العجز عن القيام بهذه المهمة لنقص ثقافتهم، وتحجر في عقولهم وجهلهم باللغات الأساسية التي كتبت بها الدراسات الاستشراقية الرئيسة([1])

**وعلى العموم**، فإن الاستشراق ليس شرّاً كله كما يعتقد البعض، وليس خيراً كله، لأن جزءاً كبيراً منه تم إنجازه في الفترة التاريخية التي جثم فيها الاستعمار الغربي على صدورنا. ولكن الاستشراق ـ بخيره وشره ـ معروض أمام عقولنا وأبصارنا، وتبقى علينا مسؤولية استخلاص الجيد والاستفادة منه وطرح الرديء والتخلص منه. ويرى الدكتور محمود حمدي زقزوق أن الاستشراق قضية تتناقض حولها الآراء في عالمنا الإسلامي: فهناك من يؤيده ويتحمس له إلى أقصى حد، وهناك من يرفضه جملة وتفصيلا ويلعن كل من يشتغل به بوصفه عدوّاً لدوداً للإسلام والمسلمين.

والواقع الذي لا يمكن إنكاره هو أن الاستشراق له تأثيراته القوية في الفكر الإسلامي الحديث إيجاباً أو سلباً أردنا أم لم نرد. ولهذا، فإننا لا نستطيع أن نتجاهله أو نكتفي بمجرد رفضه وكأننا بذلك قد قمنا بحل المشكلة. إننا لو فعلنا ذلك، لكنا كالنعامة التي تدفن رأسها في الرمال. ولهذا ليس هناك بديل عن مواجهة المشكلة وطرحها على بساط البحث ودراستها واستخلاص النتائج واقتراح الحلول.

وهكذا نجد أن موضوع الاستشراق يفرض نفسه علينا بإلحاح ويتطلب منا وقفة تأملية جادة لبحثه ودراسة أبعاده وتأثيراته في الإسلام والمسلمين. وهناك من غير شك بعض الجهود العلمية القيمة في هذا الصدد من جانب بعض المسلمين، وهي جهود لا يجوز التقليل من شأنها أو تجاهلها([2])

**ويرد المستشرق الفرنسي أندري ميكيل** على الانتقادات التي توجه إلى الاستشراق، فيقول:« أقول بكل نزاهة وفي إطار ما أكنه من ود وحب وصداقة للعرب: إنكم لا يمكن أن تستمروا في إعادة القول – خلال عشرين سنة أو خمسين سنة القادمة – إن كل ما ينتج من إنتاج في عالم غير عالمكم هو إنتاج سيء دون أن تقترحوا أنتم مناهج جديدة وبدائل جديدة ... تستطيع أن تثبت على أرض الواقع، إن كل ما هو موجود من مدارس وأبحاث وإنتاج في الغرب غير ملائم وسيء، إن النقد الصادر عن المثقفين العرب له ما يبرره وبدون جدال، وقائم على

[1] ) ينظر، «كتب كثيرة عنا»، مجلة **العربي**، عدد 66، 1966، صص. 13 . 19.

[2] ) ينظر، حوار معه أجراه كاظم جهاد في: مجلة **الكرمل**، عدد 43، 1991، ص. 124.

خلفيات فكرية وتوجهات قومية، ولكن أي نقد لا يمكن أن يثبت ويصمد إلا إذا كان صمودهم يعتمد على الإنتاج على الخلق والابتكار، وهذا هو الإطار الذي ينبغي أن نحدد فيه سيرنا وتصوراتنا ومفاهيمنا»([1])

ويجدر بنا هنا أن ننوه بمجهودات بعض المستشرقين في مجال الدراسات الإسلامية أمثال: آسين بلاثيوس وجاك بيرك ومكسيم رودنسون وأندري ميكيل وغارسيا غوميث وبوكاي وجارودي وبروكلمان وغوستاف لوبون وتوماس أرنولد – وما أطول حلقات السلسلة! يشهدون للإسلام بمطابقته للعلم وللمسلمين بملكاتهم الفكرية والعلمية ومساهمتهم البناءة في تشييد الحضارة الإنسانية.

المخطوط العربي بأروبا

د. أحمد رنيمة جامعة الشلف

من المهم جدًا البحث في تاريخ المخطوطات العربية التي وصلت إلى أوروبا منذ زمن مبكر. وقد حدث ذلك منذ القرن الثاني عشر ميلادي، ولكن زمن الازدهار كان خلال القرون التالية وبخاصة القرنين السابع عشر والثامن عشر، بعد تطور حركة الطباعة بالأحرف المتحركة التي انتشرت في معظم البلدان الأوروبية ولكن، وللأسف فإنّ الدولة العثمانية رفضت نشرها في ولاياتها العربية والإسلامية حتى سنة 1706م حيث ظهرت في مدينة حلب السورية.

أضحت الطباعة مهنة شريفة ومربحة وخطيرة أيضا في دول أوربا الغربية بالخصوص، وأصبحت المعرفة العلمية والدينية والأعمال الأدبية والفنية في متناول عدد أكبر من الناس ومن الطبقات التي كانت محرومة من التطلع إلى اكتشاف المعارف المختلفة. لقد ازداد عدد المتعلمين والمثقفين بنسب مُطردّة.

[1] ) ينظر، «الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري»، مقدمة "**كتاب الأمة**"، عدد 5، قطر، ص. 14.

كان على أوروبا أن تعرف نفسها، دينها وتاريخها وفنها وأدبها، وتنشر هذه المعرفة، كما صار عليها الاستمرار في مواجهة أعدائها الذين أرقوا مضاجعها منذ أمد بعيد، زمن الفتوحات الإسلامية الكبرى. كانت مشكلة أو مسألة الإسلام من بين أهم القضايا التي شغلت بال النخب الأوروبية، ودخلت أوروبا في جدال طويل وعقيم مع المسلمين منذ انتشار الاسلام في الشام ومصر، وإفريقية وجنوب أوربا ومعه، خلّفت المسيحية الشرقية البيزنطية والغربية اللاتينية، تراثا مدونا ضخما، ولكنه، بقي غير فعّال ومن دون تأثير كبير[1].

لكن التقدم الإسلامي في الغرب قد بدأ بالتراجع وتمّ الاستيلاء على جنوب غرب فرنسا ثم مناطق في شمال ايبيريا ثم جنوب إيطاليا وصقلية، ومع نهاية القرن الخامس عشر ميلادي، طرد المسلمون الذين لم يستطيعوا المحافظة على ممتلكاتهم في الأندلس بصفة نهائية، وعلى الرغم من ظهور القوة العسكرية الإسلامية الجديدة في شرق أوربا، إلا أنّ التجربة العربية الإسلامية في جنوب غرب أوروبا قد تركت تراثا زاجرا، أصبح فيما بعد وقود لنهضة أوروبا وسّر إدراكها لحقيقة الوجود المادي والتنظيمي للبشر، بعدما كانت هيمنت عليها الدوغمائية الكنسية الوسيطية لمدة ألف سنة أو يزيد.

كانت مسألة الإسلام موضوع جدال وسجّال ومن أجل نقده وايقاف تأثيره على أوروبا على المستويين الجغرافي والمعرفي، وكانت أوروبا بأمس الحاجة إلى البحث في أصول الإسلام ومصادر تدوينه، ومعارفه، وصار البحث عن المخطوطات العربية، ظاهرة لافتة للانتباه. لقد تُرجم القرآن خلال النصف الأول من القرن الثاني عشر ميلادي، كما تُرجمت كتب شتى في معارف شتى من اللغة العربية إلى اللغة اللاتينية، واستمر هذا النشاط ولكن بوتائر غير منتظمة.

إن الأحداث المتداخلة التي عرفتها طباعة المخطوط العربي في أوروبا منذ مطلع القرن السادس عشر ميلادي، تعود إلى شدّة الانتشار والنجاح الكبير الذي عرفه فن الطباعة بالأحرف المتحركة. لقد أدرك المعربون في أوربا أن الطباعة تمثل فرصة عظمى لإعادة إنتاج أعمالهم والترويج لأبحاثهم، ولكن من كانوا هؤلاء المعربون؟ وماهي غياتهم ودوافعهم؟

من المؤكد أن التجارة والدبلوماسية لا تنقطع بين الكيانات السياسية المتعاونة أو المتخاصمة، وعلى الرغم من العداء الظاهر بين دول الإسلام على السواحل الشرقية والجنوبية للمتوسط، والمماليك المسيحية في شماله كان السّمة الأبرز للعلاقة بين الإسلام والمسيحية، إلّا أنّ التجارة والاتصالات الدبلوماسية لم تنقطع بين الطرفين. ومع السلع المتبادلة كانت المعارف والمكونات الثقافية تنتقل وتنتشر، وعليه كانت اللغة العربية وغيرها معروفة ومفهومة من طرف

---

[1] ينظر كل من:

DANIEL NORMAN, (1960-1962-1966), *Islam and the West, the making of an image*, Edinburgh University Press, Edinburgh. / SOUTHERN RICHARD W., (1962-1878), *Western Views of Islam in the Middle Age*, 2nd print Cambridge, Mass.

بعض الأوربيين، وكانوا يكتبونها عند الضرورة وكانت لغة حية مستعملة في كامل سواحل المتوسط.[1] وكان على التجار وعلى القناصل الأوربيين معرفة هذه اللغة واستعمال مترجمين على أقل تقدير[2] ولكن القدرة على دراسة المؤلفات، الغربية ونشرها وطباعة نصوصها المخطوطة في العلوم والآداب ليست بأمر الهين، بل كانت تقتصر على فئة من المتبحرين الذين يتقنون اللغات المعروفة والضرورية لذلك العصر، مثل الإغريقية واللاتينية طبعا، والعبرية، وهذا ما ميّز مدرسة اللغات الثلاث التي أسسها فرانسوا الأول في باريس سنة 1530.[3] ولعل الاهتمام باللغة العربية جاء بعد الاهتمام بالغة العبرية واللغة السريانية، وهذه كانت هي المسماة بمجموع اللغات الشرقية. وكانت بعض هذه الدراسات تتميز بالسطحية في تعاملها مع اللغة العربية باعتبارها الأقل فائدة من الناحية الدينية من بين اللغات المذكورة أنفا، ولكن أهمية العربية كانت سياسية وعلمية وفكرية وتجارية بدرجة أكثر. وأضحى من المهم للغاية في الكثير من المدن الأوربية الكبيرة أن يكون هناك أتباع من التلاميذ للأساتذة الكبار في اللغات الشرقية والدراسات المرتبطة بها. وإذا كانت الطبعات العربية في أوربا قليلة جداً مقارنة بغيرها من الأعمال باللغات الأوربية، حيث بلغ عدد الأعمال المطبوعة حوالي مائتي مخطوط تمّ طبعها خلال ثلاثمائة عام، فإن ذلك يعود إلى صعوبة صناعة الأحرف العربية للمطابع وقلة الاستثمار والتمويل لمثل هذه المشاريع، اضافة إلى قلّة المتخصصين في هذا الفن، فلم يكن في إيطاليا وهولندا وانجلترا أكثر من ثلاثة أو أربعة أنواع من الخطوط العربية، كان أكثرها انتشارا الخط الثلثي مدمج مع بعض أشكال الخط المغربي، ولكن العمل في ألمانيا قد تميّز بأنه كان لكل مستعرب لغته العربية الخاصة به.

ومع ازدهار حركة النهضة في أوربا، ظلّ الاهتمام بالإسلام والثقافة العربية منحصرا في ما عرف بالدراسات العربية ومقتصرا على بعض الحلقات الدومانيكية والفرانسسكانية[4] في شبه جزيرة أيبيريا، وفي بعض الأوساط المتطلعة إلى ممارسة التبشير بين المسلمين.[5]

ويبدو أن مشكل نقص أدوات الدراسة والبحث من معاجم وقواميس ومخطوطات في البلدان الأوربية الغربية حتى القرن الرابع عشر الميلادي، أدى إلى تقلص الاهتمام باللغة العربية التي تبقى المفتاح الأساسي للولوج إلى الثقافة العربية والإسلامية وإحراز تقدم في موقف الغرب تجاه الإسلام. على الرغم من أنّ بعض الأوساط الطبية والفلسفية

[1] - GUBENATIS ANGELO DE, (1876), *Matériaux pour servir à l'histoire des études orientales en Italie,* Paris, bibl. Nati. De paris (8°z. 373, p 177…)

[2] - *L'Orient des provençaux dans l'histoire*, Marseille, 1982, pp.135-316.

[3] - BALAGNA JOSEE, (1984), *l'imprimerie Arabe en occident XVIe, XVIIe et XVIIIe siècles*, Maisonneuve et Larose, Paris, p 22.

[4] – هما أشهر الرهبنات التي اهتمت بمواجهة ومجابهة المسلمين في أوربا اللاتينية منذ مطلع القرن الثالث عشر الميلادي وحتى زمن متأخر من العصر الحديث.

[5] - DANNENFELDT KARL H., (1969), «the Renaissance Humanists and the knowledge of Arabic», in *Studies in the Renaissance*, Vol. II, pp96-117. / FUECK JOHANN, (1944), *Die arabischen Studien in Europa vom 12. bis in den Anfang des 19. Jahrhunderts, Beitrage zur Arabistik, Semistik und Islamwissenschaft*, Richard Hartmann und Helmuth Scheel, Leipzig. / MENÉNDEZ Y PELAYO, A., *Historia de los Heterodoxos Españoles,* Madrid, 1917.

كانت ما تزال تحافظ على تدوين مهم في مجال اهتماماتها. ولكن مع مطلع القرن السادس عشر الميلادي، بدأت حركة علمية وثقافية تنشر في بعض الجامعات المسيحية الغربية، وذلك بسبب زيادة الاهتمام بعملية التبشير من جهة ونظرا لرواج ما عرف بفكر الحركة الإنسانية من جهة أخرى. لقد ركز الإنسانيون على الدراسات اللغوية "الفيلولوجية" للنصوص القديمة، وأضحى حب دراسة اللغات وإتقانها مطمح كل متطلع للثقافة العالمية. وأصبح الكثير منهم يتقن أو مطلع على الأقل على اللغات مثل الإغريقية والعبرية والعربية والآرامية، وكانت هذه هي البدايات، ولكن الاهتمام أضحى أكثر تنظيما واحترافا مع نهاية القرن السادس عشر الميلادي.

ازداد الاهتمام في ايطاليا بتعليم اللغات الشرقية وبخاصة العربية بسبب رغبة الكنيسة الرومانية الملحة في محاولة الوصول إلى الوحدة بين الكنائس الشرقية والغربية واحتواء المسيحيين الشرقيين. وقد ظهر أول كتاب مطبوع بالعربية وكان موجها إلى مسيحي مصر الناطقين بالعربية. وكانت طباعة هذا الكتاب تحت رعاية البابا ليون العاشر (1475-1521م)، الذي كان من عائلة آل مديتشي وهي راعية النهضة الفنية والأدبية في فلورنسا الإيطالية، وكان الكتاب تحت عنوان "كتاب صلاة السوايع" وقد صدر في مدينة فانو الإيطالية سنة (1514م)[1] وهو موجه أصلا إلى النصارى المصريين يعلمهم صلوات الساعات السبع. كما كان من بين أشهر الإنسانيين الايطاليين المعربين جيروم أليندري،[2] وسانكتس باغنينوس دي لوكاس[3] (1270-1341م) SANCTES PAGNINUS DE LUQUES الذي شغل منصب أستاذ للدراسات العربية، وللغة العبرية بجامعتي ليون وروما. كما عُرف أنغيلوس كانينيوس دي أنغياري (ت1557م)، بإتقانه للغات الشرقية وسعة اطلاعه على ما تحويه من معارف، وقد ألف كتابا في تقابل معاني اللغات: السريانية والأشورية والعبرية والحبشية والعربية.[4] لكن أبرز المهتمين بالثقافة العربية خلال هذه الفترة كان المستشرق الإيطالي تيسيو أمبروجيو (1469-1540م)، والذي يزعم معاصروه بأنه كان يعرف ثمانية عشر لغة، ويتكلم عشرة لغات منها. وقد قام تيسيو بإلحاق ترجمة جزء من الفصل الثالث من إنجيل لوقا إلى العربية ملحقا بكتابة الأساسي في فقه اللغة.[5] وكان بهذا العمل قد وضع مادة قيمة لمستشرقي ذلك الزمان وبخاصة للمبشرين منهم. وهناك أيضا آغوستينو غيستيتاني AGOSTINO GIUSTINIANI (1479-

---

[1] - «*Septem horae canonicae a laicis hominibus recitandae juxta ritum Alexandrinorum seu Jacohitarum Alexandrino Patriarchae subditorm Arabicae*» Cf. BALAGNA JOSÉE, (1984), *l'imprimerie Arabe en occident XVIe, XVIIe et XVIIIe siècles*, Maisonneuve et Larose, Paris, p18.

[2] - CF. PAQUIER. J., (1900), *L'humanisme et la Réforme, Jérôme Aléandre,* Paris, pp 20-21.

[3] - BALAGNA JOSEE COUSTOU, (1989), *Arabe et humanisme dans la France des derniers Valois,* Maisonneuve et Larose, Paris, p49.

[4] - ANGELUS CANINIUS DE ANGHIARI, (1554), *Institutiones linguarum Syriacae, Assyriacae et Thalmudecae, una cum Aethiopicae et Arabicae collatione*, Paris.

[5] - TESEO AMBROGIO, (1539), *Introductio in Chaldaicam Syriacam atque Armeniam, et decem alias linguas characterum differentium alphabeta circiter quadraginta et corundem invicem conformatio*, Paris, éd. GUBERNATIS ANGELO DE, (1876), *Matériaux pour servir* à *l'histoire des études orientales en Italie,* Paris, pp38-39. Cf. BALAGNA COUSTOU JOSEE, *Arabe et humanisme*... op. cit., p 61.

1536م)[1] الذي شغل منصب أسقف منطقة نيبيو Nebbio في جزيرة كورسيكا والذي كان يَعرف اللغة اللاتينية والإغريقية وينسب له الفضل الكبير في دعم وتطور الدراسات العربية في إيطاليا وباقي أوربا، وتحت مسؤوليته قام بيترو بورّا PIETRO PORRA بطباعة ألفين نسخة من سفر المزامير المتعددة اللغات بمدينة جنوة سنة (1516م)، وأصبح هذا الكتاب أكثر شهرة تحت عنوان *Psalterium Nebiense* وقد قدّم هذا الكتاب خدمات كبيرة لفقهاء اللغة لأنه قام بوضع ترجمة سفر المزامير ضمن خانات متوازية لكل لغة مستعملة، وهكذا أصبح من الممكن مقارنة النص الواحد بلغات عدة. ثلاثة نسخ لاتينية في مقابل الترجمة العربية والعبرية والكلدانية[2] والإغريقية.

يبدو أنه كان للعرب تأثير بارز في التعريف بجغرافية الإسلام وما تحويها من تنوع عرقي وثقافي وطبيعي لبلاد المسلمين، وذلك من خلال أعمال الحسن الوزان المعروف بـ ليون الإفريقي (1495-1550م)، وكان الحسن، رحّالة وجغرافيًا وعالما عربيا تّم أسره أو اختطافه في جزيرة جربة التونسية من طرف القراصنة المسيحيين وإرساله إلى روما كهدية للبابا، الذي عمّده وأسماه يوحنا ليون، وقد مارس تأثيرا معتبرا في الأوساط المثقفة في إيطاليا وفي باقي دول أوربا، ولعل سبب ذلك وحدة اللغة ووحدة مناهج التدريس المفروضة من طرف الكنيسة على معظم بلدان أوربا الغربية على الرغم من بداية ظهور علامات تراجع اللغة اللاتينية، وانحصار هيمنة الكنيسة على الحياة السياسية خلال هذه الفترة. ويبدو أنّ مصير الحسن كان شبيها إلى حد كبير بمصير قسطنطين الإفريقي (1015-1087م) وهو مؤسس مدرسة ترجمة العلوم الطبية العربية في مدينة ساليرنو الإيطالية. وكانت أهم مؤلفات[3] الحسن الوزّان *Totius Africae Descriptione* وكتاب *De rivis quibudem illustribus apud Arabes* وقد ساهم هذان الأثران بشكل كبير في التعريف بالعرب والمسلمين وجغرافية بلاد المغرب في أوربا.

«لقد ترجم كتاب وصف إفريقيا إلى اللغة الإيطالية ونشر سنة (1550م)، وترجم أيضا في نفس السنة إلى اللغة الفرنسية ونشر في كل من مدينتي أنفير وليون. كما قام الحسن بتدريس اللغة العربية لجيل دي فيتربي GILLES DE VITERBE والذي يدعى AEGIDIUS والذي كان من أشهر تلاميذه، وأصبح فيما بعد كاردينالا من

[1] - BALAGNA JOSEE, *l'imprimerie Arabe...,* op. cit., pp21-22. / GUBERNATIS ANGELO DE, op. cit.. p33; / BALAGNA JOSEE COUSTOU, *Arabe et humanisme...* op. cit., p24-25.

[2] - اللغة الكلدانية: كان يُقصد بها اللغة الآرامية، وليس اللغة السومرية البابلية القديمة.

[3] - AFRICAIN L' JEAN-LEON, (1980), *description de l'Afrique*, 2 tomes, T.1, tr. d'It. Alexis Epaulard, Maisonneuve, Paris, pp V-XVI.

Cf. DANNENFELDT KARL H., «the Renaissance Humanists and the knowledge of Arabic», in *Studies in the Renaissance*, Vol. II, 1969, pp96-117, pp102-103.

أبرز رواد الحركة الإنسانية، وألف قاموسا عربي اسباني لجاك مانتينو JACQUES MANTINO وهو فيزيائي يهودي ذائع الصيت في زمانه».[1]

ولكن بعد الفترة التي شهدت ازدهار الحركة التبشيرية مع رامون بينيافورت ورامون لول[2] وغيرهما كُثُر، فإن الاهتمام باللغة العربية وعلى العكس من إيطاليا قد تقلص إلى حد مدهش في اسبانيا. وما يثبت ذلك، هي تلك الشهادات التي خلفها المثقفين المعاصرين الذين تطرقوا للمسألة، وكانت الشهادات تظهر دهشة حول كيف صارت لغة الأعداء (الأتراك المسلمين والمورسكيون خصوصا) مُهملة بشكل كبير خلال عصر النهضة[3]. لقد كتب مارينيو سيكولو وهو أحد الإنسانيين الصقليين أنه في سنة (1497م) كانت اللغتين العربية والكلدانية تُعتبر ضمن "اللغات المتوحشة (البربرية)" وأصبحتا مهملتين ولا تقدمان أي فائدة، في حين أنّ اللغات العبرية والإغريقية كانتا ما تزال تدرّس في جامعة سلمنقة الإسبانية.[4] وبعد حوالي نصف قرن أي سنة (1543م) لم يبق سوى ثلاثة طلبة يدرسون اللغة العربية في تلك الجامعة.[5] ما يفسر هذه الوضعية، هو الحالة السياسية لأيبيريا، حيث شهدت انتشار الحرب ضد المسلمين في كثير من أرجائها، وبالتالي فإن المهمات التبشيرية قد تراجعت وفسحت المجال للأعمال الحربية في أشد مظاهرها عنفا ودموية في الأراضي التي وقعت تحت سلطة الممالك المسيحية الكاثوليكية وتحت نظام محاكم التفتيش الكنسي. وبالمقابل فإن مشروع رامون لول في تعليم العربية لتنصير المسلمين قد وجد نفسًا جديدا في جزء آخر من غرب أوربا. حيث ظهر في فرنسا لوفافر ديطابل[6] LEFÈVRE D'ETAPLES وكذلك شارل دو بوويل CHARLES DE BOUELLES.

اعتبر الإسبان أن مشكلة الإسلام والمسلمين المورسكيين خصوصا، هي قضية شرطة محاكم التفتيش ورجال الدين، وعليه فقد شرعوا في عمليات واسعة للتطهير العرقي عن طرق القتل والتنصير والتهجير، وقد صاحب هذه السياسة عمليات حرق وتحطيم للكتب وتدمير للمكتبات. وكانت النتيجة حرمان اسبانيا وأروبا عامة من كنوز المعرفة

[1] - SEGESVARY VICTOR, (1978), *l'Islam et la Reforme, études sur les attitudes des réformateurs zurichois envers l'Islam* (1510-1550), l'Age d'Homme, Lausanne, pp 57-58.

[2] - رامون لول: (1232–1316م) من ابرز المستعربين اللاتينيين الأوائل، شجعه صديقه رامون بنيافورت، على تعلم العربية، ألف بالعربية والكتالانية في العقائد، والمنطق والعلوم والتصوف، وكان شديد التعصب لتنصير المسلمين.

[3] - يعتبر بعض المثقفون الإسبان، بأنّ إسبانيا لم تعرف عصر النهضة الذي انتشر في أوربا إلا في بعض الأشكال الهندسية والأعمال الأدبية النادرة، أنّ أكبر أخطاء الإسبان، كانا: طرد المريسكيين من البلاد، وتوقيف حملة نابليون بونابرت البلاد.

[4] - MARINO SICULO, «Hispaniae laudibus» (1497), Cf. BATAILLON, op. cit. p 3.

[5] - GROUSSAC PAUL, «Le Commentateur du Laberinto», in *Revue hispanique*, Vol. XI, 1904, p 222.

[6] - BALAGNA JOSEE COUSTOU, *Arabe et humanisme*... op. cit., p 13.

العلمية الإنسانية، ولم تستطع إلا القلّة القليلة من المثقفين الأوربيين –الذين كثيرا ما كانت تتهددهم مراقبة السلطات– استغلال الفرصة بإبداء الاهتمام بالدراسات العربية أو مطالعة الثقافة الإسلامية أو عقيدة "أعداءهم" في الدين. فالمقاومة السياسية هي التي احتلت المقام الأول لدى الكنيسة ولدى الدولة وبالتالي لدى الجماهير من الأتباع. ولكن بعد سقوط غرناطة سنة (1492م) بحوالي عشر سنوات عادت فكرة الحوار السلمي مع المسلمين لتحتل مساحة في الأوساط المسيحية.

لقد قام هيرنانديز دي تلافيرا Hermandes de Talavera –وهو أول رئيس أساقفة غرناطة بعد الاستيلاء عليها– بتوزيع قواميس وكتب قواعد اللغة العربية على كل القساوسة والرهبان التابعين لأبرشيته، وذلك من أجل أن يسهل عليهم الاتصال بالعرب المسلمين. وقد وجد هرنانديز سندا كبيرا تمثل في شخص الراهب بيدرو دالكالا Pedro del Alcalá (Dannenfeldt, 1969: 106-107) ، الذي قام بإنجاز قاموس اسباني عربي *Vocabulista aravigo en letra castellana* يحتوي على اثنين وعشرين ألف كلمة بالأحرف القشتالية، تمّ طبعه في غرناطة سنة (1505م). وهناك كتاب آخر لـ دالكالا وهو *Arte para ligeramente saber la lengua aravigua* الذي ظهرت له طبعة جديدة مصححة في السنة نفسها. لقد كانت منهجية بيدرو دالكالا أكثر تطورا ودقة باعتباره فقيها متميُزا في اللغة خلال فترة حياته العلمية في مقابل معظم معاصريه.[1]

ازداد الضغط والإجبار على تبني فكرة الدعوة إلى تنصير المورسكيين، مع مطلع القرن السادس عشر الميلادي. وبذلك فقد تضائل الاهتمام بالدراسات العربية إلى درجة الهجران التام تقريبا، ولم يبق سوى القليل الذين فضلوا العمل في هذا المجال، وكان أشهرهم الإنسانيين الإسباني دييغو لوباث دي ستونيغا Diego Lopez de Stunige الوحيد الذي انكب على دراسة العربية.(Segesvary, 1978: 58)

والمؤكد أن الاهتمام باللغة العربية لم يبدأ في الشمال أي في الإمبراطورية الرومانية الجرمانية المقدسة سوى في وقت متأخر، فالتهديد السياسي والعسكري المباشر لم يكن واقعا عمليا كما كان دوما مع الدول المطلة على البحر المتوسط قبل القرن السادس عشر الميلادي.

أما العلاقات التجارية فلم تكن موجودة كما كانت مزدهرة مع البنادقة والجنويين ومتعامليهم من المسلمين. ولكن هذه الفترة قد تميزت بتطوير الجانب المنهجي للمعارف العبرانية، وازدهار دراسة علم اللغة والآداب، ولم يقتصر ذلك على اليهود فقط، بل توسع إلى فئة غير قليلة من المتخصصين في المعارف الضرورية لفهم ودراسة العهد القديم

[1]- SEGESVARY V., op. cit. p58.

من الكتاب المقدس، ودراسة الكتابات التي كان لها علاقة بالماضي المسيحي. وكان إلزاما على النخب المسيحية آنذاك الاهتمام باللغات التي لها علاقة بهذا المجال وكانت أهمها اللغة الآرامية التي كانت تدعى الكلدانية.

أمّا العربية فكانت بعيدة نسبيا لكنها بقيت مهمة جدا كلغة مساعدة بسبب كثرة العبارات الغامضة التي يستعملها الحاخامات اليهود في القبالا وهي التفسير الصوفي الرمزي والسحري للكتاب المقدس مستعصية على الفهم، بل ومستحيلة دون مقارنتها مع غيرها من العبارات المكافئة في كل من العربية الآرامية، وكان هذا أكبر اهتمام بسيبستيان مونستر Münster Sebastian الذي صرّح بأنه نظرا للغموض الكبير وصعوبة المفردات *Extranea vocabula* للتفسيرات الحاخامية للنصوص المقدسة فإنّ الدارس يحتاج إلى معرفة العديد من اللغات من أجل فهم الشروح، وأهمها: التلمودية (العبرية) والآرامية والكلدانية والإسماعيلية والعربية والإغريقية والجرمانية والإيطالية، والإسبانية، والغالية (الفرنسية).[1]

كما اهتّم كونراد سالتس Conrad Celtes وهو من الإنسانيين الألمان الأوائل إضافة إلى الجدال الديني بالدراسات العربية وبالمخطوطات الإسلامية على سبيل الفضول العلمي وليس الوظيفة التبشيرية أو الجدالية وقد قام بإرسال مخطوطا عربيا إلى صديقه في ألمانيا وهو فليبالد بيركهايمر Willibald Pirckheimer يحوي بعض السور القرآنية وأدعية تركية.[2] وكان ذلك مع بداية القرن السادس عشر الميلادي، ولكن المعربين الحقيقيين لم يظهروا سوى بعد انتشار الإصلاح الديني. (Segesvary, 1978: 59)

يعدّ يوهان ألبرشت فيدمان شتيتر[3]Johan Albrecht Widmannstetter من أكثر المستشرقين الألمان شهرة في تلك الفترة.[4] لقد نزل في إيطاليا سنة (1527م)، وتعلم اللغة الإغريقية، واللغة العربية واللغة العبرية، وأستاذه في اللغة العربية كان ستونيغا سابق الذكر إضافة إلى بعض الأفارقة (المغاربة) القاطنين في مدينة روما، حيث كان يتابع محاضرات بن يمين أينيانوس Benyamin Arignanus حول القرآن "الكريم". وقد تقدم فيدمان شتيتر بطلب إلى البابا كليمونت السابع Clement vii لإدخال اللغة العربية والسريانية إلى المدارس المسيحية.

ولكن الخطة لم تنجح لأن البابا مات سنة (1534م)، قبل تحقيق المشروع، وضعف حماس البابا الذي خلف كليمونت، بل رفضه وصل الحال بالبابا الجديد إلى رفض المشروع تماما. وقد ترك فيدمان شتيتر مجموعة مهمة جدا من الإعمال الشرقية حوالي (300) ثلاثة مائة مخطوط باللغات العربية والعبرية والسريانية وحوالي (500) خمسة

[1] - *«Talmudicam, Chaldaicam, Ismaeliticam, Arabicam, Graecam, Germanicam, Italicam, Hispanicam et Gallicam»,* Cf. PERLES JOSEPH, (1884), *Beiträge zur Geschichte der Hebräischen und Aramäischen Studien,* München, p29.

[2] - *Willibald Pirckheimers Briefwechsel* Herausgegeben von Emil Reicke, München, 1940, T. 1, pp144-149.

[3] - BALAGNA JOSEE COUSTOU, *Arabe et humanisme*... op. cit., p104.

[4] - CF. MÜLLER MAX, (1907), *Johan Albrecht von Widmannstetter*. Bamberg.

مائة من المراجع بهذه اللغات. وكانت ترجمته للقرآن وكذا كتابا حول قواعد اللغة العربية بقي مخطوطان. ويحتمل أن يكون المستشرق البلجيكي أندرياس ماسيوس (1515-1573م) Andreas Masius قد شرع في دراسة العربية في روما أيضا، وقد ساهم في انجاز الكتاب المقدس المتعدد اللغات الذي صدر في أنفار Anvers. كما أصدر ماسيوس كتابين وهما: *Grammatica linguae syriacae* *Syriorum peculium* وكان ذلك سنة (1571) في مدينة أنفار.[1] وكان من بين مشجعي أندرياس ماسيوس على التخصص في الدراسات الشرقية والعربية خصوصا المستعرب الفرنسي الكبير غيوم بوستال[2] (1510-1581م) Guillaume Postel وكذلك موسى دي ماردن Moise de Mardin وكونراد غسنر Conrad Gesner الذي كان من علماء الطبيعة والكتّاب السويسريين العارفين باللغة العربية. (Segesvary, 1978: 59)

أما في بقية الدول الأوربية الأخرى فلم يكن هناك اهتمام كبير بدراسة باللغة العربية، ففي خلال النصف الثاني للقرن السادس عشر الميلادي قام ميكائيل نياندر (1525-1595م) Michael Neander بنشر فهارس الكتب التي تناولت اللغة العربية والدراسات الإسلامية، كما قام العالم الألماني يعقوب كريستمان (1554-1613م) بعمل مماثل وكان أول من دشن تعليم اللغة العربية في جامعة هيدلبرغ.[3]

من المؤكد أن فراسوا رابلي François Rabelais كان يعرف اللغة الإغريقية واللاتينية والعبرية، ولكن يُحتمل أن يكون قد تعلم اللغة العربية. ففي رسالة إلى بنتاغروال يوجه له غرغنتيا النصيحة بأن يتعلم اللغة العربية لأنها النافذة على الثقافة العالمية.[4] وكان رابلي يميز جيدا بين اللغة العربية الفصحى وبين اللغة العربية المنتشرة بين المورسكيين في الأندلس.[5] وكان فرانسيس رافالينغ[6] (1539-1597م) Francis Rapheleng ناشرا هولنديا مشهورا، وقد درس في باريس ودرّس في كامبريدج اللغة الإغريقية، منذ سنة (1565م) كما ساهم بقسط كبير في نشر الكتاب المقدس المتعدد اللغات بين سنوات (1569) و(1573) في ثمانية مجلدات، كما تكلّف بإدارة مطبعة مدينة ليدن Leiden إضافة إلى تدريسه اللغتين العربية والعبرية في جامعة مدينة ليدن. وكان قد شرع في دراسة اللغة العربية لغة القرآن منذ سنة (1564م) حيث وضع معجم اللغة العربية ولكن أهم أعماله كان صنع أحرف

[1] - BALAGNA JOSEE COUSTOU, *Arabe et humanisme*... op. cit., pp83-84.

[2] - BALAGNA JOSEE COUSTOU, *Arabe et humanisme*... op. cit., p39 sqq.

[3] - NEANDER MICHAEL, (1567), *Sanctuam linguae Hebracae erotemata,* Bâle, pp357-540. / CHRISTMANN JAKOB, (1554-1613), (1582), «*Alphalictuni rabicinn coin isagoge scribendi leecndique Arabice»,* Cf. DANNENFELDT, *op. cit.*, pp109-110.

[4] - RABELAIS FRANÇOIS, *Gargantua et Pantagruel,* Vol. II, ch. VIII; Vol. IV, ch. XXV. / BALAGNA JOSEE COUSTOU, *Arabe et humanisme*... op. cit., p37.

[5] - *Revue des études rabelaisiennes*, T. VII, 1909, pp333-335.

[6] - BALAGNA JOSEE COUSTOU, *Arabe et humanisme*... op. cit., pp95-96.

المطبعة العربية والتي كانت منحوتة من الخشب ثم عوضت بالأحرف المعدنية، وهذا ما أدى إلى زيادة معتبرة للمطبوعات العربية في أوربا. (Segesvary, 1978: 59-60).

أما في إنجلترا فإن الاهتمام بالإسلام والدراسات العربية عموما أخذ منحا بطيئا في البداية، إذ أنّ أول المختصين في فقه اللغة العربية كان روبرت ويكفيلد Robert Wakefield الذي نشر في لندن أول كتاب مكتوب بالأحرف العربية والعبرية سنة (1524م)، تحت عنوان *Oratio de laudibus et utilitate trium linguarum, Arabicae, Chaldaicae, et Hebraicae*. ولكن الظهور الحقيقي للدراسات العربية كان في النصف الثاني من القرن السابع عشر الميلادي واستمر حتى القرن الثامن عشر. حيث تمّ فتح كرسي للغة العربية في جامعة كمبريدج سنة (1632م) وفي جامعة أكسفورد (1636م) وكان هناك اثنين من رواد هذه الحركة وهما ريتشارد برات (1560-1737م) Richard Brett والذي كان من أكبر المستشرقين الإنجليز، وكان يعرف اللاتينية والإغريقية والعبرية والآرامية والعربية والحبشية. وكان هناك أيضا ويلم بدول (1561-1632م) William Bedwell، وكانا كلاهما عضوا في فريق الترجمة تحت إمرة الملك جيمس الأول لوضع ترجمة انجليزية للكتاب المقدس. وكان بدول Bedwell المؤسس الحقيقي للدراسات العربية في انجلترا. لقد أكمل في سبع مجلدات أول قاموس انجليزي عربي وبقي مخطوطا. وفي المقدمة التي كتبها لترجمة رسائل القديس يوحنا إلى اللغة العربية. فقد عبر: «اعلم أيها القارئ أنه لا توجد لغة -باستثناء اللاتينية والإغريقية-تحوي من المعارف الصلبة والمعالم الموسوعية مثل اللغة العربية[1]»

**جهود المستشرق جوتهلف برجستراسر في تحقيق النصوص العربية**
**من خلال كتابه أصول نقد النصوص ونشر الكتب**

**مداخلة الدكتور : عبد اللطيف حني**
**أستاذ محاضر بقسم اللغة العربية وآدابها – جامعة الطارف**
**الملتقى الدولي الثاني حول مناهج تحقيق النصوص عند العرب والغرب**
**مخبر جمع دراسة وتحقيق مخطوطات المنطقة وغيرها– جامعة زيان عاشور بالجلفة**
**الجلفة يومي : 14 و 15 أفريل 2013**

**مفتتح :**

1- *D. lohannis apostoli et evangelistae Epislolae Catholicae omnes, Arabicae»,* Leyden, 1612, p4.

إن تطور الأمم مرتبط بماضـــيها وما يشـــتمل عليه من قيم وآداب وأخلاق وعلوم، وبمدى التوفيق بين هذه المقومات وعصـــرها، وحري بكل أمة أن تعتني بموروثها العلمي، وذلك بالاهتمام بعلم تحقيق التراث وحفظه من الضياع والتلف وإخراجه من صفة المخطوط إلى المطبوع لكي يتسنى له السفر عبر الأزمنة المقبلة بأمان .

وقد قدمت الكثير من الدول العربية والإسلامية جهودا في سبيل حفظ وتحقق المخطوطات، لكنها تبقى قاصرة أمام كمها وعددها الكثير، الذي ينتظر الخروج للنور ووضـعه بين يدي المختصـين للاسـتفادة منه علميا، لذا تجند الكثير من الدارسين والمهتمين بالتراث العربي الإسلامي لحفظ وتحقيق مخطوطاته ومنهم المستشرقون (برجستراسر، بلاشير، سوناجيه، بروكلمان ...) الذين قدموا أعمالا رائدة وخدمات جليلة وهامة في هذا المجال وغيره خدمة للغة العربية والتراث الإسلامي .

وعليه تستمد هذه المداخلة شرعيتها في تسليط الضوء على أعمال وجهود المستشرقين في حفظ وتحقيق التراث العربي الإسـلامي، متخذة من المسـتشـرق الألماني جوتهلف برجسـتراسـر نموذجا وذلك بكشـف منهجه في تحقيق المخطوط من خلال كتابه أصـول نقد النصـوص ونشـر الكتب، وهو عبارة عن محاضـرات ألقاها برجسـتراسـر على طلبة الماجستير بجامعة القاهرة سنة1931م ، ولقد حظي برجسـتراسـر بتقدير علمي في هذا المجال، فمحاضـرات كانت مطمح أنظار جميع العلماء وعلى رأسـهم الدكتور طه حسـين الذي كان حريصـا على حضـورها، وستحاول المداخلة التعرض لمنهجه المراعي جهود سابقيه ومؤسسا لمن يأتي بعده، المعتمد على ثلاثية : النسخ، النص، العمل والإصـلاح في التعامل مع المخطوط موضـحا الخطوات العامة والدقيقة للعمل الصـحيح بطرقة يسـيرة وممتعة، كما نبين قيمة الكتاب العلمية لدى المختصين بهذا العلم وثمرة جهد مؤلفه.

**جهود المستشرقين والعرب في تحقيق المخطوط :**

إن العناية بالتراث العربي كان ولازال ضـرورة تضـطلع بها النفوس الغيورة على تاريخ أمتها وعلومها، فكان علم تحقيق المخطوط من العلوم التي قيضـــت للعلماء والدارســـين الاطلاع على مختلف النفائس والذخائر العلمية التي ورثها الســـلف عن الخلف، فالتحقيق «علم من جهة، وصـــناعة وإصـــلاح من جهة أخرى»[1]، وترجع أصـــوله التاريخية إلى أوروبا في القرن الخامس عشـر بعد الميلاد، وذلك حين عاد العلماء والدارسـون والنقاد إلى المصـنفات اليونانية واللاتينية، واهتموا بإحياء علومها قصـد الاسـتفادة منها في النهضـة الأوروبية فيما بعد، فقد شـكلت هذه المخطوطات إرثا عظيما بالنســـبة للأوربيين، ومصـــدرا هاما لثقافتهم العلمية والأدبية، إذ «كانوا يومئذ إذا وجدوا

---

[1]– جوتهلف برجستراسر، أصول نقد النصوص ونشر الكتب، إعداد وتقديم : محمد حمدي البكري، مطبعة دار الكتب، القاهرة، ط2، 1995، ص 11.

كتابا من كتب القدماء قاموا بطبعه : لا يبحثون عن النسـخ الأخرى لهذا الكتاب، ولا يصـححون إلا أخطاءه البسيطة، فلما ارتقى علم الآداب القديمة، عمدوا إلى جمع النسـخ المتعددة لكتاب من كتب القدماء، وإلى المقابلة بين هذه النسـخ المتعددة وكانوا كلما تخالفت النسـخ في موضـع من المواضـع اختاروا إحدى الروايات المختلفة ووضـعوها في نص الكتاب، وقيدوا ما بقي من الروايات في الهوامش، ولكنهم مع ذلك تعمدوا الانتقاء المهم منها واستنجوا اصطلاحات حدسية، يخالفون بها ما هو مروي في النسخ»[1].

إن الطريقة المعتمدة من طرف الأوروبيين آنذاك تثبت بداية هذا العلم الذي خطى خطواته الأولى معتمدا على هدف واحد هو إخراج هذه المخطوطات والنسـخ إلى الهيئة المتداولة بين الناس، وباسـتطاعتها في شـكلها الجديد القديم اسـتئناف رحلة الحياة الطويلة وحمل رسـالتها إلى الأجيال القادمة، لكن رغم هذه البداية «إلا أنهم في كل ذلك لم يكن لديهم منهج معلوم، ولا قواعد متبوعة، لأنهم لم يكونوا قد فكروا تفكيرا نظريا في تصـحح الكتب، وأي الطرق تؤدي إليه، أيها لا يؤدي بل قد تؤدي إلى غرض باطل فاسد»[2].

ومازال دأب الأوربيين على هذا العمل حتى أواسط القرن التسع عشر أينما تفطنوا إلى تقنين هذا العلم، ووضع قواعد وأسـس لنشـر ونقد هذه النصـوص والكتب القديمة، معتمدين في ذلك على الآداب اليونانية واللاتينية، ثم آداب القرون الوسطى الغربية، وبذلك خطى هذا طريقه نحو التشكل والتمظهر واتخذ لنفسه قواعد وأسس علمية سار على إثرها العلماء واستأنسوا بها في نشر الكتب وتحقيقها[3].

وقد عمل المستشـرقون بهذه القواعد والأسـس العلمية التي تسعى إلى تحقيق الكتب العربية والمشرقية، موظفين خبراتهم السابقة في هذا الميدان، ومسخرين ثقافتهم بالآداب والعلوم اليونانية القديمة في تحقيق ونشر الكتب العربية، إلا «أنهم لم يؤلفوا في ذلك كتابا خاصا يشرح الطريقة ويبين خطواتها، لذلك بقي هذا العلم محورا بين الذين لديهم معرفة واطلاع على آداب اللغات القديمة اليونانية واللاتينية.

ويعد المستشرق الألماني الدكتور برجستراسر (Bergstraesser) من الرواد الذين ألفوا وخاضوا في هذا الفن، وذلك من خلال المحاضـرات التي ألقاها على طلبة الماجسـتير بقسـم اللغة العربية وآدابها في كلية الآداب بجامعة

---

[1]– نفسه، ص 11.

[2]– نفسه، ص 11.

[3]– ينظر : أحمد محمد الخراط، محاضـرات في تحقيق النصـوص، المنارة للطباعة والنشـر، الرياض، السعودية، ط1، 1984، ص 26.

القاهرة سنة1931م، حيث لقنهم أسس وطرق هذا العلم، وهي التي جمعت في كتابه (أصول نقد النصوص ونشر الكتب) الذي سنتخذه نموذجا للتطبيق.

وهذا ما يؤكد السبق الذي حققه المستشرقون في هذا المجال، إذ «هم أولمن عنوا بوضع الأصول والقواعد المتعلقة بتحقيق المخطوطات، وأخرجوا بعضها، ككتاب الفهرست لابن النديم، الذي حققه فلوجل سنة 1871، ومعجم البلدان ليقوت الحموي، الذي حققه فستفلد سنة 1868»[1].

ولعل المستشرقان الفرنسيان بلاشير(R.Blachére) وسوفاجيه (J.Souvaget) أول من قدما عملا جديا وحقيقيا بعد برجستراسر (Bergstraesser)، وذلك حين أخرجا كتيبا بالفرنسية تحت رعاية جمعية (جيوم بوده)، في فن نقد النصوص ونشر الكتب تحت عنوان ( قواعد نشر النصوص وترجمتها )[2] سنة 1954، لكن هذا الكتيب خصص أغلبه بشرح طريقة ترجمة الكتب وقواعدها من العربية إلى الفرنسية، وأقتصر على قواعد مختصرة وإشارات في علم التحقيق مستغنيا عن الأمثلة التوضيحية والنماذج التي تأخذ بيد الطالب لهذا الفن إلى الممارسة الصحيحة والسليمة[3].

وقد قدمت بعض النقاد العرب جهودا بعد ذلك تأصل لهذا الفن وتحاول المشاركة في رسم ملامحه وإبرازه معالمه انطلاقا من الخبرة الأوروبية، حيث تحدث الدكتور محمد مندور بشكل موجز عن قواعد نشر النصوص الكلاسيكية عند نقده لكتاب (قوانين الدواوين) لابن مماتي في العددين من 277 و 280 من مجلة الثقافة بالقاهرة سنة 1944، الذي أعاد نشره في كتابه الميزان الجديد.

وعند نشر كتاب (تاريخ مدينة دمشق) سنة 1951 من طرف اللجنة العلمية للمجمع العلمي العربي بدمشق تطرقت في مقدمته لقواعد وأسس تحقيق الكتب بشكل مختصر موجز كما تحدث الدكتور إبراهيم بيومي مدكور عن بعض قواعد نشر الكتب التي استهل بها مقدمة التي وضعها لكتاب (الشفاء) لابن سينا، سنة 1953.

---

[1]– مهدي فضل الله، أصول كتابة البحث وقواعد التحقيق، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط2، 1998، ص 142.

[2]– R.Blachére Et J.Souvaget t, Regles pour édition et traduction des textes arabes, Paris, 1945.

[3]– ينظر : عبد اللطيف محمد العبد، مناهج البحث العلمي، مكتبة النهضة العربية، القاهرة، مصر، 1979، ص 35.

بعد هذه الجهود التي كانت تشير بشكل مقتضب وموجز لفن نشر وتحقيق الكتب والنصوص، ينشر الأستاذ عبد السلام هارون كتابا بالقاهرة سنة 1954 م – 1374هـ تحت عنوان (تحقيق النصوص ونشرها)، و«كما يذكر مؤلفه في مقدمته هو ثمرة كفاحه وتجاربه في نشر النصوص القديمة، وهو مجهود لا بأس به، ولكنه مع ذلك لم يحط بالموضوع، وقد أعيد طبعه سنة 1965، وكتب على غلافه (تمتاز بإضافات هامة)، وإن كانت لا تختلف في جوهرها عن الطبعة السابقة»[1].

ويبادر الدكتور صلاح المنجد بنشر كتابه (قواعد تحقيق النصوص) في الجزء الثاني من المجلد الأول من مجلة معهد المخطوطات العربية بالقاهرة سنة 1955 حيث تحدث أصول التحقيق مشيدا بدور المستشرقين وسبقهم العلمي في وضع أسس هذا الفن« وقد استقى الدكتور المنجد القواعد التي ذكرها في مقاله من نهج المستشرقين الألمان ومن خطة جمعية بوده الفرنسية ومن قواعد المحدثين والقدامى فيضبط الروايات، ومما نشر في هذا الموضوع من قبل»[2].

هذا نبذة وجيزة عن دور المستشرقين والعرب في إظهار وإبراز فن نشر وتحقيق الكتب الذي يضرب بجذوره إلى قرون بعيدة لأهميته ودوره في تحريك عجلة الثقافة والآداب والفنون، ويبدو أن للمستشرقين دور عظيم في إرساء قواعد هذا العلم من خلال ما تقدم من أعمالهم المبكرة والتي كانت بداية اتبعها الأدباء والنقاد لابتكار أسس جديدة وطرق علمية حديثة تخدم هذا العلم الذي بدوره يخدم الآداب والثقافة الإنسانية.

**نبذة عن سيرة المستشرق برجستراسر جوتهلف :** [3]

ولد برجستراسر في الخامس من أفريل 1886م بأحد ضواحي مدينة بلاون بسكسونيا، في عائلة كان أفرادها من مأموري الحكومة والعلماء والأساتذة، انتسب أبوه وجده إلى الكنيسة البروتستانت بصفهما قسيسين.

أخذه برجستراسر دروسه الأولى بمدرسة بلاون، حيث تعلم فيها اللغات اليونانية واللاتينية والعبرية والفرنسية، وكانت تتيح المدرسة للطلبة الاختيار بين العربية والانجليزية فأختار العربية، وأخذ معها استثناء الانجليزية، إلى جانب هذه اللغات، كانت تعلم اللهجات الأرمنية القديمة، وبعض اللغات الجرمانية، ثم درس اللغات الشرقية، تعلم أيضا اللغة المصرية القديمة واللغة الأشورية والعربية، كان أحد مدرسي المدرسة له معرفة باللغات الهندية القديمة (السنسكريتية)، فتعلم منه هذه اللغات، إلى أن نال شهادة القبول في الجامعة، وبذلك إلتحق بجامعة ليبزج سنة

---

[1]– جوتهلف برجستراسر، أصول نقد النصوص ونشر الكتب، ص 17.

[2]– نفسه، ص 13.

[3]– ينظر : جوتهلف برجستراسر، أصول نقد النصوص ونشر الكتب، تقديم، ص 05.

1904، ودرس اللغة العربية واللغات الشـرقية وتعمق في قواعدها وآدابها على يد الأسـتاذ الدكتور فيشـر، فنال شهادة التدريس في اللغات والتاريخ الإسلامي عام 1908م، اشتغل بمجال التعليم الثانوي بمدينة درسدن عاصمة سـكسـونيا إلى نال شـهادة الدكتوراه من جامعة ليبزج بأطروحة تحت عنوان (اسـتعمال الحروف النافية في القرآن الكريم) سنة 1911 .

نال سنة 1912 إجازة في تدريس اللغات السامية والعلوم الإسلامية من جامعة ليبزج، وتعمق في دراسة الفقه والتاريخ الإسلامي والقراءات، دراسة القرآن الكريم وتاريخ اللغة العربية، أعطته جامعة ليبزج إجازة سنة 1914 إلى الشرق عوضا عن ترشيحه لدار الكتب المصرية بعدما ترأسها صديقه الدكتور شاده تجول في البلاد العربية متتبعا اللهجات الدارجة واسـتبيان الاختلاف بينها، وقد وضـع كتابا باللغة الألمانية في جغرافية اللهجات العربية الدارجة في سوريا ولبنان نشره عام 1915، كما تعرف على اللهجة الآرامية في ضواحي دمشق(مدينة معلولة ) من أفواه الناس وألف فيها بعض الكتب والرسائل منها :

-بعض المتون في اللهجة الآرامية الدارجة مع ترجمة ألمانية نشر عام 1915.

-قاموس في اللهجة الآرامية الدارجة بمدينة معلولة نشر عام 1915.

كما ألف كتبا بعنوان أصـوات لهجة دمشـق ملحقا به بعض المتون في هذه اللهجة نشـره عام 1924، كما سافر برجستراسر إلى حيفا والناصرة وطبرية.

ونظرا لظروف الحرب العالمية الأولى عاد برجسـتراسـر إلى جامعة ليبزج، وفي مطلع عام 1919 عينته حكومة بروسيا أستاذا مساعدا للغات السامية والعلوم الإسلامية بجامعة كنجزبرج، وفي عام 1922 انتقل إلى أستاذا لهذه العلوم بجامعة برسلاو، وفي سنة 1924 انتقل أستاذا بجامعة هيدلبرج، ثم عمل أستاذا بجامعة ميونخ عام 1926، وقد انتخب عميدا للكلية علم 1928-1929 .

اسـتقدمته كلية الآداب بالجامعة المصـرية جامعة القاهرة حاليا أثناء العام الدراسـي 1929 – 1930 لالقاء سلسلة من محاضرات في التطور النحوي للغة العربية، وأعاد استقدامه عام 1931 – 1932 لتقديم سلسلة من المحاضـرات في نقد النصـوص ونشـر الكتب، توفي برجسـتراسـر في حادث تسـلق جبل لأنها كانت هوايته مع احد طلبته سنة 1932.

**جهود برجستراسر جوتهلف في تحقق النصوص في كتابه أصول نقد النصوص ونشر الكتب :**

إن كتاب **برجستراسر** جوتهلف هو عبارة عن محاضرات ألقاها على طلبة الماجستير بقسم اللغة العربية وآدابها في كلية الآداب بجامعة القاهرة سنة1931م، وكان يحضر هذه المحاضرات العديد من الأساتذة للاستفادة منها

ومعرفة منهج الرجل، ومنهم الدكتور طه حسين، وقد قام الدكتور محمد حمدي البكري بإعدادها وتقديم على شكل كتاب ليستفيد بها عموم المشتغلين في هذا المجال، ولقيمة هذه المحاضرات العلمية لخبرة صاحبها وباعه في مجال تحقيق المخطوطات ونشر ونقد النصوص، وقد قسم الكتاب إلى ثلاثة أبواب رئيسة هي :

الأول في النسخ، الثاني في النص، الثالث في العمل والإصلاح، وسنحاول التفصيل في هذه الأبواب بالشرح وكشف منهج جوتهلف فيها :

**1-الباب الأول : النسخ :**

يؤسس **برجستراسر** جوتهلف لتقنية النسخ حيث يرى أن النسخ الخطية لكتاب ما متفاوتة وغير متساوية في القيمة فمنها ما لا يستفاد منها ولا يعتمد عليها في عملية التحقيق والتدقيق، فهي عديم القيمة، ومنها ما يعول عليه ويوثق منها، «ووظيفة الناقد أن يقدر قيمة كل نسخة من النسخ، ويفاضل بينها وبين سائر نسخ الكتاب، متبعا في ذلك قواعد منها :

1-أن النسخ الكاملة أفضل من الكاملة.

2-والواضحة أحسن من غير الواضحة.

3-والقديمة أفضل من الحديثة.

4-والنسخ التي قوبلت بغيرها أحسن من التي لم تقابل، وإلى غر ذلك. والقاعدتان الأخيرتان أهم من غيرهما» [1].

ويبين برجستراسر جوتهلف أن لهذه القواعد والأسس شواذ، وقد أورد في كتابه العديد من النماذج لكتب، تعامل معها المحققون المستشرقون بطرق متعددة لطبيعة وضعها وتوفر نسخها، وقد أعطانا هذه الكتب مفصلا في طريقة تحقيقها ونشرها ونورد مثالا على تفضيل النسخة الحديثة على القديمة حيث يقول :

«كتاب اللمع في التصريف لأبي نصر عبد الله بن علي بن محمد بن السراج الطوسي الصوفي المتوفى سنة 378هـ والذي نشره رينولد ألين نيكلسون في ليدن سنة 1914، وله مخطوطتان كتبت أقدمهما سنة 548هـ وكتبت الأخيرة منها سنة 683هـ والقديمة –وإن كانت غير كاملة في الظاهر –فيها نقص في مواضع كثيرة تبلغ ثلث الكتاب، والموجود من هذه النسخة مرتب على ترتيب غير مفهوم، فبنى الناشر طبعته على النسخة الحديثة، ولم يستعمل النسخة القديمة إلا في تصحيح النص»[2].

---

[1]- نفسه، ص 14.

[2]- نفسه، ص 14.

ويقدم مثالا آخر على اعتماد جميع النسخ قديمها وحديثها والتعليقات التي زيدت عليها، حيث يبين ذلك: «وهناك كتاب آخر هو (عيون الأنباء في طبقات الأطباء) لموفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم بن أبي أصبيعة هذا الكتاب سنة 643هـ بدمشق، ومازال يجمع من كتب الأخبار والطبقات، ويزيد على الأصل ويغير ما وجد فيه من الأغلاط حتى توفي رحمه الله سنة 668هـ، ويظن أن بعض تلاميذه أو نساخ كتابه زادوا على مسودته بعد وفاته وغيروا فيها، ولا نستطيع التمييز بين زيادات المؤلف وتغيراته، وبين ما زاده تلاميذه ونساخ كتابه أو غيروه، وقد عمد الناشر إلى إيراد كل ما وجده في نسختين أو أكثر مما وجده في الروايتين لكي لا يسقط شيئا من متن الكتاب، ولكي ينتفع أهل هذا الفن بما أضيف إليه من زيادات، وأقدم نسخة لهذا الكتاب كتبت سنة 712هـ، أي بعد وفاة مؤلفه بأقل من نصف قرن، ولكنها كثيرة الخطأ، أحسن منها نسخة أخرى أحدث منها بثلاثة قرون كتبت سنة 1017هـ، فهي وإن كانت فاسدة في بعض أجزائها إلا أنه يظهر أنها نسخت من أصل قديم لأن أخطائها قليلة» [1].

بهذه الكيفية يقدم لنا جوتهلف النماذج والأمثلة على العديد من الحالات التي تصرف فيها الناشرون المستشرقون في تحقيق المخطوطات العربية، وهذا مراعاة لظروف النسخ وطبيعة شخصية الناسخ وحالة النسخة المعتمد عليها، معرجا على النساخ الذين كانوا ينقلون فقط دون فهمهم لبعض العلوم المنسوخة خاصة اللغة العربية الدقيقة في حروفها وحركاتها، فإن أي تغيير سيعرض المتن إلى التحريف والتحوير عن أصله، مع أن هذه المشكلة لا تشكل خطرا في اللغة اللاتينية التي توضع فيها الحروف إلى جانب بعضها البعض، حيث يوضح بقوله :

«وكان النساخ في جهلهم لا يفهمون شيئا مما كانوا ينسخونه من الكتب في كثير من المواضع، وشر ذلك في اللغة العربية أكثر منه في اللغات الأجنبية، لأن حروف اللغات اللاتينية مثلا تكتب حرفا حرفا، أما الخط العربي فحروفه متصل بعضها ببعض، لذلك فإن الناسخ لا يكاد ينسخ نسخا صحيحا إلا ما يفهم معناه، ولهذا نشهد كثرة التحريف في الأعلام، وهذا مشهور يشاهد في الكتب التاريخية، ونحن نستعمل هذه الحالة كمعيار للكتب العربية التي يوجد بها أعلام، فإذا وجدنا أن النسخة يقل فيها التحريف والتغيير في أسماء الأعلام، كان من الجدير أن نثق بها في سائر النص، ومثال ذلك كتاب ببس (Pappus) في الأعظام المنطقة والصم، وهو المقالة العاشرة من كتاب اقليدس في الأصول ترجمة أبي عثمان الدمشقي كتبه أحمد بن محمد ابن عبد الجليل بشيراز، وقد نشر المستشرق الأمريكي تومسن (Thomson) مع المستشرق الألماني (Junge)هذا الكتاب في باريس عن نسخة واحدة كان الفراغ منها في شهر جمادى الأولى سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة، مع ذلك فنحن لا نجد فيها أي تحريف لأسماء الأعلام

---

[1]– نفسه، ص 15.

اليونانية في الكتاب مثل : ببس (Pappus) اسم المؤلف نفسه، وثااطيطس الاثيني (theattetos)، وابولونيس(Apolonéos)، وبوثاغورس وأوقليدس إلى غير ذلك من الأسماء» [1].

لقد تحدث برجستراسر جوتهلف عن النسخ وأحوالها وكيفية المقارنة بينها والطريقة التي ننتقي أحسنها، حسب مقاييس وأطر فنية معينة، كما تحدث عن شخصية الناسخ الذي له دور عظيم في سلامة المخطوط ووضح بالأمثلة والأدلة على نماذج عدة من المخطوطات مبينا نساخها وطريقة عملهم، مما يكشف عن سعة اطلاع الرجل وإلمامه الواسع والموسوعاتي بهذا الفن، والجميل أنه يقدم في كتابه طريقة تحقيق ونشر أغلب الكتب المحققة، ومظهر ومبينا الصعاب التي لحقت ناشيرها وكيفية تخطيها، وهذا يدل تمكنه من هذا العلم.

**2-الباب الثاني : في النص :**

إن العناية بالنسخ بمختلف أوجهه ومراحله، وذلك لغاية تهذيب نص الكتاب والإحاطة به، وهذا ما ستكمله المرحلة الثانية وهي النص، ويثمن برجستراسر جوتهلف هذه المرحلة لسببن حيث يقول :

«الأولى : أنه من النادر أن يمكن ترتيب سلسلة لنسب النسخ، بحيث يحتوي على النسخ كلها وتبين تقارب بعضها من بعض بصورة قاطعة، لأننا نجد في بعض النسخ أو كلها لا يتضح نسبتها والعلاقة بينها أو نجد في الواحدة رواية ممتزجة من أصلين أو أصول، أو نعثر على رواية ثانوية مطولة تحتاج إلى الالتفات إليها، ففي هذه الحالات كلها اضطررنا إلى أن نختار بين كل موضع وموضع أصح القراءات المروية فيها، ونستدل على صحيح الاختيار بحجج تختص بقراءة واحدة فقط لا تعم النسخة كلها، فنتساءل أي القراءات أصحها معنى وعبارة أليقها بالمؤلف وغرض كتابه وأسلوبه.

والجهة الثانية : أننا لو سرنا في ترتيب الرواية إلى التحقق من الرواية الأصلية، أو لم نجد إلا نسخة واحدة، فلا حاجة بنا إلى اختيار بعض القراءات : هل هي صحيحة أو غير صحيحة لو سعنا أن نشك في أنه، هل القراءة الأصح هي الأصلية التي كتبها المؤلف أو هي أصلية بالنسبة لغيرها ؟ وتخالف ما كتبه المؤلف من بعض الجهات الأخرى، وهذا الشك لا يزول إلا أذا كانت الأصلية التي كتبها المؤلف موجودة، وهذا نادر الوقوع، وإلا فيلزمنا نقد كل القراءات الأصلية بالنسبة التي نتجت عن ترتيب الرواية، أو كل ما يقرأ في النسخة الوحيدة إن لم يكن للكتاب إلا نسخة واحدة فقط، ويلزم نقد القراءات كلها إن لم نكن قد وصلنا إلى حكم بأن إحدى تلك القراءات أقرب إلى الأصل من غيرها» [2].

---

[1]- نفسه، ص 17-18.

[2]- نفسه، ص 48-49.

وقد وضح برجستراسر بالتفصيل والشرح وعقد الأمثلة طريقة نقد النصوص وتقويم الأخطاء التي وقعت أثناء النسخ وما نجم عن مختلف الأحوال التي أدت بالنساخ إلى الوقوع في الأغلاط التي يجب على المحقق التنبه لها وذلك بالتدقيق فيما ورد في النص وتحري القراءة الصحيحة، فلا نقد إلا بعد فهم، وإذا لم نفهم النص فكيف يمكننا التمييز بين الصحيح وغير الصحيح، ويعتمد النقد والتصحيح على أسس هي :

أ-معرفة اللغة والأسلوب الذي بني عليه النص أو الكتاب.

ب-التنقيط وهو من أهم الوسائل التي يستعين بها الناقد في التمييز بين النصوص وفهمها ويقول برجستراسر أم الثقة في النقطة أقل من الثقة في الحرف فإن خطأ النقطة أكثر من خطأ التصحيف .

ج-التفليق وهو التعبير عن المعنى يعطف الضدين على بعضهما، لأن المعنى يفلق إلى فلقين (وصاحب كتاب الرد على ابن المقفع يحب التفليق ونجد به في ذلك أمثلة منها (بين الخواص العرب والعوام) إي كل الناس، (وممن أطاع وعصى) أي كلهم، ومنها بعثه الله إلى كل فصيح وأعجمي) أي كل الناس [1].

د-إصلاح التشكيل

هـ-أخطاء النساخ

و-التحريف

ز-الخطأ في الإملاء

ح-الأخطاء النحوية

ط-الخلل في النسخ

**3-الباب الثالث في العمل والإصلاح :**

يختص هذا الباب في العمل الذي يقوم به المحقق للكتب القديمة، وقد أشار برجستراسر في هذا المجال إلى اتباع كتاب العالم الألماني ستاهلين (O.Stahlin) المتخصص في علم الآداب اليونانية والرومانية القديمة، إلا أنه ركز شرحه على الآداب العربية القديمة، وتقوم تقنية العمل والاصلاح على أسس أهمهما :

أ-معرفة ما إذا كان الكتاب قد سبق نشره، وذلك بالاطلاع على الفهارس والمعاجم المصنفة للكتب المنشورة والنشريات التي تظهر الكتب التي طبعت والمخطوطات التي حققت مثل معجم المطبوعات العربية والمصرية، ونشرة المطبوعات المصرية، ويقترح برجستراسر مراجعة كتاب كارل بروكلمان تاريخ الآداب العربية فهو كتاب جامع وموسع

---

[1]-نفسه، ص 57.

عن الكتب العربية فيه جهد حقيقي أودعه صاحبه فيه يحث يذكر الكتب وأصحابها ونسخها وعدد مرات وتاريخ نشرها، كما يجب معرفة فهارس المكتبات التي تضم المخطوطات مثل مكتبة الحميدية وأيا صوفيا وبيا زيد وعاطف أفندي ولاله لي وراغب باشا بأستنبول[1]، وغيرها ممن تضم أكبر عدد.

وفي هذا الصدد هناك جهود حقيقة في وضع فهارس للمخطوطات العربية منها إنشاء «جامعة الدول العربية معهدا للمخطوطات العربية، مستخدمة في ذلك طريقة الميكرو فيلم القليلة النفقات، وقد نشر (فهرس المخطوطات المصورة) مشتملا على أسماء المخطوطات العربية التي صورها معهد المخطوطات من مكتبة استامبول ومصر حتى سنة 1951، القاهرة 1954 وأنشأت له مجلة للبحث في شؤون المخطوطات والتعريف بها والتعريف بالدور التي تحتفظ فيها هذه المخطوطات » [2].

كما يتعين علينا سؤال رجال العلم وأهل التخصص عما يعرفونه عن نسخ الكتاب ومثال ذلك «كتاب (إرشاد الأريب في معرفة الأديب) لياقوت الحموي الموفي سنة 626هـ الذي نشره مرجليوث، فإنه عندما بدأ في نشره لم يكن لديه إلا قسم منه قريب من نصفه ثم حصل على باقي الكتاب بسؤال رجال العلم فوصل إليه بعضه من بيروت وبعضه من الهند ولم تكن واحدة مذكورة في أي فهرست» [3].

ويواصل برجستراسر تقديم الامثلة المتنوعة من الكتب المنشورة وطريقة أصحابها في الإصلاح والعمل مثبتا المنهج المتبع وراسما للطلبة الطريق الذي به ينفذون إلى تحقيق النسخة التي بين يديهم، وقد قدم أيضا تقنيات متعددة في ذلك وهي :

أ-المقابلة وهي مقابلة النسخ المختلفة بعضها ببعض وهي طريقة كانت متعبة ومكلفة في القديم، لأنها تلزم المحقق على السفر إلى مكان النسخ ومقارنتها بما لديه، أما الآن فقد حلت الصور الشمسية ذلك، وتقنية الميكرو فيلم ذلك لكنها تحتاج إلى الجهاز فلا يمكن قراءتها بالعين المجردة.

ب-الإملاء العربي يجب على المحقق الاطلاع على مختلف الخطوط وطريقة كتابتها، ويكون ملما بالإملاء العربي وتاريخ الخطوط العربية وطريقة تطور الحروف في الكتابة، فقد كانت قديما تكتب إتباعا لرسم القرآن الكريم، كما

---

[1]- محمد ماهر حماده، المصادر العربية والمعربة، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط3، 1981، ص 105.

[2]- جوتهلف برجستراسر، أصول نقد النصوص ونشر الكتب، ص 92.

[3]- نفسه، ص 57.

يؤكد برجستراسر أن الكتب المحققة في أوروبا تختلف عنها في المشرق فالأوربيون يرصفون الحروف حرفا حرفا أما المشرقيون فيعون شكل وأصل كل حرف.

ج-الترقيم : وهي مسألة تابعة للإملاء وهي توظيف العلامات للفصل بين الجمل «فما يوجد في الكتب الخطية من ذلك قليل، للتفريق بين الفصول الطويلة والمتن والشرح، فلا شك أننا عند طبع الكتاب، نحافظ على كل هذا ونكمل الناقص في المواضع الموازية، أما غير هذا فيختلف فيه العلماء وأكثرهم حتى في الشرق يذهب إلى إدخال النقط وغيرها في الكتب القديمة، ولا أرى في ذلك فائدة إلا في الأحوال النادرة، ذلك أن الناس تعودوا على قراءة الكتب الشرقية بدون ترقيم، ولا يجدون مشقة في بعض المواضع الصعبة، وفي زيادة الترقيم خطر الخطأ، إذ رأيت في بعض الكتب الغربية التي نشرت أخيرا، بعض الجمل قطعت قسمين بنقطة دالة على نهاية الجملة، لأن الناشر لم يفهم تركيب الجملة فظنها تامة قبل تمامها، والنشر لابد من طبعه على الترتيب الوارد في الأصل، أما الشعر فلابد من طبع كل بيت في سطر، وفي السجع نضع نقطة بعد كل قافية »[1].

د-الإرجاع : وهي توثيق الكتاب وتعيين «الموضع الواحد من الكتاب بحيث يجده المراجع بسهولة وسرعة فلابد لمن يريد أن يعين موضعا في الكتاب من ذكر الصفحة والمجلد وهذا لا يكفي في أكثر الحالات لأننا لم نفعل شيئا لتحقيق ذلك الغرض، استغرق البحث عن كلمة أو علم زمنا طويلا، وإذا كانت الصفحة طويلة فلابد من ذكر عدد السطر ولذلك نضع بجانب السطور أعدادها»[2]، وهو ما يصطلح عليه اليوم بالفهارس العامة فهرس الأعلام والأماكن والموضوعات وذلك بتقسيم الكتاب إلى أبواب وفصول وأقسام[3]، وتخصيص مجلد خاص بالفهارس حتى يسهل على المراجع الوصول إلى قصده دون مشقة أو عناء.

**خاتمة :**

قدم برجستراسر جوتهلف طريقة عمل منظمة وممنهجة تشكل تصورا دقيقا ومضبوطا لفن تحقيق المخطوطات العربية، معتمدا في ذلك على خبرته الواسعة في مجال آداب اللغة العربية، ومعرفة العميقة باللغات الشرقية القديمة وغيرها من اللهجات العالمية التي تؤهله فعلا للخوض في علوم وآداب الشعوب، وقد استطاع برجستراسر تقديم

---

[1]- نفسه، ص 105.

[2]- نفسه، ص 106.

[3]- ينظر : صلاح الدين المنجد، قواعد فهرسة المخطوطات العربية، دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان، ط3، 1976، ص 35.

منهج متكامل لعمل نشر الكتب من خلال كتابه الذي شكل مجموعة من المحاضرات القيمة والذي أعده وقدمه الدكتور محمد حمدي البكري، ولقد حاولت الدراسة تلخيص منهجه المحكم والمتشعب في الكتاب بالأمثلة والأدلة الواضحة التي توضح وتخط عمل المحقق.

**منهج سيّد كسروي حسن في تحقيق**
**أعمال الإعلام**
**للسان الدّين ابن الخطيب (713–776هـ)**
**ـ قراءة في نقل النّصّ ـ**

**الدّكتور لعبيدي بوعبدالله**

جامعة ، البليدة

يعدّ كتاب "أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، وما يتعلّق بذلك من (شجون) الكلام" الذي ألّفه لسان الدّين ابن الخطيب (713-776هـ) من أهمّ مصادر التّاريخ العربيّ والإسلاميّ، التي رصدت لنا الوقائع التّاريخيّة والأحداث، ونقلت لنا كثيرا من أخبار الخلفاء والملوك والشّخصيّات والأمم عبر العصور المتتالية التي عاشتها إلى غاية الأحداث التي عاصرها وعايشها المؤلّف.

وهو بذلك يشبه في مضمونه ما قام به كثير من المؤرّخين أذكر منهم: "ابن الأثير" (555-630هـ) في كتابه "الكامل في التّاريخ"[1]، و"ابن الجوزيّ" (508-597هـ) في كتابه "المنتظم في تاريخ الملوك والأمم"[2].

كما يشبه في منهجه كثيرًا من الكتب التّاريخيّة، أذكر منها على سبيل التّمثيل لا الحصر: ما قام به "السّيوطيّ" (849-911هـ) في كتابه "تاريخ الخلفاء"، و"ابن عساكر" (499-571هـ) في "تاريخ دمشق"... إلخ.

وإذا كانت هناك أوجه للشّبه بين هذا الكتاب مع غيره، فلا شكّ في أنّ هناك إضافات نوعيّة امتاز بها عن غيره، أقلّها نقله عن كتب الأحداث التي كان شاهدًا عليها، بأسلوبه المتميّز، وموقفه الواضح، وصراحته المعهودة؛ بوصفه سياسيًّا، وأديبًا، وشاعرًا، ورجل ثقافة بكلّ ما تحمله كلمة الثّقافة من معنى.

كيف لا!؟ وقد نقل في كتابه "إعمال الأعلام" كثيرًا من الأحداث والوقائع بأمانة المؤرّخ، ودقّة النّاقل، وحنكة السّياسيّ، ورهافة الشّاعر، وألمعيّة الأديب، وحكمة المجرّب، وفراسة المؤمن!

ولسنا في الحقيقة، بعد هذا في حاجة إلى الإسهاب في التّعريف بمؤلِّف الكتاب (لسان الدّين ابن الخطيب)، فهو أشهر من أن يعرّف، بل إنّ أخباره مبثوثة في كتب التّراجم والتّاريخ والأدب[3]. ولعل أبرز ما عرف عنه ديوانه الشّعريّ الذي تعدّدت تحقيقاته.

---

[1] – ينظر: الكامل في التّاريخ: أبو الحسن عليّ بن محمّد، ابن الأثير (555-630هـ)، دار بيروت للطّباعة والنّشر، دار صادر للطّباعة والنّشر، بيروت، 1965م.

[2] – ينظر : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم: أبو الفرج عبد الرّحمن بن عليّ بن محمّد بن الجَوْزيّ (508-597هـ)، دراسة وتح: محمّد عبد القادر عطا، ومصطفى عبد القادر عطا، مراجعة وتص: نعيم زرزور، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1412هـ/ 1992م.

[3] – تنظر ترجمته وأخباره في: الدّرر الكامنة في أعيان المائة الثّامنة: أبو الفضل أحمد بن عليّ، ابن حجر العسقلانيّ (773-852هـ)، تح: محمّد سيّد جاد الحقّ، القاهرة، 1966م: 3/ 469. نفح الطّيب من غصن الأندلس الرّطيب: أبو العبّاس أحمد بن محمّد المقّريّ (992؟-1041هـ)، تح: إحسان عبّاس، دار صادر، بيروت، 1968م: 4/ 240. كشف الظّنون عن أسامي الكتب والفنون: مصطفى بن عبد الله، حاجّي خليفة (1017-1067هـ)، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1992م: 15/ 1. شذرات الذّهب في أخبار من ذهب: أبو الفلاح عبد الحيّ بن أحمد، ابن العماد (1032- 1089هـ)، دار الكتب العلميّة،

كما يعدّ كتابه "نفح الطّيب في غصن الأندلس الرّطيب وذكر وزيرها لسان الدِّين بن الخطيب" كتابًا جامعًا لأخباره وأقواله ومواقفه[1].

كما لسنا في حاجة إلى الحديث في هذا المقام عن مضمونه الهامّ وخصائص منهج تأليفه. بل لعمري إنّ الكتاب ليقدّم نفسه للقارئ عند تصفّحه؛ نظرًا للأهميّة التّاريخيّة والأدبيّة والمعرفيّة التي يحملها بين طيّاته، إذ ما من شكّ في أنّه إضافة علميّة هامّة إلى مكتبة التّاريخ العربيّة والإسلاميّة، نقل فيها مؤلّفه الأحداث التي تخلّلت هذه الحقبة من تاريخ المشرق والمغرب والأندلس، بكلّ أمانة وصدق.

ويكفينا دليلاً على ذلك قوله في أكثر من موضع من ثنايا الكتاب مؤكّدًا على التزامه بالموضوعيّة، والصّدق في النّقل، دون تحامل أو تضليل، أو تلفيق أو مزايدة؛ وحسبنا من ذلك قوله: «وأنا أقسم بالله أنّني لا أَتعمَّدُ في الخبر طريق البهتان، على أنَّ المتجاوزَ في مِثْلِها يفضحه قربُ الزّمان، ومباشرةُ المعاصر لهذا الشّان[2]».

إنّ ما يهمّنا في هذا الصّدد هو الحديث عن نُسَخِه المخطوطة، وعن منهج تحقيقه، وطريقة إخراجه وتقديمه إلى القرّاء.

**أوّلاً _ كتاب إعمال الأعلام:**

إنّ عنوان الكتاب كاملاً هو: "إعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، وما يتعلّق بذلك من شجون الكلام". وهو مقسّم إلى ثلاثة أقسام:

**1 _ القسم الأوّل:**

بيروت، دت: 6/ 244. هَدِيّة العارفين، أسماء المؤلّفين وآثار المصنّفين: إسماعيل بن محمّد أمين باشا البغداديّ (ت1339هـ)، دار إحياء التّراث العربيّ، بيروت، 1955م: 2/ 162. إيضاح المكنون في الذّيل على كشف الظّنون: إسماعيل بن محمّد أمين بن مير سليم البابانيّ البغداديّ (ت1339هـ)، طبع بيروت، دت: 1/ 73. معجم المؤلّفين: عمر رضا كحالة، دار لإحياء التّراث العربيّ، بيروت، دت: 10/ 216. الأعلام: خيرالدّين بن محمود الزّركليّ (1310-1396هـ)، دار العلم للملايين، بيروت، ط10، 1992م: 6/ 235.

[1] – ينظر : نفح الطّيب: 4/ 240 وما بعدها.

[2] – إعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يتعلّق بذلك من الكلام، لأبي عبد الله محمّد بن عبد الله بن سعيد الغرناطيّ، الشّهير بلسان الدّين بن الخطيب (ت776هـ)، مراجعة وتقديم وتح: لعبيدي بوعبدالله، دار الأمل للدّراسات والنّشر والتّوزيع، السّحاولة، الجزائر، ط1، 1429هـ/ 2009م: 2/ 112.

ويتناول هذا القسم الحديث عن دولة الإسلام في المشرق. من عصر النّبوّة إلى عصر الأمراء العلويّين بالحرمين الشّريفين [1].

**2 _ القسم الثّاني:**

وهذا القسم مخصّص لدولة الإسلام بالأندلس، منذ الفتح الإسلاميّ حتّى عصر المؤلّف، بما في ذلك تاريخ بني أميّة في الأندلس، كما قد تناول أيضًا كلّ ما تعلّق بملوك الطّوائف.

وقد عرض فيه " ابن الخطيب" تفاصيل هذه الفترة، ولا شكّ في أنّها فترة حرجة مليئة بالأحداث التي تلفت نظر المؤرّخ والباحث في قضايا التّاريخ؛ نظرًا لما تحمله من تشعّب وتباين ومفارقات في بعض الأحيان، ومن مميّزات وظروف خاصّة. ولذلك كانت دراسة أحداث هذا العصر وربط حلقاته _بله الإحاطة بها، واستخراج خواصّها_ من المهامّ التّاريخيّة الشّاقّة والشّيّقة في آن واحد.

وما تجدر الإشارة إليه هو أنّ الكتاب قد تضمّن ذكر من جاور ملوك الإسلام من ملوك النّصارى. والواقع أنّه كان بينهم علاقات مع ملوك الإسلام في كلّ عصر. ويمكن القول بأنّ هذا الكتاب يعدّ أوّل كتاب في التّاريخ الإسلاميّ تناول ملوكهم بالتّاريخ المسلسل في جوار الأندلس[2].

**3 _ القسم الثّالث:**

وقد خصّص هذا القسم لملوك المغرب من مدينة "برقة" شرقًا إلى حدود المحيط الأطلسيّ غربًا. مع رصد الأحداث والوقائع التي حدثت بالمغرب[3].

وانتهى هذا القسم عند "دولة الموحّدين". وكان قد عزم على إتمامه إلى عصره، حسب ما أورد ذلك في مقدّمة كتابه حينما قال: «ونذكر بعد ذلك دولة الحفصيّين بتونس المقتطعة من دولة الموحّدين بمرّاكش.... ثمّ نذكر دولة بني زيّان بتلمسان وما يليها... ونذكر من استبدّ بسبتة مثل سفوت البرغواطيّ.....ونأتي بالدّولة الطّاهرة الزّكيّة المرينيّة.... وإنّما أخّرنا هذه الدّولة الكريمة ليكون ذكرها الطّيب حلاوة في الأفواه باقية، وحسنة في الكتاب شافية واقية...[4]». فلعلّه يكون قد قتل قبل إتمام هذا الجزء!

---

[1] – أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يتعلّق بذلك من الكلام، لأبي عبد الله محمّد بن عبد الله بن سعيد الغرناطيّ، الشّهير بلسان الدّين بن الخطيب (ت776هـ) تحقيق: سيّد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1424هـ/ 2003م: ج1، ص 8.

[2] – أعمال الأعلام: تحقيق: سيّد كسروي حسن: ج1، ص 8.

[3] – لقد أعاد تحقيق هذا القسم الأستاذ الدّكتور الشّريف مريبعي، دار الأمل للدّراسات والنّشر والتّوزيع، السّحاولة، الجزائر، ط1، 2009م.

[4] – إعمال الأعلام: تح: لعبيدي بوعبدالله: 1/ 66-68.

**ثانيًا _ نُسَخ الكتاب:**

توجد من الكتاب عدّة نسخ مخطوطة أهمّها الموجودة في الرّباط والجزائر.وبعض النسخ المنقولة عنها.

**أ _ نسخة الخزانة العامّة بالرّباط:**

_ عنوان المخطوطة: أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يتعلّق بذلك من الكلام.

_ المؤلّف: لسان الدّين محمّد بن عبد الله بن الخطيب.

_ مكان المخطوطة: الخزانة العامّة بالرّباط.

_ رقم النّسخة المخطوطة: D1552.

_ مقاس الصّفحة: 9×17.5 سم.

_ عدد الأسطر: 23 سطرًا.

_ عدد الكلمات في السّطر: 10 إلى 12 كلمة.

_ نوع الخطّ: مغربيّ مجوهر.

_ سنة النّسخ: 27 ربيع الأوّل 1258هـ.

_ اسم النّاسخ: غير مذكور.

_ ملاحظات: أصابت الرّطوبة من النّسخة حوالي الثّلث، خصوصًا الصّفحات الأولى منه، ممّا يصعّب قراءته.

**ب_ نسخة المكتبة الوطنيّة بالجزائر:**

_ عنوان المخطوطة: أعمال[1] الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يتعلّق بذلك من الكلام.

_ المؤلّف: لسان الدّين محمّد بن عبد الله بن الخطيب.

_ مكان المخطوطة: المكتبة الوطنية بالجزائر.

_ رقم النّسخة المخطوطة: 1617.

_ مقاس الصّفحة: 21.3×30.7 سم

_ عدد الأوراق: 214 ق.

---

[1] – رجّحنا أن يكون عنوان الكتاب "إعمال الأعلام" _بكسر همزة "إعمال"_؛ ليدلّ على مضمونه فعلاً؛ لأنّه يتناول من ولّوا ممّن لم يبلغ الحلم بعد. مع أن ليس في النّسخ ما يدلّ على أنّ العنوان "أعمال الأعلام" _بفتح همزة إعمال_.

_ عدد الأسطر: 25.

_ عدد الكلمات في السّطر: 12-16 كلمة.

_ نوع الخطّ: مغربيّ مسند.

_ سنة النّسخ: ق 10هـ.

_ اسم النّاسخ: مجهول.

**ثالثًا _ تحقيق الكتاب:**

في الواقع إنّ تحقيق كلّ قسم من أقسام كتاب "أعمال الأعلام" الثّلاثة (تاريخ المشرق، تاريخ الأندلس، تاريخ المغرب) يحتاج إلى حديث طويل، وإلى دراسة عميقة، وإلى تمحيص دقيق، واستقراء شامل لطبيعة المادّة التّاريخيّة والأدبيّة والمعرفيّة الواردة، المستقاة من عدّة مصادر تاريخيّة ودينيّة وأدبيّة ...إلخ؛ بغية إخراج الكتاب في الشّكل الذي أراده صاحبه، أو لنقل في صورة أقرب ما تكون إلى الصّحّة، أو من تلك التي تركها عليها مؤلّفه.

**I** _ ومن بين تحقيقات الكتاب التي وقفت عليها، تحقيق المستشرق "ليفي بروفنسال[1] "E. LÉVI-PROVENÇAL"، أستاذ الحضارة العربيّة بجامعة السّربون. الذي طبعته دار المكشوف"، بلبنان، 1956م. بعنوان "تاريخ اسبانيا"، وقد ذكره الزّركلي بعنوان: "أعمال الأعلام، القسم الثّاني، في أخبار الجزيرة الأندلسيّة".

---

[1] – هو إيفارست ليفي بروفنسال (Evariste Levi-Provencal): مستعرب فرنسيّ الأصل ولد سنة 1311هـ/ 1894م. كثير الاشتغال بتصحيح المخطوطات العربيّة ونشرها. ولد وتعلّم في الجزائر. وحضر حرب الدّردنيل في الجيش الفرنسيّ، فجرح. ونقل إلى مصر، ثمّ أعيد إلى فرنسا. وعيّن سنة 1920م مدرّسًا في معهد العلوم العليا المغربيّة في الرّباط فمديرًا له (سنة 1926-1935م) وانتدب في خلال ذلك (سنة 1928م) لتدريس تاريخ العرب والحضارة الإسلاميّة في كلّيّة الآداب بالجزائر، كما انتدب لتدريس تاريخ العرب وكتاباتهم، بمعهد الدّراسات الإسلاميّة في السّوربون (بباريس). واستقال من إدارة معهد الرّباط (سنة 1935م) ودعي لإلقاء محاضرات في جامعة القاهرة (سنة 1938م). وألحقه وزير التّربية الفرنسيّة بديوانه في باريس (سنة 1945م). وعيّن في السّنة ذاتها أستاذًا للّغة العربيّة والحضارة الإسلاميّة في كلّيّة الآداب بباريس، ووكيلاً لمعهد الدّراسات السّامية في جامعتها. وكان من أعضاء المجمعين: العلميّ العربيّ بدمشق، واللّغويّ بالقاهرة. ومات بباريس سنة 1376هـ/1955م. تعاون مع محمّد بن أبي شنب، في تصنيف "المخطوطات العربيّة في خزانة الرّباط". وممّا نشر "كتابات عربيّة في إسبانيا" و "نصّ جديد للتّاريخ المرينيّ" و"إسبانيا المسلمة في القرن العاشر" و"الحضارة العربيّة في إسبانيا" و"وثائق غير منشورة عن تاريخ الموحّدين" و"منتخبات من مؤرّخي العرب في مرّاكش" و "البيان المغرب" لابن عذاري، و"مقتطفات تاريخيّة عن برابرة القرون الوسطى" و"أعمال الأعلام، القسم الثّاني، في أخبار الجزيرة الأندلسيّة" لابن الخطيب و"مذكّرات الأمير عبد الله آخر ملوك غرناطة" و"صفة جزيرة الأندلس" اختزله من "الرّوض المعطار"، و"سبع وثلاثون رسالة رسميّة لديوان الموحّدين" و"جمهرة أنساب العرب" لابن حزم، و"نسب قريش" للزّبيريّ. الأعلام: 2/ 34-35. وترجمته وأخباره _كما أوردها الزركليّ_ في: بلاغة العرب في القرن العشرين. وأدب المهجر: 374-387. وجريدة "الأهرام": 1957/11/25. وجريدة "العلم" السّوريّة: 1 جمادى الأولى 1377هـ. والعلم، بالرّباط: 26 رجب 1383هـ. ومجلّة "المصوّر":

ويبدو واضحًا من إخراج الكتاب أنّه مجرّد نسخ بهدف النّشر. مع بعض التّعليقات الطّفيفة، التي لم تضف شيئًا كثيرًا إلى متن الكتاب.

**II** _ وقد حقّقه بأقسامه الثّلاثة "سيّد كسروي حسن". وطبع في دار"دار الكتب العلميّة" بلبنان، سنة 1424هـ/ 2003م.

وبعد اطّلاعي على هذه الطّبعة تبيّن لي بأنّ المحقّق قد انتهج منهجًا يحتاج إلى تقويم، في ما يتعلّق بكامل أقسام المخطوط، وطريقة التّحقيق والتّعليق.

وسأحاول في هذه المداخلة الإشارة إلى جانب واحد يتعلّق بطريقة النّقل التي اعتمدها سيّد كسروي حسن، وفق ما يقتضيه علم التّحقيق، ويتطلّبه موضوع النّصّ المحقَّق.

**رابعًا _ تقويم التّحقيق في مرحلة النّقل:**

لقد بدا لي أنّ التّحقيق يحتوي على كثير من المسائل المتعلّقة بالتّصحيفات والتّحريفات والمخالفات العلميّة التي لا تتماشى مع المبادئ الأساسيّة لعم التّحقيق، وهذا في الحقيقة ما اضطرّني إلى إعادة نسخه ونشره في إطار الجزائر عاصمة الثّقافة العربيّة[1]؛ إنقاذًا له مرّتين: مرّة من كونه مخطوطًا معرّضًا للتّلف في أماكن تواجده، ومرّة لسوء إخراجه للقرّاء. وقد يفرض عليّ ربّما لاحقًا إعادة النّظر فيه تحقيقًا وإخراجًا، ويحتّم عليّ البحث عن نُسخٍ غير النّسخ الحالية.

ومن أهمّ تلك المسائل مسألة النّقل أو ما تعرف بعمليّة النّسخ:

ولقد بلغ ما سقط من الكتاب في هذه الطّبعة أثناء نسخ الكتاب في قسمه الأوّل فحسب 600 موضعًا[2].

ومن أمثلة ذلك ما يلي:

| في طبعة بيروت | في النّسخة (أ) |
|---|---|
| | |
| في طبعة بيروت | في النسخة |

1957/11/29م. ومعجم المطبوعات: 343. وينظر: ما كتب عنه محمّد الحليويّ القيروانيّ في مجلّة "الفكر" التّونسيّة: أبريل 1958م. و"أدبنا وأدباؤنا" ط2: 253-271، وفيه ولادته سنة 1891م. وشعراء من لبنان: 15. وتقويم بكفيا: 189.

[1] – ينظر: إعمال الأعلام: تح: لعبيدي بوعبدالله.

[2] – ينظر الملحق (1) في آخر هذا البحث، وقد اقتصرت فيه على القسم الأوّل (تاريخ المشرق)، وذلك للتّدليل على السّقط الواضح أثناء عمليّة النّسخ.

| | |
|---|---|
| فلا يخلق جديده، وخلّدوا معالم أمره. | فلا يخلق جديده [ونظموا عقد ملّته السّمحة فيروق فريده]، وخلّدوا معالم أمره. |
| وما غرّد الطّير فشاق تغريده، وما هج بنيل المراد مريده. | وما غرّد الطّير فشاق تغريده، [وتفتح الزّهر فراق تنضيده] وما هج بنيل المراد مريده. |
| ويشتغل بخويصة نفسه عن زيده وعمره السّلامة، واستدفعت بترخيص الله الملامة.. | ويشتغل بخويصة نفسه عن زيده وعمره، [ويبتهل إلى الله في حلّة الصّلاح وربع الفلاح، والاستفادة من الطّوام وغياث الهوام، وصلاح الخواصّ والعوامّ/ [2ظ] ويبدي إليه من الاعتراض مجاري الأقدار، ويبادر أوامر الشّريعة بالابتدار. وما سوى ذلك ففضولُ قولٍ وعملٍ وخسار، لا يعودُ بنيل أملٍ، وسعيٌ ليس له في التّوفيق من ناقةٍ ولا جملٍ، لا يجرُّ نفعًا، ولا يحسن في مكروه دفعًا. ومسالمة السّلطان الغالب متقرّرة طبعًا وشرعًا، وأصل لا يخاف فرعًا، والخروج عليه بحال من الأحوال لا يفسخ في التّوفيق درعًا؛ إذ مخالفته مؤدّية إلى سفك الدّماء، وإنّما نصّب السّلطان لصونها وتوهين الملّة، وإنّما أقيم السّلطان في عونها. فباب الطّعن عليه مسدود، وحبل الذّريعة مشدود، وظلّ العافية مع السّكون ممدود، وبنيان البطر والأشر في البشر غير معدود، وإذا تعارض أمران روعيت] السّلامة، واستدفعت بترخيص الله الملامة.. |

ويرجع سبب هذا السّقط، إلى ما يلي:

**1** _ الطّمس:

وقد عبّر عن ذلك صراحة، كما في قوله: «طمس في المخطوط[1]»،، وقوله: «كلمة مختلطة المداد لم أتبيّن قراءتها[2]».

**2** _ عدم الانقرائيّة:

[1] – أعمال الأعلام: تح: سيّد كسروي حسن، ج1، ص 29، هامش: 4.

[2] – أعمال الأعلام: تح: سيّد كسروي حسن، ج1، ص 59، هامش: 2.

إنّ مفهوم الانقرائيّة هو أن تتعرّف العين على المعنى عند عمليّة مرورها بالكلمة باعتبارها دليلاً بصريًّا، وعدم الانقرائيّة هو أن يحدث عكس ذلك، أي عدم القدرة على قراءة كلمة أو عبارة أو فقرة[1]؛ باستخلاص المعنى المراد منها، كما وقع ذلك في إشارته إلى بعض الكلمات بقوله: «كلمة غير مقروءة هذا رسمها في المخطوط "فيرزانة"[2]»، ومعنى اللّفظة "أمير زناتة". وقوله: «موضع النّقط كلمات لم أتبين قراءتها[3]».وقوله: «كلمة غير مقروءة في المخطوط[4]»، «كلمات غير مقروءة[5]».

**3** _ الطّمس مع عدم الانقرائيّة:

وذلك كما في قوله: «موضع النّقط طمس ثمّ كلمة غير مقروءة[6]».

**4** _ وجود بياض في النّسخة المعتمدة:

وذلك كما في قوله: «ما بين المعقوفين جاء موضعه بياض في المخطوط، وهو أمر غريب حيث ذكر في أوّل الكتاب ما هو واجب الذّكر، وترك هنا أيضًا ما هو كذلك[7]».

إنّ هذا السّقط الذي يحدث نتيجة للأسباب سالفة الذّكر يمكن أن يتعامل معه المحقّق، بما هو واقع[8]، إذا كان المحقق يفتقر إلى المراس الكافي. وهذا في الواقع جانب تتفاوت فيه جودة التّحقيقات للنّص الواحد.

**5** _ السّقط العمديّ:

إنّ اللاّفت للانتباه هو أنّ المحقّق قد أسقط كثيرًا من النّصوص خاصّة ما تعلّق منها بالقصائد الشعريّة.

أ _ وقد يكون ترك بعض العبارات لسبب وجود بعض الألفاظ غير الواضحة. ومن أمثلة ذلك:

---

[1] – ينظر: مفهوم الخطّ ووظائفه مقاربة لسانيّة سيميولوجيّة: لعبيدي بوعبدالله، ضمن مجلّة "الآداب واللّغات"، جامعة الجزائر2، العدد: 2، جوان، 2007: ص 189-213.

[2] – أعمال الأعلام: تح: سيّد كسروي حسن، ج1، ص: 35، هامش: 2.

[3] – أعمال الأعلام: تح: سيّد كسروي حسن، ج1، ص 61، هامش: 2.

[4] – أعمال الأعلام: تح: سيّد كسروي حسن ج1، ص 31، هامش: 1.

[5] – أعمال الأعلام: تح: سيّد كسروي حسن، ج1، ص 37، هامش: 1.

[6] – إعمال الأعلام: تحقيق: سيّد كسروي حسن، ج1، ص 41، هامش: 1.

[7] – أعمال الأعلام: تح: سيّد كسروي حسن، ج1، ص 25. هامش: 3.

[8] – أصول كتابة البحث العلميّ وتحقيق المخطوطات، يوسف المرعشليّ، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط2، 1427هـ/ 2006م: 270.

ـ قوله: «في قصيدة طويلة جاوز الخمسين بيتًا، تركتها لسوء خطّ المخطوط، وسوء التّصوير، وما فيها سوى المدح والثّناء والإطراء البعيد عن الحقيقة؛ على عادة الشّعراء في كلّ العصور[1]».

ـ وقوله: «طمس في المخطوط في كلمات كثيرة من شعر قدره ثلاثة أبيات فتركتها[2]»، والأبيات المتروكة هي:

ـ وقوله: «فذكر قصيدة طويلة تزيد على الثّمانين بيتًا، وقد ورد بها طمس كثير، ولم أر كثير بال أو عظيم فائدة في ذكرها، فآثرت حذفها نظرًا؛ لما ورد بها من الطّمس. وقد استغرقت هذه القصيدة من باقي [ص88/ب] حتّى أوائل [ص9/ب]، وآخر بيت في القصيدة هو قول الشّاعر: [كامل]

فِي نِعْمَةٍ أَيَّامُهَا لاَ تَنْقَضِي  وَسَعَادَةٍ سُلْطَانُهَا لاَ يُغْلَبُ[3]»

ـ وفي موضع آخر يقول بعد أن أورد أربعة أبيات: «في قصيدة مدح وثناء وإطراء نيّفت على الخمسين بيت ليس فيها من أخبار التّاريخ أو مواضيعه شيء، إنّما هي على عادة الشّعراء في استجلاب الأموال من الحكّام والملوك بالفخر والتّفخيم والتّعظيم الذي ليس له من الحقيقة أيّ نصيب، فتركتها لسوء الخطّ فيها، وإنّما ذكرها المؤلّف؛ لكونه منشغل بالأدب[4]».

ـ وقوله في موضع آخر: «ثمّ ذكر شعرًا كثيرًا استغرق صفحتان ونصف الصّفحة، أي استغرق [96/ ب] [97/أ]، نصف الصّفحة [97/ب]. وقد ورد في هذا الشّعر أبيات غير كثيرة غير واضحة فآثرت تركه؛ لأنّه مدح وثناء على ذلك الملك، وقد حشيت كتب التّواريخ بكثير مثله، وليس فيه فوائد تاريخيّة[5]»، وعدد الأبيات المتروكة هنا هو:

ـ وقوله في موضع آخر: «ثمّ يسوق القصيدة وفي بعض أبياتها كلمات غير مقروءة، فيذكر بعد حوالي عشرين بيتًا قوله: "ومنها بعد كثير:..."، فتركت الأبيات؛ لكون الكتاب ليس لهذا الغرض، ولسوء الخطّ، ثمّ أذكر بعض أبياتها كما فعل هو، والله الموفّق[6]». وعدد الأبيات المتروكة هنا هو:

---

1 – أعمال الأعلام: تح: سيّد كسروي حسن، ج2، ص 118، هامش: 1.

2 – أعمال الأعلام: تح: سيّد كسروي حسن، ج1، ص 213، هامش: 4.

3 – أعمال الأعلام: تحقيق: سيّد كسروي حسن، ج1، ص 275، هامش: 2.

4 – أعمال الأعلام: تحقيق: سيّد كسروي حسن، ج2، ص 190، هامش : 1.

5 – أعمال الأعلام: تحقيق: سيّد كسروي حسن، ج1، ص 297، هامش: 2.

6 – أعمال الأعلام: تحقيق: سيّد كسروي حسن، ج1، ص 345، هامش: 1.

**ب** ـ كما قد يكون ذلك راجع إلى موقفه من الشّعر ومن أمثلة ذلك ما يلي:

ـ قوله: «تركت بعض الأبيات ثمّ أذكر البيتين الأخيرين لما فيهما من الختام بالصّلاة والسّلام على سيّدنا رسول الله ε[1]».

ـ تعليقه على قصيدة ابن دراج القسطليّ في مدح خيران العامريّ، التي مطلعها: [طويل]

لَكَ الْخَيْرُ قَدْ أَوْفَى بِعَهْدِكَ خَيْرَانُ وَبُشْرَاكَ قَدْ أَوْلاَكَ عِزٌّ وَسُلْطَانُ

يقول: «في قصيدة مدح وثناء وإطراء نيّفت على السّتين بيت استغرقت الصّفحة [194/ ب] والصّفحة [195/ أ]، معظم الصّفحة [195/ ب]، وليس في القصيدة ما يلزم نشرها في هذا الكتاب. وقد تركتها نظرًا لسوء الخطّ. وهي من قبيل الأدب أو مجالها كتب الأدب ودواوين الشّعر. وهذا كتاب تاريخ، كان يجب فيه الاقتصار على بيت أو بيتين على الأكثر؛ لبيان جودة الشّاعر أو بيان صفة المقصود به القول، والله أعلم[2]».

ـ تعليقه على أبيات أبو منصور زيادة الله، وقاسم بن محمّد المروانيّ وغيرهما بقوله: «فإلى هذا الحدّ يصل بهم (الشّعراء) التّيه والهيام دون اعتبار لحرمة، وإلى أيّ مدى يغوصون في النّفاق، حتّى يصف البيت هذا الرّجل الذي قالوا عنه في الفجور ما قالوا؟! سبحانك اللّهم لا عجب[3]». وقوله: «كلّ هذه الأشعار لا تحكي حقيقة وإنّما هي محض رياء وافتراء وكذب واختلاق، رزقنا الله وإيّاكم الصّدق وحسن الختام[4]».

ـ موقفه من قصيدة "ابن درّاج" في مدح الأميرين مبارك وظفر العامريّين، وذلك في قوله: «في قصيدة مدح بلغت ما يزيد على الأربعين بيت بعد اختصارها، وقد اشتملت هذه القصيدة على باقي صفحة [198/ أ]، الصّفحة [198/ ب]، والصّفحة [199/ أ]، عدا السّطر الأخير منها، ثمّ استأنف المؤلّف الكلام عن سيرتهما[5]».

ـ إسقاطه للقصيدة المنسوبة إلى أبي إسحاق الألبيريّ، التي قالها مخاطبًا باديس بن حبوس، حيث يقول معلّقًا: «في قصيدة بلغ عدد أبياتها أربع وأربعين بيتًا، وقد استغرقت من أوائل صفحة [201/ ب]، [202/ أ]، ثمّ بيتين بأوّل الصّفحة، ثمّ استتمّ المؤلّف سرد الخبر[6]».

---

1 – أعمال الأعلام: تحقيق: سيّد كسروي حسن، ج1، ص 345، هامش: 2.

2 – إعمال الأعلام: تحقيق: سيّد كسروي حسن، ج2، ص 200-201، هامش: 1.

3 – إعمال الأعلام: تحقيق: سيّد كسروي حسن، ج 2 ص 89، هامش: 1.

4 – أعمال الأعلام: تحقيق: سيّد كسروي حسن، ج 1، ص 90، هامش: 1.

5 – أعمال الأعلام: تحقيق: سيّد كسروي حسن، ج2، ص 206-207، هامش: 1.

6 – أعمال الأعلام: تحقيق: سيّد كسروي حسن، ج2، ص 212، هامش: 1.

ـ إسقاطه لقصيدة أبي عبد الله الرّصافيّ شاعر الأندلس، التي قاربت السّتّين بيتًا، يقول معلّقًا: «... وهي في الثّناء والإطراء، وقد ساقها لكونه مشتغل بالأدب، بالإضافة إلى ما معه من علوم التّواريخ... فتركت القصيدة لسوء خطّ المخطوط، وعدم الفائدة من ذكرها ومجالها كتب الأدب ودواوين الشّعراء[1]».

والجدير بالذكر أنّه إذا كان المحقّق وهو بصدد تحقيقه لأيّ مخطوط يجب أن يشعر من جهة بأنّه وثيقة صحّت نسبتها إلى مؤلّفها وعصرها، فإنّه من جهة أخرى ينبغي أن نطمئن من خلال تحقيقه كذلك إلى النّصّ قد وصل إلينا كما تركه مؤلّفه، فلم يلحق به تزوير أو تحريف، أو حشو، أو إكمال. بله أن يقوم بتحريفه وتصحيفه والإنقاص من متنه[2].

ومن الواضح أنّ المحقّق كان بإمكانه تلافي كثير من هذا النّقص المسجّل لو أنّه استعان بنسخة المكتبة الوطنية بالجزائر. ويبدو أنّه لم يكن على دراية بوجودها، بل خيّل إليه أنّ ما اعتمده هو نسخة فريدة، كما ورد ذلك في قوله: «موضع النّقط كلمات مطموسة بالمخطوط لم أتبيّن قراءتها. وليس للمخطوط نسخة أخرى تساعد على إيضاح ذلك[3]».

ويمكن في الأخير أن نخلص إلى مجموعة من الملاحظات والتّوصيات، نقتصر فيها على ما يلي:

ـ إنّ الطّبعة التي ظهر بها كتاب ابن الخطيب، من خلال تحقيق سيّد كسروي حسن، أظهرت كثيرًا من النّقص الذي أثّر على مضمون الكتاب، ممّا أخلّ بالجانب العلميّ للكتاب.

ـ إنّ إحياء التّراث يقتضي الالتزام بكلّ المعايير التي وضعها العلماء، وواضبوا على تطبيقها أثناء إخراجهم للنّصوص التّراثيّة، وليس مغامرة تهدف إلى التّصدّي إلى التّحقيق دون الاستعانة بالأدوات المعرفيّة والمنهجيّة الكافية.

ـ يجب في وقتنا الحالي إشاعة نقد أعمال التّحقيق التي تجعل الأعمال المحقّقة موضوعًا لها، حتّى نتمكّن من تطوير مناهج التّحقيق؛ قصد تقييمها وتقويمها، ومن ثمّ مراعاة تلك المعايير بصرامة علميّة وأمانة تاريخيّة. ممّا يستلزم تنسيق الجهود في هذا المجال، واقتراح هيئات علميّة تنظر في أعمال التّحقيق قبل نشرها، ليتمّ إخراجها وتقديمها بالصّورة التي تركها عليه مؤلّفو تلك الأعمال، بل بصورة أقرب ما تكون إلى الصّحّة.

ـ إنّ تحقيق النّصوص التّراثيّة من الأعمال الشّاقّة والشّيّقة، وربّما تطلّب مخطوط تراثيّ جهود أكثر من محقّق؛ وهذا ما دأب عليه رواد التّحقيق؛ ليكون تحقيقه بسهولة ويسر، ولتتفادى فيه مختلف الأخطاء التي تشين العمل وتنقص من قيمته، من هفوات وتصحيفات وتحريفات، التي تتعدّد أسبابها، مبعدين كلّ البعد نيّة الإساءة إلى التّراث.

---

[1] – أعمال الأعلام: تحقيق: سيّد كسروي حسن، ج2، ص 238، هامش: 1.

[2] – ينظر: تحقيق التّراث العربيّ، منهجه وتطوّره: عبد المجيد دياب، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1413هـ/ 1993م: 209.

[3] – أعمال الأعلام: تحقيق: سيّد كسروي حسن، ج1، ص 26، هامش 1.

وأخيرًا، وتلبية لرغبة لمحقّق الكتاب التي أبداها في آخر مقدمته[1]، فإنّني ألتمس له العذر، وأدعو الله له أن يتغمّده برحمته الواسعة، إن حيًّا وإن ميتًا، آمين، آمين، آمين.

**ـ المصادر والمراجع:**


ـ أصول كتابة البحث العلميّ وتحقيق المخطوطات، يوسف المرعشليّ، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط2، 1427هـ/ 2006م.

ـ الأعلام: خيرالدّين بن محمود الزّركليّ (1310-1396هـ)، دار العلم للملايين، بيروت، ط10، 1992م.

ـ أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يتعلّق بذلك من الكلام، لأبي عبد الله محمّد بن عبد الله بن سعيد الغرناطيّ، الشّهير بلسان الدِّين بن الخطيب (ت776هـ) تحقيق: سيّد كسروي حسن، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط1، 1424هـ/ 2003م.

ـ إعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يتعلّق بذلك من الكلام، لأبي عبد الله محمّد بن عبد الله بن سعيد الغرناطيّ، الشّهير بلسان الدِّين بن الخطيب (ت776هـ) تح: الشّريف مريبعي، دار الأمل للدّراسات والنّشر والتّوزيع، السّحاولة، الجزائر، ط1، 1429هـ/ 2009م.

ـ إعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يتعلّق بذلك من الكلام، لأبي عبد الله محمّد بن عبد الله بن سعيد الغرناطيّ، الشّهير بلسان الدِّين بن الخطيب (ت776هـ)، مراجعة وتقديم وتح: لعبيدي بوعبدالله، دار الأمل للدّراسات والنّشر والتّوزيع، السّحاولة، الجزائر، ط1، 1429هـ/ 2009م.

ـ إيضاح المكنون في الذّيل على كشف الظّنون: إسماعيل بن محمّد أمين بن مير سليم البابانيّ البغداديّ (ت1339هـ)، طبع بيروت، دت.

ـ تحقيق التّراث العربيّ، منهجه وتطوّره: عبد المجيد دياب، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1413هـ/ 1993م.

ـ الدّرر الكامنة في أعيان المائة الثّامنة: أبو الفضل أحمد بن عليّ، ابن حجر العسقلانيّ (773-852هـ)، تح: محمّد سيّد جاد الحقّ، القاهرة، 1966م.

ـ شذرات الذّهب في أخبار من ذهب: أبو الفلاح عبد الحيّ بن أحمد، ابن العماد (1032- 1089هـ)، دار الكتب العلميّة، بيروت، دت.


[1] ـ قال في نهاية مقدمة التّحقيق: «... فمن وقف على موطن خلل فيه فليلتمس العذر لي ويدعو الله أن يتغمّدني برحمته، فقد أكون ساعتها تحت طبقات الثّرى، فلا تحرمني منك هذه الدّعوة؛ عساها تجد من ربّها ساعة رضا؛ فتكون سببًا في رحمتي وسعادتي». أعمال الأعلام: تحقيق: سيّد كسروي حسن، ج1، ص 19، (المقدّمة).

_ الكامل في التّاريخ: أبو الحسن عليّ بن محمّد، ابن الأثير (555-630هـ)، دار بيروت للطّباعة والنّشر، دار صادر للطّباعة والنّشر، بيروت، 1965م.

_ كشف الظّنون عن أسامي الكتب والفنون: مصطفى بن عبد الله، حاجّي خليفة (1017-1067هـ)، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1992م.

_ معجم المؤلّفين: عمر رضا كحالة، دار لإحياء التّراث العربيّ، بيروت، دت.

_ مفهوم الخطّ ووظائفه مقاربة لسانيّة سيميولوجيّة: لعبيدي بوعبدالله، ضمن مجلّة "الآداب واللّغات"، جامعة الجزائر2، العدد: 2، جوان، 2007م.

_ المنتظم في تاريخ الملوك والأمم: أبو الفرج عبد الرّحمن بن عليّ بن محمّد بن الجَوْزيّ (508-597هـ)، دراسة وتح: محمّد عبد القادر عطا، ومصطفى عبد القادر عطا، مراجعة وتص: نعيم زرزور، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1412هـ/ 1992م.

_ نفح الطّيب من غصن الأندلس الرّطيب: أبو العبّاس أحمد بن محمّد المقَّرِيّ (992؟-1041هـ)، تح: إحسان عبّاس، دار صادر، بيروت، 1968م.

_ هَدِيّة العارفين، أسماء المؤلّفين وآثار المصنّفين: إسماعيل بن محمّد أمين باشا البغداديّ (ت1339هـ)، دار إحياء التّراث العربيّ، بيروت، 1955م.

**ملحق (1)**

| نماذج من السقط في القسم الأوّل (تاريخ المشرق) | | |
|---|---|---|
| | في طبعة بيروت | في النّسخة (أ) |
| 01 | وهو الواجب تحميده | نحمده وهو الواجب تحميده |
| 02 | الذي تقرّر تأييده. | الذي تقرّر [بالبرهان] تأييده. |
| 03 | إنعامه وإلهامه. | [ونشكره على] إنعامه وإلهامه. |
| 04 | باب الجنّة. | [ووالج] باب الجنّة. |
| 05 | فلا يخلق جديده، وخلّدوا معالم أمره. | فلا يخلق جديده [ونظموا عقد ملّته السّمحة فيروق فريده]، وخلّدوا معالم أمره. |
| 06 | وورثوه في أمّته بالهدى. | [الحقّ يعجب العيون تشييده]، وورثوه في أمّته بالهدى |

| | | |
|---|---|---|
| 07 | وما غرّد الطّير فشاق تغريده، وما هج بنيل المراد مريده. | وما غرّد الطّير فشاق تغريده، [وتفتح الزّهر فراق تنضيده] وما هج بنيل المراد مريده. |
| 08 | فإنّي أملي بمشيئة الله. | [أمّا بعد] فإنّي أملي بمشيئة الله. |
| 09 | إِذَا لَمْ يَكُنْ لِلْمَرْءِ زَوَالهّا. | إِذَا لَمْ يَكُنْ لِلْمَرْءِ [فِي دَوْلَةِ امْرِئٍ نَصِيبٌ وَلاَ حَظُّ تَمَنَّى] زَوَالهَا. |
| 10 | وقد قال: «رضا النّاس غاية لا تدرك». | وقد قال [من هديه لا يترك]: «رضا النّاس غاية لا تدرك». |
| 11 | أوتيت هداها، وأفسحت في خطّة الرّشد مداها. | [ولو أنّ النّفوس] أوتيت هداها، وأفسحت في خطّة الرّشد مداها. |
| 12 | لأقصر بالحقّ أباطيلها. | لأقصر [مستطيلها، ودفعت] بالحقّ أباطيلها. |
| 13 | أو جادل عند لسان بأمر وبحجج. | أو جادل عند لسان [الحقّ] بأمر وبحجج. |
| 14 | ويشتغل بخويصة نفسه عن زيده وعمره السّلامة، واستدفعت بترخيص الله الملامة.. | ويشتغل بخويصة نفسه عن زيده وعمره، [ويبتهل إلى الله في حلّة الصّلاح وربع الفلاح، والاستفادة من الطّوام وغياث الهوام، وصلاح الخواصّ والعوامّ/ [2ظ] ويبدي إليه من الاعتراض مجاري الأقدار، ويبادر أوامر الشّريعة بالابتدار. وما سوى ذلك ففضولُ قولٍ وعملٍ وخسار، لا يعودُ بنيل أملٍ، وسعيٌ ليس له في التّوفيق من ناقةٍ ولا جملٍ، لا يجرُّ نفعًا، ولا يحسن في مكروه دفعًا. ومسالمة السّلطان الغالب متقرّرة طبعًا وشرعًا، وأصل لا يخاف فرعًا، والخروج عليه بحال من الأحوال لا يفسخ في التّوفيق درعًا؛ إذ مخالفته مؤدّية إلى سفك الدّماء، وإنّما نصّب السّلطان لصونها وتوهين الملّة، وإنّما أقيم السّلطان في عونها. فباب الطّعن عليه مسدود، وحبل الذّريعة مشدود، وظلّ العافية مع السّكون ممدود، وبنيان البطر والأشر في البشر غير معدود، وإذا تعارض أمران روعيت] السّلامة، واستدفعت بترخيص الله الملامة.. |
| 15 | وهو الذي لا يبخل الولاية في ريعان الشّباب، .. | وهو الذي لا يبخل [بالإفادة على ذي فهم، والمحكم الذي يرمي كلّ غرض بسهم. وإذا يسّر الله فيه كان غنيًّا عن سواه، ومجتزئًا من غيره بما حواه وما توفيقي إلاّ بالله. فنقول: إنّه لما جبر الله كسر الدّولة المرينيّة من بعد الاضطرار والاضطراب، وتعذّر الآداء |

| | | |
|---|---|---|
| | | والآراب، وعمّرها بعد ضلال الخراب، وجمع شملها من بعد الشّتات والافتراق، وردّها إلى عادة الأمان من بعد الإرعاد والإبراق، وعرّفها عارفة الوفاق على حال الفتن الآخذة لمجامع الآفاق، على وليّ الحقّ، الذي ثبتت عقوده، وعظمت حقوقه على المسلمين وجلّت، وألقت الأرض إلى طاعته ما فيها وتخلّت، وأشرقت أنوار سعده بآفاقها وتجلّت، لباب اللباب، وعروة الحقّ الوثيقة الأسباب، والمتحلّي بحليّ] الولاية في ريعان الشّباب، .. |
| 16 | أمير المسلمين ورحمة الله .. | أمير المسلمين [وثمالهم] ورحمة الله.. |
| 17 | التي سمت وظلّ ربّهم المقدّس الممجّد | التي سمت [إليها آمالهم، ومرسى حبّهم] وظلّ ربّهم المقدّس الممجّد |
| 18 | ولا تقاس الملوك الأعزّة بعزّة، | ولا تقاس الملوك الأعزّة بعزّة [إلاّ ذلّت]، |
| 19 | ومربد المدح الأمين من كتاب الله | ومربد المدح الأمين، و[ومتحفه] من كتاب الله |
| 20 | ثمّ باع نفسه من الله، ووقف موقف الشّهادة | ثمّ باع نفسه من الله [تحت راية جهاده]، ووقف موقف الشّهادة |
| 21 | ابن يحيى بن الكامل بارك للإسلام وأهله في عمره | ابن يحيى بن الكامل بارك [الله] للإسلام وأهله في عمره |
| 22 | وقلّده الأمانة العظمى السّياسة.. | وقلّده الأمانة العظمى [من الاستنابة إليه بمقر الرياسة/ [3ظ] وفطرة] السّياسة.. |
| 23 | السّياسة مدينة سبتة.. | السّياسة، [وقبل العدوتين] مدينة سبتة.. |
| 24 | في سياسة الملك للسّباع، معوّلاً على كرم الطّباع. | في ساسة الملك [عن الذّراع، وسار ممتدّ الباع، نحيفًا] للسّباع، معوّلاً على كرم الطّباع. |
| 25 | على الأعناق الطّباق والاستحقاق | على الأعناق، [وفض صور الذّهب بحسب] الطّباق والاستحقاق |
| 26 | فكساها ونوّر، ورمّ بيوت العبادة وبناها | فكساها ونور [مصبحها وممساها]، ورمّ بيوت العبادة وبناها |
| 27 | أنّ الإمام بجامع الأندلسيّين طرق صلاته فأعاد الصّلاة من أجله | أنّ الإمام بجامع الأندلسيّين طرق صلاته [خلل] فأعاد الصّلاة من أجله |
| 28 | أحضر مجاليسه فأقضى العجب من فصل الحكم | [ولقد] أحضر مجاليسه فأقضى العجب من فصل الحكم |

| | | |
|---|---|---|
| 29 | واختبار الخلل في ..، والقصد منها إلى أماكن الفساد، | واختبار الخلل في [الأسماء والأعداد]، والقصد منها إلى أماكن الفساد، |
| 30 | وسداد الانتقاد، الكثير من القضاة سلكوا مسلكه | وسداد الانتقاد، [وأقول: ليت]/ [4و] الكثير من القضاة سلكوا مسلكه |
| 31 | أعانه على ما ملك | [وسبحان الذي] أعانه على ما ملك |
| 32 | وجهّز نفسه الفائق المضايق، وحقّقت منه الحقائق، | وجهّز نفسه الفائق، [واجتنب] المضايق، وحقّقت منه الحقائق، |
| 33 | وَرَعَيْتُهُ بَعْدَ الْمَمَاتِ كَأَنَّهُ<br>رَهْنُ الْحَيَاةِ خَلْفَ حِجَابِ | وَرَعَيْتُهُ بَعْدَ الْمَمَاتِ كَأَنَّهُ<br>رَهْنُ الْحَيَاةِ [يَرَاكَ]خَلْفَ حِجَابِ |
| 34 | هَذَا الْوَفَاءُ فَجُلُّ مَا حَدَّثْتَهُ<br>مِنْ وَالْإِيجَابِ | هَذَا الْوَفَاءُ فَجُلُّ مَا حَدَّثْتَهُ<br>مِنْ [مُقْتَضَى لِلنَّفْيِ] وَالْإِيجَابِ |
| 35 | وَالدَّهْرُ بَعْدَ مَشِيبِهِ لاَبِسٌ<br>مَا شَاءَهُ مِنْ عُنْفُوَانِ شَبَابِ | وَالدَّهْرُ بَعْدَ مَشِيبِهِ [بِكَ] لاَبِسٌ<br>مَا شَاءَهُ مِنْ عُنْفُوَانِ شَبَابِ |
| 36 | غَلَبَ الظُّنُونَ الرَّوْعُ أَوَّلَ وَهْلَةٍ<br>فَقَضَى غَالِبُ الْغَلاَّبِ | غَلَبَ الظُّنُونَ الرَّوْعُ أَوَّلَ وَهْلَةٍ<br>فَقَضَى [سُعُودَكَ] غَالِبُ الْغَلاَّبِ |
| 37 | وَسُقْيَى ثُمَّ سُقْيَى ثُمَّ سُقْيَى<br>يَصُوبُ جَفْنُ الْغَمَامِ | وَسُقْيَى ثُمَّ سُقْيَى ثُمَّ سُقْيَى<br>يَصُوبُ [بِدَمْعِهَا] جَفْنُ الْغَمَامِ |
| 38 | يدعو إلى سليمان بن عبد الملك، والفقيه يدعو | يدعو إلى سليمان بن عبد الملك [أمير زناتة]، والفقيه يدعو |
| 39 | من كنت ولا أمر لهما تولّي الصّلاة؟ | من كنت _ولا أمر لهما_ [أيهما كنت] تولّي الصّلاة |
| 40 | في فصل القول مذاهبه | في فصل القول والعمل مذاهبه |
| 41 | ومع هذا فإن كان الوفاء والرّضا | ومع هذا فإن كان الوفاء [والذّمام والرّعيا] والرّضا |
| 42 | بعد استقاره في.. إلى أن يستقلّ الوارث | بعد استقاره في [اللّحد] إلى أن يستقلّ الوارث |
| 43<br>44 | إِنَّمَا الدُّنْيَا عَلَى عِلاَّتِهَا<br>شَجَرٌ قَدْ .. دَوْحًا ... | إِنَّمَا الدُّنْيَا عَلَى عِلاَّتِهَا<br>شَجَرٌ قَدْ [دَوَّحَتْ] دَوْحًا [أَشَبْ] |

| | | |
|---|---|---|
| 45 | غير موجود | [وَإِذَا مَا لَمْ تُصِبْ فِيهِ الذِي<br>أَنْتَ مَعْنِيٌّ بِهِ فَافْتِشْ تُصِبْ] |
| 46 | ثمّ اختبرت فألفيته | ثمّ اختبرت [ذلك] فألفيته |
| 47 | مفروغ منها علمه | مفروغ منها، [في] علمه |
| 48 | لم تخل أيّامه على ذي مرغب | لم تخل أيّامه [من شغب] على ذي مرغب |
| 49 | وإخبار عن واقع الزّمان يقرّر | وإخبار عن واقع [في] الزّمان يقرّر |
| 50 | حرس الله أعلامها | حرس الله [أكتاف] أعلامها |
| 51 | والوقوف عند محلّ الاحتجاج البيّن شحٌّ ميسور | والوقوف عند محلّ الاحتجاج البيّن شحٌّ [من] ميسور |
| 52 | ليعلم أنّه ما سواه مذكور | ليعلم أنّه [الأصل في الاختبار، وإذا خرجت عنه عدت إلى الاختصار، ليعلم أنّ]ما سواه مذكور |
| 53 | مع أكثرها لا يفيده إلاّ صلاح دنياه | مع [أنّ] أكثرها لا يفيده إلاّ صلاح دنياه |
| 54 | ونشير فيها إلى رحمة المولى بالأنبياء هداة البشر، وسريان الهداية في النّاس | ونشير فيها إلى رحمة المولى بالأنبياء هداة البشر [المبداة لضمّ النّشر]، وسريان الهداية في النّاس |
| 55 | لوارث في سننهم. ونبيّن فضل الله | لوارث في سننهم [ومحى سننهم]. ونبيّن فضل الله |
| 56 | لتتميم النّعم التي لم تكن لولاه | لتتميم [تلك] النّعم التي لم تكن لولاه |
| 57<br>58 | ثمّ بدولة بني العبّاس فنذكر أيّام أبي جعفر المنصور | ثمّ [نأتي] بدولة بني العبّاس [بعد ذلك] فنذكر أيّام أبي جعفر المنصور |
| 59 | ثمّ أيّام الرّشيد، ثمّ أيّام المعتصم | ثمّ أيّام الرّشيد، [ثمّ أيّام الأمين ثمّ أيّام المأمون] ثمّ أيّام المعتصم |
| 60 | دولة أسد الدِّين، ثمّ دولة ابن أخيه | دولة أسد الدِّين [شيركوه]، ثمّ دولة ابن أخيه |
| 61 | ثمّ بذكر أيّام زيادة الله أخيه، ثمّ أيّام | ثمّ بذكر أيّام زيادة الله أخيه [أبي عقال]، ثمّ أيّام |
| 62 | ثمّ نذكر مدّة على عهد الشّيعة | ثمّ نذكر مدّة [من ولي] على عهد الشّيعة |
| 63 | ثمّ أيّام أخيه يوسف، ثمّ أيّام ابن عمّهم | ثمّ أيّام أخيه يوسف، [ثمّ أيّام محمّد بن يوسف الكائن على هذا العهد، وأيّام أخيه إسماعيل الذي خلعه] ثمّ أيّام ابن عمّهم |

| | | |
|---|---|---|
| 64 | بعد أن نعدّد .. إفريقية | بعد أن نعدّد [من ولي] إفريقية |
| 65 | ثمّ أيّام إدريس بعده، ثمّ أيّام صالح بن سعيد | ثمّ أيّام إدريس بعده، [ثمّ أيّام سعيد بن إدريس] ثمّ أيّام صالح بن سعيد |
| 66 | ثمّ أيّام عبد السّميع، ثمّ أيّام محمّد بن عبد السّميع | ثمّ أيّام عبد السّميع [جرتم بن عبدالله]، ثمّ أيّام محمّد بن عبد السّميع |
| 67 | حمامة بن عطيّة | حمامة [بن المعزّ] بن عطيّة |
| 68 | أيّام الفتوح | [ثمّ] أيّام الفتوح |
| 69 | ثمّ يونس | ثمّ [أبو الغفير معاذ بن] يونس |
| 70 | ثمّ عمر معاذ بن يونس | ثمّ عمر [بن] معاذ بن يونس |
| 71 | ثمّ اليسع | ثمّ [إسماعيل بن عمر، ثمّ] اليسع |
| 72 | متآلفًا مجتمعًا | متآلفًا [متمدّنًا] |
| 73 | فقلّ أن يتحيّفه أو.. أو يخونه | فقلّ أن يتحيّفه أو [ينقصه] أو يخونه |
| 74 | حتّى آخذ الحقّ له. لا يدع قوم الجهاد | حتّى آخذ الحقّ له. [والقويّ فيكم ضعيف عندي حتّى آخذ الحقّ منه] لا يدع قوم الجهاد |
| 75 | ما أطعت الله ورسوله، فلا طاعة لي عليكم | ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم |
| 76 | ثمّ أحدثوا له بيعة أخرى...: قد انتفضت العرب | ثمّ أحدثوا له بيعة أخرى، [وكان رسول الله ε قد جهّز جيشًا؛ ليغزو مع أسامة بن زيد، فلما توفّي قيل لأبي بكر]: قد انتفضت العرب |
| 77 | وإنّما جلبنا ذكر خلفاء رسول الله ε تبرّكًا، فيكون على بصيرة | وإنّما جلبنا ذكر خلفاء رسول الله ε تبرّكًا، [بذكرهم وليزن أحواله بأحوالهم، من يثقل عليه انتحال لقب الخلافة والإمامة] فيكون على بصيرة |
| 78 | أجمع معاوية على البيعة لابنه، فأحضر النّاس | أجمع معاوية على البيعة لابنه [يزيد]، فأحضر النّاس |
| 79 | واخترط سيفه شبرًا | واخترط [من] سيفه شبرًا |
| 80 | بابن ولد رسول الله، وأرباب الشّورى | بابن ولد رسول الله، [وبولد الخلفاء] وأرباب الشّورى |

| | | |
|---|---|---|
| 81 | وكان ابنه غائبًا | وكان ابنه [يزيد] غائبًا |
| 82 | لاَ يُعْلَى وَلاَ يَتَسَنَّمُ | وَجَبَّ لَهُمْ جِبْرِيلُ ... غَارِبٌ<br>مِنَ الْغَيِّ لاَ يُعْلَى وَلاَ يَتَسَنَّمُ |
| 83 | إلى تجهيز بنت أو بنيّات، وضاق عنهنّ وسعه | إلى تجهيز بنت أو بنيّات [كنّ له]، وضاق عنهنّ وسعه |
| 84 | وصَعُبَ عليه الوصول أو إيصال أرقعته | وصَعُبَ ليه الوصول [إليه] أو إيصال أرقعته |
| 85 | لما تصيّر إليه ولم يتقلّده | لما تصيّر إليه [أو طرحه وخلع طوقه] ولم يتقلّده |
| 86 | وقعدت عليها، وكانت مدّة ملكه | وقعدت عليها [حتّى هلك]، وكانت مدّة ملكه |
| 87 | ذكر إلى تمام الدّولة المروانيّة | [ثمّ] ذكر إلى تمام الدّولة المروانيّة |
| 88 | وملكًا عظيمًا، جريئًا على سفك الدّماء | وملكًا عظيمًا [قد مهّد الأمر والده، فكان يحتقر العظائم]، جريئًا على سفك الدّماء |
| 89<br>90 | لسليمان بن عبد الملك الذي عهد له. وذكر أنّه | لسليمان بن عبد الملك الذي عهد له [بالرّحمة]. وذكر أنّه |
| 91<br>92 | وبحقّي عليك إن كان لي عليك حقّ إلاّ فعلت. فبكى ثمّ استرجع | وبحقّي عليك إن كان لي عليك حقّ إلاّ [ما] فعلت [فيك]. فبكى ثمّ استرجع |
| 93<br>94 | وتناهى الدّنيا غرقا في اللّهو، و... والغناء ... وزاد أمره فضيحة | وتناهى الدّنيا غرقا في اللّهو، و[الرّاحة] والغناء [والمعاقرة]. وزاد أمره فضيحة |
| 95 | فتظهران الجزع، وتقولان | فتظهران الجزع [عليهما]، وتقولان |
| 96 | فَقَالَ لاَ حَوْلَ وَلاَ قَوْلَ لِي<br>قَدْ كَانَ فَحَسْبِي السَ ُكُوتْ | فَقَالَ لاَ حَوْلَ وَلاَ قَوْلَ لِي<br>قَدْ كَانَ [مَا كَانَ] فَحَسْبِي السَ ُكُوتْ |
| 97 | فجعل يذكر الوليد بن يزيد | فجعل يذكر [مجون] الوليد بن يزيد |
| 98 | ويقوم... وولاّه الحجّ | ويقوم [به ويقعد] وولاّه الحجّ |
| 99 | فحجّ وظهر منه فعل كثير مذموم بالمغنّيات | فحجّ وظهر منه فعل كثير مذموم [وتشاغل] بالمغنّيات |

| | | |
|---|---|---|
| 100 | ومروان جدّي وعامر | ومروان جدّي [ذو الفعال] وعامر |
| 101 | أَنَا ابْنُ عَظِيمِ الْقَرْيَتَيْنِ وَعِزّهَا<br>.....وَالْعُصَاةِ ٱلأَكَابِرِ | أَنَا ابْنُ عَظِيمِ الْقَرْيَتَيْنِ وَعِزّهَا<br>[ثَقِيفٌ وَفهْرٌ]وَالْعُصَاةِ ٱلأَكَابِرِ |
| 102 | لا يغيب شيء | لا يغيب [عنه شيء] |
| 103 | وملتجأ في الأمر، وصلاحًا لذات البين | وملتجأ في الأمر، [ولأمًا للشّعب] وصلاحًا لذات البين |
| 104 | فلا يريهم الله في ذلك.. وأكذب أمانيهم | فلا يريهم الله في ذلك [إلاّ ما ساءهم] وأكذب أمانيهم |
| 105 | ويجدون الله قد أحكم بما قضى من ذلك | ويجدون الله قد أحكم بما قضى [لأوليائه] من ذلك |

**مقدمة:** مما لا شك فيه أن كتابة التاريخ تتطلب وجود مادة أولية تعين الباحث من أجل القيام بمهمته في إحياء ماضي الأمم وحضارتها، ومن أبرز المواد الأولية التي يحتاجها المؤرخ التراث الموروث عن السلف، وعلى رأسه التراث التاريخي المخطوط الذي ذكرت فيه حياة الأمم والأحداث التي عاشتها، والحضارات التي أنجزتها في كافة الميادين.

ولا يمكن الاستفادة من هذا التراث إلا إذا قام الباحثون، وبخاصة منهم المؤرخين، بنشره وتحقيقه حتى يستفيد منه الدارسون في أبحاثهم، ويوظفوه لإعادة إحياء الصورة التي كان عليها السلف في الماضي.

ومن أجل ذلك عكف كثير من المؤرخين على تحقيق التراث التاريخي المخطوط ونشره، وكان المستشرقون السبّاقين في هذا العمل، ثم التحق بهم غيرهم، ومنهم المؤرخون والباحثون في البلاد الإسلامية، ومنها الجزائر، وبخاصة بعد نيل الاستقلال الوطني.

فما هو الدور الذي قام به الباحثون الجزائريون، وبخاصة منهم المؤرخين في سبيل إحياء التراث التاريخي المخطوط؟ وما الدور الذي قام به المؤرخون في الجامعات الجزائرية؟ ومن هم أبرز المؤرخين الذين حققوا تراثا تاريخيا مخطوطا في الجزائر إبان الاحتلال الفرنسي أو بعده أي خلال فترة الاستقلال الوطني(1962- 2010م)؟ وما هو تقييم إسهام المؤرخين الجزائريين في عملية إحياء التراث المخطوط؟ تلك هي جملة التساؤلات التي سنحاول الإجابة عنها من خلال هذه المداخلة.

**التحقيق في إطار الدراسات الأكاديمية:** إذا كانت الجامعات الأجنبية، وبخاصة منها العربية قد ساهمت بشكل فعال في تحقيق التراث التاريخي المخطوط ضمن الدراسات العليا؛ فإن الجامعات الجزائرية لم تقم بنفس الدور إذ لا نجد إلا عددا ضئيلا من دراسات ما بعد التدرج التي اختار أصحابها تحقيق مخطوط كموضوع لدراستهم، وتتمثل هذه الدراسات فيما يلي:

1- التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية: لمؤلفه أبي عبد الله محمد بن ميمون الزواوي النجار الجزائري، وحققه الأستاذ محمد بن عبد الكريم لنيل دبلوم الدراسات المعمقة، ونوقش بمعهد التاريخ- جامعة الجزائر العاصمة- في 19 ديسمبر 1969م.

ويتناول في مؤلفه سيرة الداي محمد بكداش إبان توليته وحكمه، كما خصص جل الكتاب لقصة الفتح الأول لمدينة وهران على يد هذا الدي وصهره أوزن[1].

[1]- أوزن: كلمة تركية تعني طويل القامة. محمد بن ميمون الجزائري- التحفة المرضية في الدولة البكداشية- تقديم وتحقيق محمد بن عبد الكريم- الشركة الوطنية للنشر والتوزيع- الجزائر- 1981م - ص 83 هامش 2.

يعد هذا الكتاب وثيقة تاريخية ذات أهمية كبرى من حيث الكشف عن استعداد الجيوش، وتفاصيل المعارك، ومراحل الهجمات على مدينة وهران وأبراجها وحصونها حسب الأيام والشهور والسنوات، كما حدد المؤلف عدد القتلى والأسرى، والغنائم التي غنمها المسلمون، وبصفة عامة فالكتاب يتضمن ما عاشه المؤلف وشاهده بالعيان[1].

2- مفاخر البربر: لمؤلف مجهول كان بقيد الحياة سنة 712هـ/1312م، وهي رسالة ماجستير للطالب عبد القادر بوباية، ونوقشت بمعهد التاريخ- جامعة وهران- في 13 نوفمبر 1996م[2]، ويتناول هذا المخطوط موضوع البربر في التاريخ المغاربي عامة والأندلسي بصفة خاصة، وبخاصة في الفترة الممتدة من القرن الرابع إلى الثامن الهجريين.

3- كتاب سير مشائخ المغرب: لمؤلفه أبو الربيع سليمان بن عبد السلام بن حسان بن عبد الله الوسياني، وهو من علماء المائة السادسة[3]، ويعتبر الكتاب من مصادر تراث الإباضية حيث يتضمن تراجم أعلام الإباضية، ويرسم صورة حية للحياة اليومية وأحوال المجتمع الإباضي بمنطقة الجريد، ولذلك فهو أحد المصادر الرئيسة لجميع المؤلفات الإباضية[4]، وقد أعاد تحقيقه الباحث بوعصبانة لقمان لنيل شهادة الدكتوراه بقسم التاريخ- جامعة الأمير عبد القادر بقسنطينة، ونوقشت الأطروحة في 2007م.

4- عجائب الأسفار ولطائف الأخبار لمحمد أبي رأس الناصري المعسكري المتوفى سنة 1238هـ/1823م، وهي أطروحة دكتوراه للباحث محمد بوركبة، ونوقشت بقسم الحضارة الإسلامية- جامعة وهران- في 2008م.

5- نسب قبيلة زغبة لابن الخطيب، وهي مذكرة ماجستير للطالبة طيب بوجمعة، ونوقشت بقسم الحضارة الإسلامية في 2006م.

6- رحلة المجاجي لمؤلفه عبد الرحمن بن محمد بن الخروب المجاجي، وهي رحلة قام بها إلى البقاع المقدسة لأداء فريضة الحج سنة 1652م، وهي مذكرة ماجستير للطالبة سعاد آل سيدي الشيخ، ونوقشت بقسم الحضارة الإسلامية- جامعة وهران في 2008م.

7- النجم الثاقب فيما لأولياء الله من مفاخر المناقب لابن صعد التلمساني، وهي مذكرة ماجستير للطالب حسين بلحاج، ونوقشت بقسم الحضارة الإسلامية في 2008م.

8- فهرسة عبد الرحمن بن عمر التنيلاني التواتي التي ألفها سنة 1775م، وتتضمن سير الشيوخ الذين تتلمذ عليهم، وهي مذكرة ماجستير للطالب محمد بعثمان، ونوقشت بقسم التاريخ- جامعة بشار- في 2009م.

**التحقيق خارج الإطار الأكاديمي**: ساهم عدد من المؤرخين والباحثين الجزائريين في تحقيق جملة من المخطوطات يتعلق مضمونها بتاريخ الجزائر خاصة، وتاريخ العالم الإسلامي عامة، وبخاصة في العصور الوسطى،

---

[1]- التحفة المرضية- ص 85.

[2]- نشرت في دار أبي رقراق- الرباط- 2005م، ثم أعيد نشرها في نفس الدار سنة 2008م بمؤلف معلوم هو أبو علي صالح بن عبد الحليم الإيلاني المصمودي.

[3]- الوسياني أبو الربيع سليمان- سير مشايخ المغرب- تحقيق وتعليق إسماعيل العربي- ديوان المطبوعات الجامعية- الجزائر- 1985م.

[4]- تاديوس ليفيتسكي- المؤرخون الإباضيون في إفريقيا الشمالية- ترجمة ماهر وريما جرّار- دار الغرب الإسلامي- بيروت- ط1- 2000م- ص 106.

وفيما يلي أبرز من قام بذلك من المؤرخين- والمفكرين- الجزائريين في الفترتين سالفتي الذكر أي إبان الاستدمار الفرنسي أو بعد الاستقلال الوطني، وعناوين المصادر العربية التي قاموا بتحقيقها:

**1- محمد بن العربي بن محمد بن أبي شنب:** يعتبر محمد بن أبي شنب المتوفى بالجزائر العاصمة يوم الثلاثاء 5 فبراير سنة 1929م رائد الباحثين الجزائريين في مجال تحقيق ونشر التارث التاريخي المخطوط، ومن أبرز المؤلفات التي حققها ونشرها:

*- البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان: لمؤلفه أبي عبد الله محمد بن محمد بن أحمد الملقب بابن مريم الشريف المليتي نسبا المديوني أصلا التلمساني ولادة ومنشأ ووفاة، والذي كان بقيد الحياة سنة 1025هـ-1611م[1].

يعتبر هذا الكتاب مصدرًا بالغ الأهمية في دراسة الحياة العلمية والثقافية بمدينة تلمسان خاصة، والمغرب الأوسط عامة نظرًا لحركة العلماء، وترددهم على حواضر العلم والثقافة خلال العصر الوسيط.

*- عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية: لمؤلفه أبو العباس أحمد بن أحمد بن عبد الله الغبريني البجائي المتوفى عام 704هـ/1304م.

يعتبر الكتاب مرجعًا هامًا لكتاب التراجم من بعده، حيث اعتمدوا عليه في الترجمة لعلماء بجاية ونواحيها خلال القرن السابع الهجري، كما يطلعنا الكتاب على النشاط الدراسي الذي يتبعه أهل هذه المناطق في طلبهم للعلوم والآداب[2].

*- الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية: لمؤلفه أبو الحسن علي بن عبد الله ابن أبي زرع الفاسي الذي كان حيا في النصف الأول من القرن الثامن الهجري.

الكتاب كما يبدو جليا من خلال عنوان خاص بالدولة المرينية، وبناء على كل ما سبق ذكره؛ فإن الكتاب هام جدًّا، وبخاصة في التأريخ لدولة بني مرين، ومن ثمّ للدول التي كانت على عهدها، وعلى علاقة وطيدة بها مثل بلاد الأندلس والدولتين الزيانية والحفصية.

*- الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية: لابن قنفد القسنطيني، وهو أبو العباس أحمد بن حسن بن علي الشهير بابن الخطيب المتوفى عام 809هـ/1406م.

يورد المؤلف في بداية كتابه أخبارا عن قيام دولة الموحدين وحكامها الأوائل، ثم يتطرق إلى الدولة الحفصية في شكل حوليات تنتهي أوائل عام 806هـ/1403م[3].

*- كتاب قضاة قرطبة وعلماء إفريقية: ومؤلفه أبو عبد الله محمد بن حارث بن أسد الخشني القيرواني الأندلسي المتوفى بقرطبة سنة 361هـ/971م.

---

[1]- ابن مريم المديوني أبو عبد الله محمد بن محمد- البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان- ديوان المطبوعات الجامعية- الجزائر- 1986م- ص 2/عادل نويهض- معجم أعلام الجزائر- مؤسسة نويهض الثقافية- بيروت- ط3- 1403هـ/1983م- ص 292.

2- الغبريني أبو العباس أحمد بن أحمد- عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية- تحقيق رابح بونار- الشركة الوطنية للنشر والتوزيع- الجزائر- 1981م- ص 33-34.

3- محمد المنوني- المصادر العربية لتاريخ المغرب- منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية- الرباط- ط1- 1404هـ/ 1983م- ص 104.

يضم هذا الكتاب تراجم للقضاة الذين تعاقبوا على بلاد الأندلس حتى عهد الخليفة الحكم المستنصر بالله، وهو مهم جدا في معرفة الحياة الاجتماعية في الأندلس على عهد الأمويين إضافة إلى أنه يعطينا معلومات قيمة عن نظام القضاء في الأندلس، ويقارن بينه وبين نظام القضاء في المشرق[1].

وفي القسم الثاني من الكتاب ذكر للفقهاء والمحدثين بإفريقية، ويتضمن ترجمة وافية لـ208 من علماء إفريقية، وهو مهم جدًا في معرفة الحياة العلمية والاجتماعية بإفريقية[2].

*- طبقات علماء إفريقية وتونس: لمؤلفه أبو العرب محمد بن أحمد بن تميم بن تمام بن تميم التميمي القيرواني المؤرخ، المتوفى في ذي القعدة سنة 333هـ/944م[3].

يتضمن الكتاب ما جاء من الفضائل في إفريقية[4]، وذكر من دخل إفريقية من الصحابة والتابعين[5]، ثم يترجم للرواة عن الجلة من التابعين، ثم من أهل إفريقية، وبلغ عدد المترجم لهم مائة وأربة عشر عالما[6].

يكتسي كتاب طبقات علماء إفريقية وتونس أهمية كبرى باعتباره من أقدم كتب التراجم التي دونها العلماء المغاربة، كما تضمن الكتاب معلومات هامة عن المراحل الأولى للفتح الإسلامي ببلاد إفريقية، وبخاصة منها حملة عقبة بن نافع الفهري، وتأسيس مدينة القيروان.

*- نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار: والمعروف أيضا بالرحلة الورثلانية لمؤلفه الحسين بن محمد السعيد الورثلاني المتوفى سنة 1193هـ/1779م[7].

يكتسي كتاب رحلة الورثلاني أهمية كبيرة نظرًا لقيمة المعلومات التي احتواها، والتي اعتمد فيها مؤلفها على عدد ضخم من المصادر المكتوبة والشفوية إضافة إلى مشاهداته الخاصة، وبذلك فقد قدم لنا صورة مكتملة عن الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي ميزت عصره، كما يفيد كثيرًا في دراسة تاريخ بلاد المغرب، وبخاصة في العصر الوسيط نظرًا لاعتماد المؤلف على مصادر أكثرها في حكم المفقود، ومنها على وجه الخصوص كتاب النبذ المحتاجة في ملوك صنهاجة لابن حمادوه الصنهاجي، وكتاب عقود الجمان في مختصر أخبار الزمان للشاطبي، وكتاب شرح الشقراطسية لابن الشباط التوزري[8].

---

[1]- الخشني أبو عبد الله محمد بن حارث- قضاة قرطبة وعلماء إفريقية- تحقيق السيد عزت العطار الحسيني- مكتبة الخانجي- القاهرة- ط2- 1415هـ/1994م- صص 13- 176.

[2]- نفسه- صص 178- 311.

[3]- الدباغ أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الأنصاري- معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان- تحقيق عبد المجيد خيالي- دار الكتب العلمية- بيروت- ط1- 1426هـ/2005م- ج3 ص40.

[4]- نفسه- صص43- 64.

[5]- نفسه- صص65- 72.

[6]- نفسه- صص95- 226.

[7]- لمزيد من المعلومات عنه انظر الورثيلاني الحسين بن محمد- نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار-مقدمة التحقيق/مخلوف محمد بن محمد- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية-ج1 ص 513-514/الحفناوي أبو القاسم محمد- تعريف الخلف برجال السلف- ج2 ص 135/خير الدين الزركلي- الأعلام-ج2 ص 257/عادل نويهض- معجم أعلام الجزائر-ص 340.

[8]- انظر الحسين الورثيلاني- نزهة الأنظار- صص2-713.

*- طرس الأخبار بما جرى آخر الأربعين من القرن الثالث عشر للمسلمين مع الكفار: لأبي حامد محمد العربي بن عبد القادر بن علي المِشْرِقي الحسني المتوفى سنة 1313هـ/1895م[1].

يعتبر هذا الكتاب مصدرًا هامًا من مصادر تاريخ الجزائر في النصف الأول من القرن التاسع عشر إذ عايش صاحبه نهاية الوجود التركي، وبداية الاستدمار الفرنسي للجزائر، وكان شاهد عيان نقل من خلال مؤلفه الأحداث التي وقعت بالجزائر بين أهلها والغزاة الفرنسيين[2].

**2- الأستاذ إسماعيل العربي**- قسم التاريخ- جامعة الجزائر:

* سير مشائخ المغرب: لمؤلف أبو الربيع سليمان بن عبد السلام بن حسان بن عبد الله الوسياني، وهو من علماء المائة السادسة[3]، ويعتبر الكتاب من مصادر تراث الإباضية حيث يتضمن تراجم أعلام الإباضية، ويرسم صورة حية للحياة اليومية وأحوال المجتمع الإباضي بمنطقة الجريد، ولذلك فهو أحد المصادر الرئيسة لجميع المؤلفات الإباضية[4].

* نتيجة الاجتهاد في المهادنة والجهاد: لمؤلفه الغزّال أبو العباس أحمد بن المهدي[5]، ويروي فيه تفاصيل السفارة التي ترأسها، والتي أرسلها ملك المغرب محمد بن عبد الله إلى إسبانيا في 15 ذي الحجة سنة 1179هـ/1766م، ويتضمن الكتاب تفاصيل عن المدن الإسبانية التي زارها، وجوانب من أوضاع إسبانيا السياسية والاجتماعية خلال القرن الثاني عشر الهجري (18م)، إضافة إلى وصفه لآثار المسلمين بها[6].

*كشف الغمة في أخبار الأمة: لمؤلف مجهول، وموضوعه تاريخ الإباضية في بلاد المغرب[7].

* تقويم البلدان لمؤلفه الملك المؤيد، وهو إسماعيل بن علي بن محمود الكردي- أمير حماة بسوريا- المتوفى عام 732هـ/1331م، ويتضمن الكتاب جداول تتوزع داخلها معلومات جغرافية عن الأقاليم والبلدان[8].

*كتاب سير الأئمة وأخبارهم لأبي زكرياء يحي بن أبي بكر السدراتي الورجلاني المتوفى حوالي 471هـ/1078م[9]، وهو من علماء النصف الثاني من القرن العاشر الهجري، ويعتبر هذا الكتاب من أقدم المصادر الخاصة بتاريخ

---

[1]- هو مؤرخ وأديب ونسابة، من أهل قرية الكرط من ضواحي معسكر، تعلم بوهران، وهاجر إلى المغرب الأقصى بعد الاحتلال الفرنسي للجزائر؛ فأخذ عن جماعة من كبار العلماء، ومن آثاره "ياقوتة النسب الوهّاجة في التعريف بسيدي محمد بن علي مولاي مجاجة"، و"ذخيرة الأواخر والأول فيما يتضمن من أخبار الدول"، و"نزهة الأبصار لذوي المعرفة والاستبصار"، وغيرها من المؤلفات. عادل نويهض- معجم أعلام الجزائر- ص303-304.

[2]- محمد العربي بن عبد القادر بن علي المشرفي الغريسي- طرس الأخبار بما جرى آخر الأربعين من القرن الثالث عشر للمسلمين مع الكفار- مخطوط رقم 1476- الخزانة الحسنية- الرباط- 1ظ- 4ظ.

[3]- الوسياني أبو الربيع سليمان- سير مشايخ المغرب- تحقيق وتعليق إسماعيل العربي- ديوان المطبوعات الجامعية- الجزائر- 1985م.

[4]- تاديوس ليفيتسكي- المؤرخون الإباضيون في إفريقيا الشمالية- ترجمة ماهر وريما جرّار- دار الغرب الإسلامي- بيروت- ط1- 2000م- ص 106.

[5]- الغزال أبو العباس أحمد بن المهدي- نتيجة الاجتهاد في المهادنة والجهاد- تحقيق إسماعيل العربي- ديوان المطبوعات الجامعية- الجزائر- 1984م.

[6]- نفسه- مقدمة المحقق.

[7]- مجهول- كشف الغمة في أخبار الأمة- تحقيق إسماعيل العربي-

[8]- محمد المنوني- المصادر العربية- ج 1 ص 84-86.

[9]- أبو زكرياء يحي بن أبي بكر- كتاب سير الأئمة وأخبارهم- تحقيق إسماعيل العربي- المكتبة الوطنية- الجزائر- 1399هـ/1979م.

الإباضيين في المغرب عامة، وتاريخ الرستميين خاصة، إضافة إلى احتوائه على سير أعلام الإباضية في المغرب الأوسط وإفريقية خلال القرنين الرابع والخامس الهجريين.

* تاريخ افتتاح الأندلس: لأبي بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز المعروف بابن القوطية المتوفى سنة 367هـ/983م.

يبدأ ابن القوطية كتابه بالحديث عن أحفاد آخر ملوك القوط الغربيين بحكم انحداره من أصلابهم، ثم يستعرض أخبار الفتح الإسلامي لبلاد الأندلس، وأخبار الولاة وأمراء بني أمية حيث يصل بأخباره إلى سنة 323هـ/934م[1]، والكتاب هام جدا إذ يفصل فيه صاحبه أخبار فتح الأندلس، كما يورد أخبارًا هامة عن ولاة الأندلس وأمرائها[2].

*كتاب أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بها: لمؤلف مجهول[3]، ويعتبر هذا الكتاب مصدرًا أساسيًا فيما يتعلق بالفتح الإسلامي لبلاد الأندلس، والأحداث التي سبقت عصر الإمارة، حيث يبدأ بحروب المسلمين في بلاد المغرب والأندلس على عهد موسى بن نصير، ويستمر في تأريخ هذه الفترة الإسلامية إلى غاية وفاة عبد الرحمن الناصر لدين الله سنة 350هـ/961م.

* المقتبس في تاريخ الأندلس: لأبي مروان حيان بن خلف بن حسين بن حيان القرطبي المتوفى سنة 469هـ/1076م[4]، ويتضمن أخبارًا مفصلة عن عهد الأمير عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام الذي حكم الأندلس فيما بين سنتي 275- 300هـ/888-912م.

* القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس، وهو قطعة من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق لمؤلفه الشريف أبي عبد الله الإدريسي المتوفى حوالي سنة 558هـ/1163م[5]، ويعتبر من أبرز المصادر الجغرافية التي ألفها الجغرافيون المسلمون.

* كتاب الجغرافيا: لأبي الحسن علي بن موسى بن سعيد المغربي المتوفى سنة 685هـ/1286م[6].

**3- المهدي البوعبدلي:**

* الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني: لمؤلفه أحمد بن محمد بن علي بن سحنون الراشدي[7]، ويقوم الكتاب على شرح أرجوزة وضعها ابن سحنون عقب الفتح الثاني لمدينة وهران (1206هـ/1791م)، ويدور موضوعها حول الإشادة بفاتحها الباي محمد الكبير، ثم شرحها في كتابه الذي يعتبر أهم مصدر عن حياة وأعمال الباي محمد

**1- أبو بكر بن القوطية- تاريخ افتتاح الأندلس- تحقيق إسماعيل العربي- م. و. ك- الجزائر- 1989م – ص 91.**

[2]- ابن القوطية أبو بكر- تاريخ افتتاح الأندلس- تحقيق إسماعيل العربي- المؤسسة الوطنية للكتاب- الجزائر- 1989.

[3]- مجهول- كتاب أخبار مجموعة- تحقيق إسماعيل العربي- المؤسسة الوطنية للكتاب- الجزائر- 1989.

[4]- المقتبس في تاريخ الأندلس- تحقيق إسماعيل العربي- منشورات دار الآفاق الجديدة- الدار البيضاء- ط1- 1411هـ/1990م.

[5]- الشريف الإدريسي أبو عبد الله- القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس من كتاب نزهة المشتاق- تحقيق إسماعيل العربي- ديوان المطبوعات الجامعية- الجزائر- 1983م.

[6]- ابن سعيد المغربي- كتاب الجغرافيا- تحقيق إسماعيل العربي- ديوان المطبوعات الجامعية- الجزائر- ط2- 1982م.

[7]- أحمد بن محمد بن علي بن سحنون الراشدي- الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني- تحقيق وتقديم المهدي البوعبدلي- منشورات وزارة الشؤون الدينية- مطبعة البعث- قسنطينة- 1973م.

الكبير، وأوضاع بايليك الغرب على عهده، كما يُعدّ من المراجع الأساسية للتعرّف على الحياة الثقافية والاجتماعية للغرب الجزائري[1].

* دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران: لمؤلفه محمد بن يوسف الزياني البرجي[2] المتوفى بعد سنة 1320هـ/1902م، وهو تاريخ وهران من أقدم العصور إلى عهد المؤلف الذي عاصر العهد التركي، وبخاصة في عهده الأخير أي بعد فتح وهران الثاني سنة 1206هـ/1792م[3].

**4- أحمد توفيق المدني:**

* مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار: نقيب أشراف الجزائر المتوفى سنة 1289هـ/1872م، ويتضمن سير وأعمال الدايات الذين تولوا الحكم بالجزائر من سنة 1168هـ/1755م إلى دخول الاستدمار الفرنسي سنة 1246هـ/1830م[4].

**5- الأستاذ رابح بونار**: أستاذ سابق بقسم التاريخ- جامعة الجزائر:

* عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية: لمؤلفه أبو العباس أحمد بن أحمد الغبريني المتوفى سنة 704هـ/1304م[5].

* خاتمة أنيس الغريب والمسافر في الطرائف والنوادر: أو تاريخ بايات وهران المتأخرين لمؤلفه مسلم بن عبد القادر الحميري الوهراني المتوفى سنة 1248هـ/1832م، وضمّنه أخبار وهران وناحيتها في الخمسين سنة الأخيرة التي سبقت الاحتلال الفرنسي (1192-1248هـ/1778- 1832م)، وحاول فيه الإلمام بما حدث في عهد البايات المتأخرين، ويعتبر هذا الكتاب مصدرًا مهمًّا للتعرّف على الوضع السياسي والعسكري والاجتماعي والاقتصادي لبايليك الغرب في الفترة الأخيرة التي سبقت الاحتلال الفرنسي لوهران[6].

* سنين القحط والمسغبة ببلدة قسنطينة: لمؤلفه صالح بن محمد بن أحمد العنتري المتوفى بعد سنة 1876م[7]، وتعرّض فيه كاتبه إلى الأوضاع الاقتصادية في مدينة قسنطينة، وما تميزت به من أزمات في أواخر العهد العثماني وأوائل فترة الاحتلال الفرنسي، وقد اهتم المؤلف كثيرًا بإبراز الظروف التي تسببت في حدوث القحط والغلاء ما بين سنتي 1603 و1868م[8].

---

[1]- ناصر الدين سعيدوني- من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي- دار الغرب الإسلامي- بيروت- ط1- 1999م- ص 443.

[2]- الزياني محمد بن يوسف- دليل الحيران وأنيس السهران- تقديم وتعليق المهدي البوعبدلي- الشركة الوطنية للنشر والتوزيع- الجزائر- 1398هـ/1978م.

[3]- سعيدوني- نفس المرجع- 588- 590.

[4]- الزهار أحمد الشريف- مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار- تحقيق أحمد توفيق المدني- الشركة الوطنية للنشر والتوزيع- الجزائر- 1980م.

[5]- الغبريني أبو العباس أحمد بن أحمد- عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية- تحقيق رابح بونار- الشركة الوطنية للنشر والتوزيع- الجزائر- 1981م.

[6]- مسلم بن عبد القادر الوهراني- خاتمة أنيس الغريب والمسافر أو تاريخ بايات وهران المتأخرين- تحقيق وتقديم رايح بونار- الشركة الوطنية للنشر والتوزيع- الجزائر- 1974م.

[7]- العنتري صالح بن محمد بن أحمد- سنين القحط والمسغبة ببلد قسنطينة (مجاعات قسنطينة)- تحقيق وتقديم رابح بونار- الشركة الوطنية للنشر والتوزيع- الجزائر- 1974م.

[8]- سعيدوني- نفس المرجع- ص535.

**6- الدكتور يحي بوعزيز**- قسم التاريخ- جامعة وهران:

* روضة النسرين في التعريف بالأشياخ الأربعة المتأخرين: للشيخ محمد ابن صعد الأنصاري التلمساني المتوفى في رجب 901هـ/1496م، ويتضّمن ترجمة لأربعة من العلماء، وهم الشيخ محمد بن اعمر الهواري والشيخ الحسن أبركان والشيخ إبراهيم التازي والشخ أحمد الغماري[1].

* فريدة مؤنسة في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانها المعروفة بتاريخ قسنطينة: لمؤلفه صالح بن محمد بن أحمد العنتري المتوفى بعد سنة 1876م[2]، وقد وضعه تلبية لطلب الضابط الفرنسي بواسوني متولي المكتب العربي بقسنطينة، وتضمّن الكتاب أخبار قسنطينة في العهد العثماني منذ حكم فرحات باي سنة 1057هـ/1647م، مع التوسع في أخبار أحمد باي، والفترة الأولى للاحتلال الفرنسي[3].

* طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن 19م: لمؤلفه أبو إسماعيل ابن عودة بن الحاج المزاري المتوفى بعد سنة 1315هـ/1897م[4]، ويتضمن الكتاب تاريخًا مفصلا لوهران حيث يبدأ بمن بناها، ومن تعاقب على حكمها من الدول، ومن عاش بها من الأولياء والعلماء، ثم ذكر استيلاء الإسبان عليها، ومحاولات الأتراك استرجاعها، ثم تعرّض إلى أوضاع بايليك الغرب وباياته قبل أن يتطرق إلى فترة الحكم الفرنسي، وأحداث المقاومة وبخاصة من قبل الأمير عبد القادر، ويختم كتابه بذكر نسب القبائل التي كانت تشكل مخزن وهران[5].

* سيرة الأمير عبد القادر وجهاده لمصطفى ابن التهامي[6].

**7- محمود بوعياد**: مدير المكتبة الوطنية:

* تاريخ بني زيان ملوك تلمسان من كتاب نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان: لمؤلفه أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد الجليل التنسي التلمساني المتوفى سنة 899هـ/1494م[7]، وقد خصّص المؤلف الباب السابع من القسم الأول لتاريخ بني زيان، وعنوانه "في بيان شرف بني زيان وتتابع دولتهم إلى دولة المتوكل فخر الزمان"، وأدرج التنسي فيه جزءًا ضمنه تاريخ دولة بني عبد الوادي من يوم بزغ نجمها إلى الوجود على أنقاض الدولة الموحدية إلى زمان السلطان محمد المتوكل معاصره (866-873هـ/1462-1468م، وقدم المؤلف لتاريخ دولة بني زيان

---

[1]- محمد بن صعد الأنصاري التلمساني- روضة النسرين في التعريف بالأشياخ الأربعة المتأخرين- تحقيق يحي بوعزيز- منشورات الوكالة الوطنية للنشر والإشهار- الجزائر- 2002م.

[2]- العنتري صالح بن محمد بن أحمد- فريدة مؤنسة في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانها المعروفة بتاريخ قسنطينة- مراجعة وتقديم وتحقيق يحي بوعزيز- ديوان المطبوعات الجامعية- الجزائر- 1991م.

[3]- سعيدوني- نفس المرجع- ص 533- 534.

[4]- المزاري الآغا بن عودة- طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وأسباتيا وفرنسا- تحقيق يحي بوعزيز- دار البصائر- الجزائر- ط1- 2007م.

[5]- سعيدوني- نفس المرجع- ص 568- 569.

[6]- مصطفى ابن التهامي- سيرة الأمير عبد القادر وجهاده- تحقيق يحي بوعزيز- دار الغرب الإسلامي- بيروت- 1995م.

[7]- التنسي أبو عبد الله- تاريخ بني زيان ملوك تلمسان من كتاب نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان- تحقيق محمود بوعياد- المكتبة الوطنية- الجزائر- 1405هـ/1985م.

بفصول أخرى خصّصها كلها لتاريخ أسلافهم؛ فكتب عن قريش وآل البيت، وعن علي بن أبي طالب وعن ابنيه الحسن والحسين، ثم انتقل إلى تاريخ الأدارسة الذين جعل بني زيان من سلالتهم[1].

**8- الأستاذ عبد الحميد حاجيات**- قسم التاريخ- جامعة تلمسان:

* بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد: لمؤلفه أبو زكرياء يحي بن خلدون المتوفى سنة 780هـ/1378م[2]، وقد قسم المؤلف كتابه إلى ثلاثة أقسام، تناول في الأول وصف مدينة تلمسان القديمة وموقعها، والعلماء الذين ولدوا أو استقروا بها، حيث ترجم لمائة وتسعة عالم من تلمسان أو ممن رحل إليها، وختمه بنظرة عامة حول تاريخ تلمسان قبل بني عبد الواد، ودور قبيلة بني عبد الواد في تاريخ المغرب، والظروف التي أحاطت بقيام دولتهم في تلمسان.

ويتضمن القسم الثاني ثلاثة أبواب، خصص الأول لذكر عهد يغمراسن وابنه أبي سعيد، ثم ثلاثة أمراء جاءوا بعدهما، والثاني للحديث عن استيلاء بني مرين على تلمسان، ثم ظروف إعادة إحياء دولة بني عبد الواد، وتناول في الباب الثالث حكم أبي سعيد وأبي ثابت ابني عبد الرحمن بن يحي بن يغمراسن بن زيان[3]، وخصّص المؤلف القسم الثالث من كتابه لذكر عهد أبي حمو موسى الثاني[4]، وقد اتبع في ذلك المنهج الحولي، وأورد الكثير من القصائد الشعرية.

* تاريخ دولة الأدارسة من كتاب نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان: لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد الجليل التنسي المتوفى سنة 899هـ/1494م، وهو الفصل الثاني من الباب السادس من القسم الأول الموسوم بـ"في ذكر الأدارسة وإخوتهم السليمانيين"[5]، ويتطرق المؤلف فيه إلى دخول إدريس أرض المغرب وبيعته، وغزوه للمغربين الأقصى والأوسط ووفاته، ويذكر خليفته إدريس بن إدريس، وإمارة محمد ابنه الذي قسم البلاد على إخوته، وإمارة خلفائه[6]، ثم يتكلم عن دولة الأدارسة في الريف[7]، ودولة الحموديين الأدارسة بالأندلس[8]، ودولة إخوتهم السليمانيين في المغرب الأوسط[9].

*كتاب أخبار المهدي بن تومرت: لمؤلفه أبو بكر بن علي الصنهاجي الملقب بالبيدق المتوفى حوالي سنة 555هـ/1160م[10]، ويشتمل كتاب البيدق على قسمين: أحدهما خاص بدعوة ابن تومرت، ويتضمن رحلته إلى

---

**1- محمد بن عبد الله التنسي- تاريخ بني زيان ملوك تلمسان مقتطف من نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان-تحقيق محمود بوعياد-إصدارات المكتبة الوطنية-الجزائر-1405هـ-1985م- ص 38.**

[2]- يحي بن خلدون أبو زكرياء- بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد- تحقيق عبد الحميد حاجيات- المكتبة الوطنية- الجزائر- 1400هـ/1980م.

**3- يحي بن خلدون- بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد- تحقيق عبد الحميد حاجيات-المكتبة الوطنية-الجزائر- 1400هـ/1980م- ج1 ص 80.**

[4]- نفسه- صص 37- 332.

[5]- التنسي أبو عبد الله- تاريخ دولة الأدارسة من كتاب نظم الدر والعقيان- تحقيق وتقديم عبد الحميد حاجيات- المؤسسة الوطنية للكتاب- الجزائر- 1984م.

[6]- صص 34- 49.

[7]- صص 49- 53.

[8]- صص 55- 63.

[9]- صص 65- 68.

[10]- الصنهاجي أبو بكر بن علي- أخبار المهدي بن تومرت- تحقيق عبد الحميد حاجيات- المؤسسة الوطنية للكتاب- الجزائر- ط2- 1986م.

المغرب وظهور دعوته[1]، والثاني يتحدث فيه عن حركة عبد المؤمن بن علي الكومي، وتأسيسه للدولة الموحدية[2]، والثالث ويتحدث فيه عن الثائرين على يوسف بن عبد المؤمن بالمغرب والعدوة الأندلسية[3].

**9- الأستاذ أبو القاسم سعد الله**- قسم التاريخ- جامعة الجزائر:

* رحلة ابن حمادوش الجزائري المسماة "لسان المقال في النبإ عن النسب والحسب والحال": لمؤلفه عبد الرزاق بن محمد بن محمد المعروف بابن حمادوش الجزائري، ويتضمن الكتاب معلومات عن عصر المؤلف السياسية والاجتماعية والفكرية، إضافة إلى ما نقله من بعض المصادر التاريخية، ومنها كتاب الاكتفاء في أخبار الخلفاء لابن الكردبوس التوزري[4].

* تاريخ العدواني: لمؤلفه محمد بن محمد بن عمر القسنطيني العدواني السلمي الطرودي، ويتضمن الكتاب أخبارًا عن الحروب التي وقعت بين طرود- إحدى قبائل بني هلال- وجيرانهم، والحياة الاجتماعية والدينية في القرنين التاسع والعاشر الهجريين، ويخص تحديدًا تاريخ منطقة سوف وصحراء قسنطينة وغرب تونس[5].

* منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية: لمؤلفه عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم الفكون المتوفى سنة 1073هـ/1662م[6]، ويتضمن الكتاب معلومات مهمة تتصل بالحياة الثقافية (75 ترجمة لعلماء قسنطينة وناحيتها)، والاجتماعية والاقتصادية والسياسية في القرنين العشر والحادي عشر الهجريين (16-17م)[7].

**10- جلول أحمد البدوي:**

* أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم: لأبي عبد الله محمد بن علي بن حماد بن عيسى بن أبي بكر الصنهاجي المتوفى سنة 626هـ/1230م[8]، وقام فيه بتقييد جملة من أخبار بني عبيد الله؛ فعرّف بنسبهم ثم بداية حركتهم، وانتقالهم إلى بلاد المغرب، وتأسيس دولتهم به، ثم قيامهم بحملات لفتح مصر بداية من سنة 301هـ/913م، ثم يتطرق المؤلف إلى خلفاء العبيديين في بلاد المغرب ومصر، والأحداث التي وقعت على عهدهم إلى غاية سقوط دولتهم في أواخر سنة 567هـ/1171م على عهد أبي محمد عبد الله العاضد لدين الله آخر خلفائهم بمصر، وقد فرغ المؤلف من كتابته سنة 617هـ/1220م[9].

**11- الأستاذ محمد بن عبد الكريم**- قسم التاريخ- جامعة الجزائر:

---

[1]- نفسه- صص 29- 65.
[2]- نفسه- صص 69- 119.
[3]- نفسه- صص 123- 138.
[4]- رحلة ابن حمادوش الجزائري-
[5]- أبو القاسم سعد الله- تاريخ الجزائر الثقافي- المؤسسة الوطنية للكتاب- الجزائر- 1405هـ/1985م- ج 2 ص 343-344.
[6]- الفكون عبد الكريم- منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية- تحقيق وتعليق أبو القاسم سعد الله- دار الغرب الإسلامي- بيروت- 1987م.
[7]- سعيدوني- نفس المرجع- ص 354-356.
[8]- أبو عبد الله محمد الصنهاجي- أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم- تحقيق جلول أحمد البدوي- المؤسسة الوطنية للكتاب- الجزائر- 1984م.
[9]- أبو عبد الله الصنهاجي- نفس المصدر- صص 17- 82.

* وشاح الكتائب وزينة الجيش المحمدي الغالب لمؤلفه قدور ابن رويلة[1].

* بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الأسبان بوهران من الأعراب كبني عامر: لمؤلفه أبو المكارم عبد القادر بن عبد الله بن محمد المشْرِقي المتوفى حوالي 1172هـ/1778م[2]، وقد أشار فيه إلى الإسبان وأصلهم وموطنهم، قبل أن يتعرّض بالتفصيل لقبائل بني عامر، ونسبهم وأعمالهم، وما اشتهروا به بنواحي وهران أثناء الوجود الإسباني بها مع بيان الحكم الشرعي في تعاونهم مع الإسبان، إضافة إلى إشارات عابرة إلى علماء عصره ورجال الدولة على عهده[3].

* رحلة الباي محمد بن عثمان الكبير إلى الأغواط وعين ماضي: لمؤلفه أبو العباس أحمد بن محمد بن هطال أحمد التلمساني المتوفى سنة 1219هـ/1804م[4]، ويتضمن الكتاب وصفا دقيقا لوقائع حملة محمد الكبير باي الغرب الجزائري سنة 1199هـ/1785م على الجهات الجنوبية والأقاليم الصحراوية التابعة لبايليك وهران بهدف إخضاع نواحي جبل عمور وعين ماضي والأغواط، والحدّ من عداء التيجانيين بتلك الجهات[5].

**12- إبراهيم طلاي:**

* طبقات المشايخ بالمغرب: لمؤلفه أبو العباس أحمد بن سعيد بن سليمان بن علي بن يخلف الدرجيني، وكان بقيد الحياة في القرن السابع الهجري[6]، وقد أدرج المؤلف في القسم الأول منه ما كتبه أبو زكرياء الورجلاني مع تعليقات وتوضيحات قيمة؛ فغلب عليه الطابع التاريخي، واعتمد فيه على مصادر إباضية وغير إباضية يغفل ذكرها في غالب الأحيان، وأثبت في القسم الثاني من طبقاته مجموع سير العلماء وبعض الشخصيات الإباضية المشهورة، وقسم تراجمه إلى اثنتي عشرة طبقة تغطي كل طبقة منها فترة خمسين سنة، وجاءت الطبقات الأربع الأولى خاصة بعلماء الإباضية في المشرق بينما أفرد الطبقات الثمانية الموالية لمشايخ الإباضية بالمغرب، واقتصر في الطبقات الأربع الأخيرة على شخصيات من ورجلان وسوف والجريد وجربة، ويعتبر كتاب طبقات المشايخ للدرجيني من عيون التراث الإباضي بالمغرب، ومن المصادر الأساسية للحياة العلمية والمذهبية والاجتماعية.

**13- الأستاذ ناصر الدين سعيدوني**- قسم التاريخ- جامعة الجزائر سابقا:

* القول الأوسط في أخبار من حلّ بالمغرب الأوسط: لمؤلفه أحمد بن عبد الرحمن الشقراني الراشدي المتوفى بعد سنة 1301هـ/1883م[7]، ويستعرض فيه الأحداث التاريخية باختصار حسب الترتيب التصاعدي؛ فيبدأ بالأحداث التي عاصرها في القرن التاسع عشر، وينتهي بالفتح الإسلامي في القرن السابع الميلادي، ويعتبر الكتاب

---

[1]- وشاح الكتائب وزينة الجيش المحمدي الغالب لمؤلفه قدور ابن رويلة-

[2]- عبد القادر المشرفي الغريسي- بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الإسبان بوهران من الأعراب كبني عامر- تحقيق وتقديم محمد بن عبد الكريم- مكتبة دار الحياة- بيروت- د. ت.

[3]- سعيدوني- نفس المرجع- ص 413.

[4]- ابن هطال أحمد التلمساني- رحلة الباي محمد بن عثمان الكبير إلى الأغواط وعين ماضي- القاهرة- 1969م.

[5]- سعيدوني- نفس المرجع- ص448-449.

[6]- الدرجيني أبو العباس أحمد- طبقات المشايخ بالمغرب- تحقيق إبراهيم طلاي- مطبعة البعث- قسنطينة- 1974م.

[7]- الراشدي أحمد بن عبد الرحمن الشقراني- القول الأوسط في أخبار من حلّ بالمغرب الأوسط- تحقيق وتقديم ناصر الدين سعيدوني- دار الغرب الإسلامي- بيروت- 1991م.

من المصادر المهمة للتاريخ الجزائري خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر، وبخاصة فيما اتصل منها بالتوسع الفرنسي في الجنوب الوهراني، وما انجرّ عنه من مقاومة، وما صاحبه من أحداث[1].

**14- الأستاذ عبد القادر بوباية-** قسم التاريخ- جامعة وهران:

* تاريخ الأندلس: لمؤلف مجهول كان بقيد الحياة قبل سنة 897هـ/1492م، أي تاريخ سقوط مدينة غرناطة في أيدي النصارى[2]، ويقسم المؤلف كتابه إلى قسمين: أولهما جغرافي، ويستعرض فيه جغرافية بلاد الأندلس، ويذكر تفاصيل كثيرة عن أهم المدن الأندلسية، ويتطرق في القسم الثاني إلى تاريخ الأندلس من عهد أول من سكنه إلى سنة 717هـ/1317م.

* الاكتفاء في أخبار الخلفاء: لمؤلفه أبو مروان عبد الملك ابن الكردبوس التوزري الذي كان بقيد الحياة سنة 594هـ/1198م[3]، ويتألف الكتاب من سفرين أولهما خصصه المؤلف إلى السيرة النبوية وتاريخ الخلفاء الراشدين والدولة الأموية، وتاريخ الأندلس إلى سنة 594هـ/1198م، وأفرد السفر الثاني للدولة العباسية من العباس عمّ الرسول صلى الله عليه وسلم إلى سنة 540هـ/1145م.

* الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية: لمؤلفه ابن سماك العاملي الذي كان بقيد الحياة على عهد السلطان النصري يوسف الثالث وبالتالي فقد توفي على الأرجح بين سنتي 812-820هـ/1409- 1417م أو بعدها بقليل[4].

يبدأ المؤلف كتابه بذكر تأسيس مدينة مراكش، ويعقب ذلك بعرض موسع عن تاريخ المرابطين والموحدين، ويختم بإلمامة سريعة بملوك الدولة المرينية إلى عصر المؤلف[5].

يعتبر كتاب الحلل الموشية من المصادر التاريخية المهمة، وهو تأريخ مفصل للدولة المرابطية، ثم لصدر الدولة الموحدية حتى نهاية خلافة عبد المؤمن بن علي، ثم يتحول المؤلف بعد ذلك إلى رواية شديدة الاختصار تستعرض دولة الموحدين حتى نهايتها، ثم تقتصر على سرد لأسماء سلاطين بني مرين حتى أيام أبي تاشفين عبد الرحمن بن عمر، ويركز المؤلف بحكم انتمائه إلى الأندلس على الأحداث المتعلقة بالعدوة الأندلسية على عهد هذه الدول الثلاث، أي المرابطين والموحدين وبني مرين، وبذلك فهو بالدرجة الأولى مصدر متعلق بالتاريخ الأندلسي، وتقف الأحداث التاريخية التي يوردها المؤلف عند سنة 783هـ/1381م، وهي السنة التي فرغ فيها المؤلف من الكتاب[6].

---

[1]- سعيدوني- نفس المرجع- صص 543-546.

[2]- مجهول- تاريخ الأندلس- دراسة وتحقيق عبد القادر بوباية- دار الكتب العلمية- بيروت- ط1- 2007/ ط2- 2009م

[3]- ابن الكردبوس التوزري أبو مروان عبد الملك- الاكتفاء في أخبار الخلفاء- دراسة وتحقيق عبد القادر بوباية- دار الكتب العلمية- بيروت- 2009م.

[4]- ابن سماك العاملي- الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية- دراسة وتحقيق عبد القادر بوباية- دار الكتب العلمية- بيروت- ط1- 2010م- مقدمة التحقيق.

**5 - نفسه- صص53-295.**

**6 - نفسه- ص278/ابن سمّاك العاملي- الزهرات المنثورة في نكت الأخبار المنثورة- دراسة وتحقيق محمود علي مكي- مكتبة الثقافة الدينية- القاهرة- ط1- 1424هـ/2004م- ص 40-41.**

*– البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان: لمؤلفه أبي عبد الله محمد بن محمد بن أحمد الملقب بابن مريم الشريف المليتي نسبا المديوني أصلا التلمساني ولادة ومنشأ ووفاة، والمتوفى على الآررجح بين عامي 1025 و1028هـ/1611- 1614م[1].

يعتبر هذا الكتاب مصدرًا بالغ الأهمية في دراسة الحياة العلمية والثقافية بمدينة تلمسان خاصة، والمغرب الأوسط عامة نظرًا لحركة العلماء، وترددهم على حواضر العلم والثقافة خلال العصر الوسيط.

**15– الأستاذ محمد بن معمر**– قسم الحضارة الإسلامية– جامعة وهران:

* رحلة المقري إلى المغرب والمشرق: لمؤلفه أبو العباس أحمد بن محمد المقري التلمساني المتوفى سنة 1041هـ/1631م[2]، ويحتوي الكتاب على معلومات هامة تتعلق بحياة المقري الشخصية في تلمسان والمغرب الأقصى ومصر والشام والحجاز، كما يعالج الحياة الثقافية والأدبية في عصر المؤلف، ويتضمن في الوقت نفسه معلومات تاريخية عن بلاد المغرب وأرض الحجاز واليمن، وبعض القضايا الفقهية والعقدية وغيرها، ويتضمن الكتاب أيضا معلومات جديدة عن حياة المقري لا نجدها عند كل من ترجم له[3].

* تاريخ ميورقة: لمؤله أبو المطرّف أحمد بن عميرة المخزومي المتوفى سنة 658هـ/1260م[4]، ويؤرخ المؤلف فيه للعهد الأخير من تاريخ جزيرة ميورقة (606- 628هـ/1209-1230م)، ويعالج مرحلة السقوط النهائي لها على يد الإسبان مع التركيز على الأسباب والعوامل وأطوار السقط[5].

**16– الأستاذ مختار حساني**– قسم التاريخ– جامعة الجزائر:

* كتاب الدرر المكنونة في نوازل مازونة: لمؤلفه أبو زكرياء يحي بن موسى بن يحي المغيلي المازوني المتوفى سنة 883هـ/1478م، ويعتبر هذا المؤلف مصدرًا هامًا لا يمكن للباحثين الاستغناء عنه لدراسة الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية لبلاد المغرب الأوسط خاصة، والمغرب الإسلامي عامة، وبخاصة خلال القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي)[6]، والذي يؤسف له أنه نشر دون مراعاة القواعد العلمية للتحقيق، ولذلك جاء مشوها، ويحتاج إلى إعادة تحقيق.

**17– الدكتور محمد غالم**– قسم التاريخ– جامعة وهران:

---

[1]- ابن مريم المديوني أبو عبد الله محمد بن محمد- البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان- ديوان المطبوعات الجامعية- الجزائر- 1986م- ص 2/عادل نويهض- معجم أعلام الجزائر- مؤسسة نويهض الثقافية- بيروت- ط3- 1403هـ/1983م- ص 292.

[2]- المقري أبو العباسي أحمد بن محمد- رحلة المقري إلى المغرب والمشرق- تحقيق محمد بن معمر- مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع- الجزائر- 1425هـ/2004م.

[3]- نفسه- ص 9- 10.

[4]- ابن عميرة المخزومي أبو المطرف أحمد- تاريخ ميورقة- دراسة وتحقيق محمد بن معمر- دار الكتب العلمية- بيروت- 2007م

[5]- نفسه- ص 25-26.

[6]- عبيد بوداود- نفس المرجع- ص 131.

* عجائب الأسفار ولطائف الأخبار فيما جرى بوهران والأندلس بين المسلمين والكفار لمحمد أبي رأس الناصري المعسكري المتوفى سنة 1238هـ/1823م[1]، ويعتبر الكتاب مصدرا مهما ومرجعا أساسيا فيما يتصل بتأسيس المدن وأنساب القبائل، ومواطن العشائر، وتطور أحداث فتح وهران، ومآثر الباي محمد بن عثمان الكبير[2].

**تقييم جهود الباحثين الجزائريين:**

أ- **من حيث المواضيع**: تنوعت مواضيع المخطوطات التي قام المؤرخون والباحثون الجزائريون بتحقيقها؛ فمنها ما تعلق بالتاريخ المحلي مثل الكتب المتعلقة بتاريخ وهران وتاريخ ميورقة، ومنها ما تعلق بتاريخ المغرب الإسلامي مثل بغية الرواد ونظم الدر والعقيان، ومنها ما تعلق بقسم من المغرب الإسلامي مثل تاريخ الأندلس، ومنها ما تعلق بتاريخ الدولة الإسلامية مغربا ومشرقا مثل كتاب الاكتفاء في أخبار الخلفاء.

ب- **من حيث مناهج التحقيق**: تنوعت مناهج التحقيق التي اتبعها المؤرخون والباحثون الجزائريين؛ فمنهم من اتبع منهج المستشرقين الذي يقوم على نشر النص، والاكتفاء إثبات الاختلافات بين النسخ المعتمدة في التحقيق مثل ما فعل الأستاذ محمد بن أبي شنب، ومنهم من اكتفى بنشر المخطوط دون تحقيق المتن مثل ما فعل الأستاذ حساني مختار والدكتور يحي بوعزيز والمهدي البوعبدلي، ومنهم من اتبع المنهج العلمي المتمثل في تحقيق الأعلام البشرية والجغرافية، وشرح الكلمات الصعبة إضافة إلى المقارنة بين النسخ المخطوطة، وإثبات الاختلافات بين نصوصها مثل ما فعل الأستاذ محمد بن معمر والأستاذ عبد القادر بوباية والأستاذ أبو القاسم سعد الله وغيرهم.

**القيمة العلمية للمخطوطات المحققة**: تكتسي أغلب المخطوطات التي تم تحقيقها أهمية علمية كبيرة سواء المخطوطات التي تعلق مضمونها بالتاريخ المحلي أو تلك التي تضمنت معلومات عن بلاد المسلمين عامة، وبخاصة منها تلك التي تم نشرها لأول مرة مثل تاريخ ميورقة لابن عميرة المخزومي، والاكتفاء في أخبار الخلفاء لابن الكردبوس التوزري.

**الخاتمة**: من خلال ما سبق ذكره يتبين لنا الإسهام الكبير الذي قام به الباحثون الجزائريين، وبخاصة منهم المؤرخين في تحقيق التراث المخطوط، وتيسير الاستفادة منه للباحثين، وبذلك فقد وفر هؤلاء المادة الأولية التي يحتاج إليها الطلبة والدارسون من أجل إنجاز بحوثهم، كما زود الباحثون الجزائريون المكتبات المنتشرة في أرض الوطن فضلا على مكتبات العالم العربي خاصة، والعالم عامة بمصادر لا مناص من العودة إليها من أجل كتابة تاريخ متكامل لبلاد الإسلام عامة، وبلاد الجزائر بصفة خاصة.

[1]- عجائب الأسفار ولطائف الأخبار- تحقيق محمد غالم- منشورات مركز البحث في الأنثروبولوجية الاجتماعية والثقافية– وهران- 2008م.

[22]- ناصر الدين سعيدوني- من التراث التاريخي والجغرافي- ص 464.

## نحو منهج تقويمي في تحقيق التراث الأندلسي الأعجمي
## حينما لا تكون المقارنة ممكنة

**تقديم**

سنبدأ بحثنا هذا من حيث انتهت دراستنا لإحدى قضايا التراث الآندلسي الأعجميل؛ حينها قلنا أن جهلنا بوجود هذا التراث وعدم الوعي به وبطبيعته ومحتواه وآلياته وخصائصه هي مسألة أصبح من المفروض تجاوزها. وقلنا كذلك إنه إن قبلنا على أنفسنا أن نكون من الخوالف في تعاملنا مع هذا التراث، فلنبادر باستحداث أول محكمة تراثية، يقف أمامها التراث الأندلسي الأعجمي متهما، ثم يحكم عليه مسبقا بالهجر والنسيان، ثم ندعي الدليل والبرهان:

-الدليل الأول: أنك أيها التراث الأندلسي الأعجمي لست بديارنا وغريب عنا وغربتك لا تشبه غربتنا.

-الدليل الثاني: أنك أيها التراث أعجمي حتى وإن ألبست مخطوطاتك لبوسا عربيا وأبديت حنينا وفخرا واستعدادا في استحضارك لماضيك العربي؛ فنحن ما فتئنا نؤسس لمشاريع جادة لإحياء تراثنا العربي فكيف لنا بالأعجمي؟

-الدليل الثالث: أن مرجعيتك أيها التراث مهلهلة وفكرك مذبذب بسيط يكاد يكون صبيانيا، ومواضيعك ومضامينك لا ترقى إلى درجة العلم والفكر الزاخر به التراث الذي تدعي أنه تراثك الأم.

وقتها توجهنا إلى الدارسين والمهتمين بقضايا التراث في عالمنا العربي بالسؤال: أمن سبيل للطعن في الحكم؟!

في الحقيقة لم يكن السؤال آنذاك ولا زال إلا ضربا من ضروب الاستفزاز العاذل والمحبب، ارتأينا على إثره أن نأخذ بزمام الحكم ونطعن فيه ونستأنف في هذا البحث الدفاع عن هذا التراث الهجين الذي كتب له أن يعيش غربتين، غربة ولادته ونشأته وغربة العيش في زمننا. وكخطوة أولى كان لابد من الوقوف عند جهود المستشرقين والمستعربين في تحقيق هذا التراث، خاصة الإسبان منهم، والاطلاع على منهجهم وآلياتهم وأهدافهم في التحقيق. وللأمانة العلمية وجب القول أن للقوم باع طويل وعطاء وافر في هذا المجال تجسد في نشر العديد من البحوث وتقديم مئات من الأطروحات في تحقيق التراث الأندلسي الأعجمي[1]. ولأنه لا مجال للمقارنة بين ما أنجزه أولئك المستعربون في مجال تحقيق التراث الأندلسي الأعجمي وبين جهود عربية لا زالت في علم الغيب؛ فإن الاستفادة من هذه التجربة واستقراء المناهج المعتمدة فيها وتقييم مدى نجاعة آليات التحقيق المتبعة أصبح أمرا ملحا وضروريا مثلما هي ضرورية محاولة تجاوزها؛ حرصا على المراجعة وتمرسا على النقد وتطلعا إلى التجديد وبغية في التأصيل لرؤية علمية جديدة. فلعنا ندلي بذلك بدلو غير الذي أدلى به باحثون محنكون من الديار التي فيها نشأ هذا التراث الهجين وفيها صودر وفيها خبّئ ودفن، وفيها رأى النور.

والحالة هذه، كان لابد من تقديم تصور لما يمكن أن يكون عليه تحقيق الكتاب المخطوط الأندلسي الأعجمي من وجهة نظر عربية، حتى لو كان هذا التراث أعجميا. وهذا تصور الأول من نوعه نشأ من الرغبة في سد الفراغ ومن فكرة أن أساليب التحقيق الغربية للتراث الأندلسي الأعجمي ساعدت على إخراجه إلى النور إلا أنها في كثير من الأحيان لوت عنقه وفاقمت من غربته بل ويتمته. كما نبع هذا التصور من اليقين أن هذا التراث عربي أندلسي في انتماءه هويته ومصادره، ولا بد أن نراعي في ذلك أن آليات إحيائه وتحقيقه وضبطه يجب أن تتماشى مع كينونته وطبائعه. وهنا وجب السؤال: كيف يمكن الاستفادة من مناهج التحقيق عن العرب؟ هل يجوز لنا إنزال كل آليات تحقيق المخطوط العربي على واقع المخطوط الأعجمي كما بلورها الباحثون العرب؟ هل تؤخذ هذه الآليات كليا أم جزئيا وحسب ما تقتضيه طبيعة المخطوط الأعجمي؟ هل يساعدنا اختلاف المناهج في التحقيق في الانتقال من منهج إلى آخر وانتقاء آلية دون أخرى؟

**التراث الأندلسي الأعجمي: سياق واستباق**

ربما تكون خصائص الكتاب المخطوط الأعجمي وطبيعته هي التي حددت توجهات البحث العلمي فيما يتعلق بالتراث الأندلسي الأعجمي ولربما هي التي رسمت معالم المدرسة الإسبانية فيما يتعلق بمناهج التحقيق. وهذه الخصائص نفسها هي التي ستضبط تصورنا لمنهج عربي في تحقيق هذا المخطوط، لذلك كان من الضروري أن نستحضر الإطار

[1] هذا كان موضوع البحث الذي تقدمت به الباحثة للمشاركة في مؤتمر "النشر التراثي" بمركز المخطوطات بمكتبة بمكتبة الإسكندرية (5–7 مايو 2009)، وكان عنوانه: "*التراث* الأندلسي الأعجمي، مناهج النقل والتحقيق *والنشر* الأوروبية" (المدرسة الإسبانية نموذجًا)"

الزمني والواقع السياسي والحياة الدينية والحيثيات الاجتماعية التي عاش فيها أهل الأندلس المتأخرين المصطلح عليهم "بالموريسكيين"[1]، والتي مهدت لنشأة وظهور التراث الأندلسي الأعجمي[2]؛ وما ذلك من باب السرد التاريخي وإنما استقراء لمحطات ماضوية قد تنير درب وعينا الآني.

فزمنيا أو تاريخيا، لنا أن نسمي تلك الحقبة بعهد "ما بعد الأندلس"، كانت الخلافة الأندلسية قد غابت منذ قرون وزالت الدولة بعد سنين، وتلا ذلك الأفول السياسي سقوط الدويلات الواحدة ثم الأخرى، وتسليم آخر ممالك الأندلس. ظل العباد بعدها، وبعد اتفاقية التسليم -897هـ/1491م- إلى قرار التهجير -1025هـ/ 1616م- في البلاد ومعهم تكرر السؤال: أعندكم نبأ من أهل أندلس؟ ليتجدد عندنا على هذا النحو: أعندكم نبأ من تراث أهل أندلس؟

أما سياسيا، فلا وجود للأندلس بعدما قامت الدولة الإسبانية الحديثة مع الملكين الكاثوليكيين إيزابيل وفرناندو اللذان وقعا على وثيقة التسليم متعهدين بالحفاظ على دين وعادات وحقوق من بقي من أهل الأندلس في إسبانيا، والذين سموا آنذاك "بالمدجّنين". ومن بين ما نصت على الوثيقة: "عدم إكراه المسلمين على اعتناق المسيحية"، كما جاء في بندها الخامس والثلاثين . فهل لنشوة النصر بعد سنوات بل قرون من محاولات وضع حد لحكم المسلمين في شبه الجزيرة الإيبيرية -سميت في الروايات التاريخية الأخرى بحروب الاسترداد- أن تبشر بعهد جديد من التعايش؟ أم طبيعي أن تتلاشى تلك الوعود وتصير أثرا بلا عين بمجرد أن يصبح النصر مكتسبا؟ ثم إن "الغالب" وقد انتصر له أن يستبدّ، ولا يضره ذلك في شيء بل يعزز غلبته أن ينقض العهد الذي عاهد به "المغلوب" ويقطع ما كان يشكل بالنسبة إليه خطرا إذا استمر وتواصل. بعد ذلك، له أن يؤسّس لعهد جديد يضع فيه لبنات الدولة الحديثة ويثبت قواعد استئسادها ويرسخ طبائع استبداده ويستعين بالمحاكم ويفتش عن القوانين ويتخذ الإجراءات وينتهج نهجا ردعيا تفقيريا، ليس أقل

---

[1] قصدنا وضع كلمة "الموريسكيين" بين مزدوجتين حتى لا نخلط بين مصطلح ارتبط تداوله تاريخيا بسياقات وأنماط من التفكير هي التي ولدته، وبما يوافق تموقعها ونظرتها للمسلمين الذين بقوا في شبه الجزيرة الإيبيرية؛ حاله في ذلك كحال مصطلح "المدجنين"، وبين مصطلح ورد في المصادر التاريخية العربية: "الأندلسيون المتأخرون". وقد آثرنا تداوله لأننا لسنا في ذاك الموقع ولا حاجة لنا لاجترار المصطلح، ولأننا نعلم أن الانتماء إلى الأندلس لم يكن انتماء إلى الأندلس السياسي بل تعلق وجداني بما مضى من الأندلس. وكثير من مسلمي الأندلس المتأخرين كانوا يفتخرون كونهم من "أهل الأندلس" حتى بعد خروجهم من إسبانيا. انظر في ذلك "مختصر رحلة الشهاب إلى لقاء الأحباب" لأحمد بن قاسم الحجري الأندلسي.

[2] عرف هذا التراث عند المستعربين الإسبان وبعض الباحثين العرب "بالألخميادو"، أو "الألخميادية". وهذا تعريب لكلمة إسبانية -aljamiado- أصلها عربي: "الأعجمية"؛ وردت في المخطوطات الأندلسية الأعجمية مقابلة بما هو عربي، وفي إشارة إلى عملية الترجمة التي قام بها أولئك الأندلسيين من العربية إلى الإسبانية أو الكتابة باللغة الإسبانية التي تم نقلها بحروف عربية. فلماذا نعجّم مصطلحات هي في الأصل عربية؟ أما مصطلح "التراث الأندلسي الأعجمي" فقد وجدنا أنه الأحق والأنجع والأكثر دلالة على طبيعة هذا التراث. فهو رافد من روافد التراث الأندلسي العربي، بل هو امتداد له في كثير من مناحيه حتى وإن كان أعجميا، ولا يمكن إدراك كينونته والوعي بكثير من قضاياه إلا بربطه بأصوله العربية الإسلامية الأندلسية.

اختراقا من أي سياسة قد تكون أكثر نفوذا ونفاذا؛ تلك التي تمثلت في مصادرة المكتبات وإتلاف الكتب وحرقها؛ وملاحقة وتجريم كل من اقتنى كتابا عربيا أو احتفظ به أو تعلم اللغة العربية أو علمها أو حفظ آية أو بلغها عن النبي صلى الله عليه وسلم. كانت السلطات الإسبانية السياسية منها والدينية تعلم علم اليقين تلك الصلة الوثيقة بين اللغة العربية والدين الإسلامي والتي بينها الحق سبحانه في أكثر من موضع، إذ يقول جل وعلا: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾[1] وفي آية أخرى يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ نَزَّلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ﴾[2] ومن ثَمَّ، فإن عملية التنصير لآخر مسلمي الأندلس لن تؤتي أكلها ولن يكون لها أثر على حياتهم ونفسيتهم ومعتقدهم إلا إذا فكّ ذلك الارتباط. فهل تمت بالفعل عملية التفكيك تلك وكيف تبلورت؟

لنقل أن التواصل مع تراث الأجداد ظل قائما في جوهره، فكل صفحة من صفحات التراث الأندلسي الأعجمي تشهد على ذلك؛ والاستنتاجات التي وصلنا إليها في بحثنا هذا دليل على أن الارتباط لم يفك إلا في شكله وظاهره وبطريقتين: الأولى لنقل أنها تلقائية، فباستيلاء الإسبان على مناطق من الأندلس تدريجيا ووقوع مدن استراتيجية في أيديهم مبكرا كمدينة طليلطة على سبيل المثال-478هـ/1085م-؛ ثم بعدها أغلب مدن منطقتي قشتالة وأراغون ستضعف القدرة لدى أهل الأندلس على التواصل مع مكونات هويتهم العربية الإسلامية مع مرور الوقت وبشكل طبيعي؛ واللغة العربية ستكون أهم تلك المكونات وأولى الضحايا. هذا ما يفسر أن جل المخطوطات الأندلسية الأعجمية تم العثور عليها في أراغون بالتحديد، إذ سيتراجع ويندر تداول اللغة العربية لدى أهل الأندلس الباقين في تلك المنطقة كما في قشتالة، وسيغدو مستعصيا وشاقا عليهم تعلمها. ولن يكون بمقدور إلا القلة القليلة الحفاظ على ما بقي من التراث الأندلسي العربي والعمل على نقله وترجمته؛ على عكس ما سيحدث في بلنسية ومملكة غرناطة، فهذه آخر ممالك الأندلس واللغة العربية عند أهلها ظلت متداولة وحاضرة، حالها في ذلك كحال بلنسية. لذلك سيشهد أهلها طرقا قسرية وقوانين متشددة لحظر استعمالها. ولن يكون ذلك كافيا، إذ ستغدو إبادة المخطوط العربي الإسلامي هاجسا يتحقق بنكبة حرق المخطوطات العربية الإسلامية التي زخرت بها خزانة "مدرسة غرناطة"[3] في ميدان باب الرملة الغرناطية سنة 906هـ/1501م، ونالت المصاحف النصيب الأوفر من عملية الإتلاف والحرق تلك[4]. وسيبلغ ذروته سنة

---

[1] سورة النحل. الآية: 103

[2] سورة الشعراء. الآيات: 192-196

[3] عرفت "بالمدرسة اليوسفية" أو "دار العلم"، أسسها السلطان النصري يوسف الأول وتعبر مكتبتها من أزخر المكتبات في القرن الثامن الهجري، الرابع عشر الميلادي.

[4] نجد في بعض الكتب الإسبانية اعتراف وتفاخر بنكبة حرق المخطوطات العربية الإسلامية في باب الرملة بغرناطة. يقول أحد المستشرقين الإسبان: "فيما يخص الكاردينال شمينث [صاحب فكرة حرق المخطوطات العربية في غرناطة]، فقد أكدنا أن هجماته الوحشية طالت فقط القرآن وكتب إسلامية التي احتفظ بها المسلمون وموريسكيو غرناطة؛ وكان لابد من إتلافها حتى تتم عملية تنصير أولئك الغرناطيين أو ترسخ عملية التنصير تلك". (ترجمة الباحثة) انظر في: فرانسيسكو خبيير سيمونيت: شمينيث شنيروس والمخطوطات العربية الغرناطية.

974هـ/1567م لما أصدر فيليب الثاني مرسوما ملكيا في غرناطة كان سببا في اندلاع ثورة البشرات بين 975هـ/1568م و978هـ/1571م

ولا نجد بدا في سياق هذا البحث من ذكر أو التذكير ببعض بنود المرسوم المتعلقة بحظر اللغة العربية:

"- خلال ثلاث سنوات بدءا من الإعلان عن هذه البنود، يتوجب على الموريسكيين تعلم اللغة القشتالية.

ومنذ هذا التاريخ لا يجوز لهم الحديث بالعربية ولا القراءة ولا الكتابة بها سرا أو علنا. كل العقود والوثائق المكتوبة بالعربية لا قيمة ولا صلاحية لها ابتداء من الآن، ولا يمكن الاعتماد عليها في القضاء ولا خارجه، ولا يمكن بمقتضاها الإدلاء بأي طلب كان، إذ لا صلاحية لهذه الوثائق. يجب أن تسلم كل الكتب العربية المكتوبة بالعربية، كيفما كان محتواها أو قيمتها إلى رئيس المحكمة الملكية بغرناطة خلال ثلاثين يوما حتى تقرأ وتفحص ويتحقق منها؛ فما يصلح منها يرد إلى أصحابها وتظل في حوزتهم ثلاثة سنوات لا أكثر"[1]

وقد روى لنا لنا محمد بن عبد الرفيع المرسي الأندلسي بعد إقامته في تونس مغامرة تعلم اللغة العربية، ولنقل بشكل أدق تعلم الحروف العربية، وكيف، موازاة لذلك، تفنن وبرع في طرق كتمانها وأساليب نكران تعلمها، إذ يقول: "...أطلعني الله على دين الإسلام بواسطة والدي رحمة الله عليه وأنا ابن ستة أعوام وأقل، مع أني كنت إذ ذاك أروح إلى مكتب النصارى وأقرأ دينهم ثم أرجع إلى بيتي فيعلمني والدي دين الإسلام فكنت أتعلم فيهما معا وسني حين حملت إلى مكتبهم أربعة أعوام. فأخذ والدي لوحا من عود الجوز كأني أنظر إليها مملسا من غير طفل ولا غير فكتب لي فيه حروف الهجاء وهو يسألني حرفا حرفا عن حروف النصارى تدريبا وتقريبا، فإذا سميت له حرفا عجميا كتب لي حرفا عربيا فيقول لي حينئذ هكذا حروفنا حتى استوفى لي جميع حروف الهجاء في كرتين فلما فرغ من الكرة الأولى أوصاني أن أكتم ذلك حتى عن والدتي وعمي وأخي وجميع قراتبنا وأمرني أن لا أخبر أحدا من الخلق ثم شدد علي الوصية وصار يرسل والدتي إلى فتسألني ما الذي يعلمك والدك فأقول لها لا شيء فتقول أخبريني بذلك ولا تخف لأني عندي الخبر بما يعملك فأقول لها أبدا ما هو يعلمني شيئا وكذلك كان يفعل عمي وأنا أنكر أشد الإنكار ثم أروح إلى مكتب النصارى وآتي إلى الدار فيعلمني..."[2]

سيفرز هذا الوضع تموقعا جديدا ومتباينا لدى الأندلسيين المتأخرين؛ الغرناطيون ومن بقي من أهل الأندلس في شبه الجزيرة الإيبيرية. منهم من ظل تحت حكم النصارى ومنهم من آثر الهجرة ومنهم من هُجِّر، ومنهم من ثارت ثورتهم ومنهم من تظاهر بالتنصير. وبين هذا وذاك سعي وإصرار على إيجاد مخرج ما استطاعت السلطات الإسبانية آنذاك التكهن بوجوده ولا استبقت ظهوره؛ فاستبقوا هم مكرها وباغتوها وجاؤوا بما لم تكن تحتسب لما أبقوا على كتبهم

---

Francisco Javier Simonet, Ximenez de Cisneros y los manuscritos arábigo-granadinos, Imprenta de la lealtad, Granada, 1885.

[1] L. Mármol Carval, Castigo y Revelión de los moriscos. Ed. Arguval, Madrid, 1987
مارمول كربخال: ثورة الموريسكيين وحملاتهم. ص. 67 (ترجمة الباحثة)

[2] مخطوطة كتاب الأنوار النبوية في آباء خير البرية، الخزانة العامة بالرباط. رقم 1238

ملفوفة ومحفوظة بين جدران منازلهم حتى العودة؛ مكتوبة بلغة أعجمية هجينة، حروفها عربية وما هي بالعربية، مرجعيتها إسلامية حتى وإن كانت مذبذبة مهلهلة، وآلياتها الفكرية والمعرفية ضعيفة هزيلة. فبدت "تغريبتها الأندلسية" في محاولة وجهد لترميم الهوية وتأصيل الانتماء وتوثيق الصلة بالقرآن الكريم والسيرة النبوية والتراث العربي الإسلامي سنة من سنن التدافع بين البشر.

واعتبار للقول بأن "التراث العربي المخطوط كله تراث إسلامي (باستثناء ما أنتجه العرب غير المسلمين وهو لا يمثل إلا نسبة ضئيلة جدا من هذا التراث) والعكس غير صحيح، فليس كل التراث الإسلامي عربيا، ذلك أن شعوبا إسلامية كثيرة احتفظت بلغاتها الأصلية أو ارتدت إلى تلك اللغات بعد فترة من استعمال اللغة العربية كلغة ثقافية والتعامل اليومي، ومع مرور السنين تجمع لدي تلك الشعوب تراث إسلامي مكتوب بلغاتها المحلية كالتركية والفارسية والأردية وغيرها من اللغات الشرقية"[1]، فإن التراث الأندلسي الأعجمي هو كله تراث إسلامي وجزء منه عربي.

**نحو تحقيق المخطوط الأندلسي الأعجمي: الإرهاصات الأولية**

قصة المخطوطات الأندلسية الأعجمية عجيبة وفريدة، فقد كتبت في الخفاء وظلت في الخفاء لقرون عديدة بعدما أودعها أهلها جدران منازلهم خشية على أنفسهم من الملاحقة وخوفا عليها من الوأد والتلف، وأملا في استرجاعها يوما إذا ما عادوا أو تبدلت أحوالهم. لم تتحقق العودة عند كثير منهم ولم تتبدل الأحوال لدى الأغلبية، فشاء الله تعالى أن ترى تلك الودائع المخطوطة النور انهارت الأعمدة وسقطت الجدران إثر عمليات هدم الأبنية أو إصلاحها أو ترميمها. الكثير منها كانت قد قضت عليها الرطوبة والأرضة، وبعضها كان مصيره النار التي نجت منها قرونا خلت، إذ وصلتنا بعض الروايات تقول أن العمال والبنائين وجدوا فيها ما يعوضهم عن الحطب في حاجتهم للتدفئة. أما وهي بين يدي المستعربين الإسبان فقد ظلت غريبة عنهم في بداية الأمر وظنوا أنها مخطوطات تركية أو عبرانية أو فارسية، إلى أن انجلى غبار الزمن عنها وعرفوا أنها كتبت بلغتهم وإن دوخهم تعايش لغتهم مع اللغة العربية؛ فأضحت تلك المخطوطات في القرن العشرين والواحد والعشرين ذخيرة ثمينة يتسابق إليها المتخصصون وتتهافت عليه عليها المؤسسات العلمية وتعتني بها وترعاها جهات رسمية حق رعايتها، بغض النظر عن القصد والمراد من تلك العناية. والغريب في الأمر أن الديار التي عاشت فيها المخطوطة العربية والأعجمية محنتها تلك ستتحول إلى مأوى لتلك المخطوطات والمكان الذي تحيى فيه من جديد. وإننا، وبالمناسبة، لنضع علامة استفهام أمام مآلات تلك المخطوطات إن هي أتت إلى ديارنا مرافقة لأهل الأندلس في هجراتهم إلى المغرب. أكنا سنكرمها ونحن أهل كرم؟ أكانت ستلقى منا كل الترحيب والعناية وإن خطت بالعجم؟

لقد كان لاكتشاف وظهور المخطوطات الأعجمية دور كبير في إنعاش حركة الاستعراب الإسباني في القرن التاسع عشر وإذكاء روح جديدة فيها. وأتت البدايات الأولى في تحقيق ودراسة ونشر المخطوطات الأعجمية بعد اكتشافها والتعرف عليها كخطوات تم خلالها فك شفرة تلك المخطوطات وفرزها ونقلها وتجميعها وتصنيف مضامينها ووصف

[1] عبد الستار الحلوجي، *المخطوطات و التراث العربي*، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 2001، ص. 44

خصوصياتها ووضع قوائم وفهارس أولية لها؛ فكانت تلك فترة استئناس وتعريف ونشر أولي مهدت لمراحل لاحقة توسع فيها البحث في مجال التراث الأعجمي وتطورت أساليبه العلمية والفكرية والمعرفية.

ولعلنا نلمس أهمية ذلك الاكتشاف من كيفية تعاطي بعض المستعربين مع المخطوطات الأعجمية علميا وأكاديميا، إذ أضحت هذه محورا لبحوث ودراسات تقدم بها هؤلاء أثناء التحاقهم بمؤسسات علمية وأكاديمية بارزة؛ كما هو الحال عند إدواردو سأبيدرا الذي اعتمد في بحثه لولوج الأكاديمية الملكية للتاريخ سنة 1878 على دراسة مسحية للمخطوطات الأعجمية وتقديم وصف لمحتواها.[1]

ولنا في بسكوال غيانغوس مثال آخر على ذلك، فقد كان من المستعربين الأثرياء؛ عرف بولعه بجمع الكتب والمخطوطات وكانت بحوزته مخطوطات عربية وأعجمية يقال أنه اشتراها في تونس، وهي اليوم موزعة بين المكتبة الوطنية الإسبانية ومكتبة الأكاديمة الملكية للتاريخ. أما تلميذه المستعرب الإسباني فرنسيسكو دي قوديرة فقد كان يملك مخطوطات أعجمية عديدة حصل عليها حينما أرسل في مهمة من طرف الأكاديمية الملكية للتاريخ للبحث والتنقيب واقتناء مخطوطات عربية في دول شمال إفريقيا، خاصة الجزائر وتونس وقد أرخ لهذه الرحلة سنة 1892 تحت عنوان: "مهمة تاريخية في الجزائر وتونس".[2]

وقد رافق إخراج النصوص الأعجمية و"تحقيقها" وطبعها إعداد مجموعة من الفهارس التي كان الهدف منها ترتيب المادة المكتشفة وتوفير معلومات أولية وبيانات حول المخطوط للباحث المحقق. ففي سنة 1889 أعد المستعرب غيين روبليس فهرسا للمخطوطات العربية الموجودة بالمكتبة الوطنية والذي يتضمن كذلك قائمة للمخطوطات الأعجمية[3]. وفي سنة 1912 أشرف كل من آسين بلاثيوس وخوليان ريبيرا على فهرس للمخطوطات الأعجمية كان أعدها تلامذتهما في المجمع.[4]

وقد ظهرت مشاريع إعادة فهرسة ما كان قد فهرس من قبل، على أساس فصل المخطوطات العربية عن المخطوطات الأعجمية؛ كفهرس مخطوطات المكتبة الملكية للتاريخ الذي صدر سنة 1994، وكان هدفه تحديث طريقة الفهرسة تزويد المحقق بقاعدة بيانات حول المخطوط بالإضافة إلى تحديث طريقة الفهرسة وتمكين الباحث من معلومات بيبليوغرافية حول المخطوط المطبوع، من إسم المحقق أو المحققين، مكان وتاريخ الطبع، رقم الطبعة...إلخ. كما تم إعادة طبع فهرس المخطوطات الموجودة في المجلس الأعلى للأبحاث العلمية في مدريد سنة 1998 وهذه المرة في شكل أقراص مدمجة.

---

[1] Eduardo Saavedra Moragas, Discurso leído ante la Real Academia Española,: La literatura aljamiada. Compañía de Impresores y Libreros, Madrid, 1878.
Eduardo Saavedra Moragas, "Indice general de la literatura aljamiada", Memorias de la Real Academia Española, 6, 1889, 140-328

[2] Codera y Zaidín, F., Misión histórica en la Argelia y Túnez: trabajo leído ante la Real Academia de la Historia, Madrid Fortanet, 1892, pp. 206

[3] Francisco Guillén Robles, Catálogo de los manuscritos árabes existentes en la Biblioteca Nacional de Madrid, Manuel Tello, Marid, 1889

[4] Julián Ribera & Miguel Asín Palacios: Manuscritos árabes y aljamiados de la Biblioteca de la Junta para la ampliación de estudios, Madrid, 1912

وتتبنى الحكومة الإسبانية اليوم مشاريع فهرسة أو إعادة فهرسة المخطوطات الأعجمية الموجودة في كل المؤسسات والمعاهد بتنسيق مع الجهات الأكاديمية والعلمية والجامعية. وهناك جهود جادة وحثيثة لإعداد مكتبات رقمية توفر للقارئ إمكانية الوصول لهذا التراث دون أي عناء. ومن الإنصاف التنويه بالتسهيلات والإمكانات التي توفرها المكتبات والمؤسسات المحتضنة أو الجامعة لهذا التراث؛ فالوصول اليوم إلى هذه المخطوطات ليس بالأمر العسير، حتى بالنسبة للقارئ العربي، بدءا من إمكانية معاينة المخطوط نفسه إلى الحصول على نسخ منه، حتى عن بعد.

لا شك أن بدايات القرن العشرين شهدت منعطفا نوعيا وتحولا هاما في مجال "تحقيق" المخطوط الأندلسي الأعجمي بانتقال مجموعة قيمة من المخطوطات من المكتبات الخاصة ومن أيدي نخبة من المستعربين إلى المؤسسات العلمية والجامعات والمعاهد لتصبح في متناول الباحثين وطلبة الدكتوراه والمتخصصين في الكتاب المخطوط الأندلسي الأعجمي. ففي سنة 1910 اقتنى ما كان يعرف آنذاك بالمجمع العلمي للدراسات الموسعة مجموعة نادرة من المخطوطات الأعجمية التي كانت في حوزة المستعرب بابلو خيل، وهذه المخطوطات هي الآن من كنوز مكتبة المجمع الذي تحول منذ سنة 1939 إلى مؤسسة علمية قيمة في إسبانيا تعرف الآن بالمجلس الأعلى للأبحاث العلمية، وهي من المؤسسات الرئيسية الحاضنة للمخطوطات الأندلسية الأعجمية.

إن تجربة البحث في التراث الأندلسي الأعجمي مكنتنا من رسم خريطة للمواقع التي تتواجد بها المخطوطات الأعجمية نذكر أهمها: المكتبة الوطنية الإسبانية ومكتبة الأكاديمية الملكية للتاريخ ومكتبة المجلس الأعلى للبحوث العلمية؛ وكلها موجودة بمدريد. وهذه المؤسسات تتوفر على ما يقرب ثمانين بالمائة من مجمل المخطوطات الأعجمية. وتجدر الإشارة إلى أن كل هذه المؤسسات قامت برقمنة جميع المخطوطات الأعجمية، وبعض منها وضع رهن الباحث عبر الشبكة، كالمكتبة الوطنية والمجلس الأعلى للأبحاث العلمية بمدريد. ولا يغنينا هذا العدد عن الاطلاع على باقي المؤسسات الخاصة والعامة في إسبانيا والتي تتوفر عدد لا بأس به من المخطوطات الأعجمية كأرشيف الوثائق التاريخية لبرلمان أراغون في سرقسطة ومكتبة قشتالة–لامنشا بطليطلة والمكتبة الكاطالونية ببرشلونة. هذا، بالإضافة إلى مؤسسات أوروبية أخرى كالمكتبة الوطنية في باريس ومكتبة كامبريج البريطانية على سبيل المثال لا الحصر. تشير الإحصاءات أنه هناك ما يقرب ثلاثمائة كتاب مخطوط أعجمي.

ليس غريبا في مثل هكذا نهضة أن يصبح هذا التراث مادة وهدفا للعديد من البحوث والأطروحات الجامعية. وعلى إثر ذلك فقد صدرت أول سلسلة تعنى بـ "تحقيق" ونشر ودراسة هذه المخطوطات دراسة علمية ولسانية، عرفت بسلسلة الأدب الأعجمي الموريسكي CLEAM، وقد تكلفت دار النشر المعروفة في الأوساط العلمية الإسبانية Gredos بنشر العديد من النصوص الأندلسية الأعجمية منذ سنة 1970.

**آليات تحقيق المخطوط الأندلسي الأعجمي عند المستعربين الإسبان**

**التحقيق بغير لغة الكتاب المحَقَّق؟**

اعتبارا لكل هذه الجهود في دراسة ونشر المخطوطات الأعجمي نستطيع القول أن للاستعراب الإسباني باع طويل في هذا المجال؛ يعد، بشكل من الأشكال، امتدادا لمساره ولتجربته الطويلة كذلك في تحقيق التراث العربي، خاصة التراث الأندلسي؛ لما يمثل هذا التراث تاريخيا وفكريا ووجدانيا. وفي هذا الصدد نوافق رأي الأستاذ عبد الواحد العسري الذي يقول فيه: "وإذا كان من بواعث اطلاع الفكر الاستشراقي على متون التراث العربي وتحقيقه ودراسته ونشره، الحاجةُ الملحة إلى صياغة الذات الغربية لغيريتها الشرقية وتشكيلها تشكيلا يوطد وجودها الذاتي ويجذر امتدادها التاريخي ويدعم توسعها الثقافي والديني، فإن الاستعراب الإسباني في استقرائه ونشره للتراث العربي الأندلسي يعد حلقة استثنائية خاصة، لما تمثله الغيرية الأندلسية في تاريخ الاستعراب الإسباني؛ إذ هي جزء لا يتجزأ من تطور الذات الإسبانية عبر التاريخ وفي نفس الوقت، تشكل نقيضا لها فكرا وثقافة ودينا."[1]

في اعتقادنا، تزداد هذه الحلقة استثناء وتميزا، بل وتعقيدا أثناء عملية تحقيق الكتاب المخطوط الأندلسي الأعجمي؛ فنحن أمام تراث نشأ وترعرع في سياق تاريخي معقد، أفرز معه كل مظاهر التجاذب والصراع بين الأنا والآخر، فتأرجحت مكوناته المتنافرة والمتجانسة بين ما هو ذاتي وغيري وتجسدت فيه عناصر مستصاغة ومرفوضة في نفس الوقت.

وإذا كان الأمر كذلك، هل رأى المستعربون الإسبان في هذا التراث ما يميز ذاتهم الغربية عن غيريتهم الشرقية، بل وغيريتهم الغربية، تلك التي جاء التعبير فيها بلغتهم؟ هل كان إقبالهم على هذا التراث من باب القبول المشروط والمؤكد لذاتيتهم؟ وهل جاءت جهودهم في تحقيق المخطوطات الأندلسية الأعجمية حليفة وموالية "للأسبنة" التي رأوها تتخلل سطور تلك المخطوطات.

هذه الأسئلة تستوجب الوقوف عند سؤال محوري آخر: هل في هذا السياق يتوافق مفهوم التحقيق مع ما ألف المحققون تسميته واعتباره تحقيقا؟ وهل سيختلف التحقيق باختلاف طبيعة النص المحقق، كونه في هذه الحالة أعجميا؟ يقول المستعرب الإسباني لويس مولينا في تحقيق المخطوط العربي: "من الصعب أن تجد مستعربا لا يقبل بفكرة أن الهدف المنشود في تحقيق مخطوط هو تمكين القارئ من نص صحيح. وفي نفس الوقت فإن تعريفنا لما هو " الصحيح" هي مسألة مثيرة للاختلاف والجدل بين أولئك الذين ينظرون إلى مفهوم "الصحيح" من منطلق تأثيلي لكلمة صحيح؛ يمنح المحقق الحق في تصحيح كل ما يعتبره خطأ ومن أي وجهة كانت وبين من يعتبرون أن "التصحيح" يكمن في الحرص الشديد على احترام ما جاء في المخطوط الذي نتوخى تحقيقه.[2]

وهذا تعريف ليس بمناف ولا بعيد عن مفهوم أو بالأحرى عن مفاهيم التحقيق كما طرحها كثير من الباحثين والمحققين العرب. يقول الدكتور بشار عواد بهذا الخصوص: "يهدف علم تحقيق النصوص إلى تقديم النص صحيح

---

[1] عبد الواحد العسري: "الفكر الإسلامي بالأندلس في تصورات الاستشراق الإسباني الحديث: ملحوظات واقتراحات" في : *الأندلس: قرون من التقلبات والعطاءات*. مكتبة الملك عبد العزيز، الرياض، 1996، ص. 274

[2] Molina; Luis, Consideraciones sobre la edición de manuscritos árabes, Al-Qantara: Revista de estudios árabes, V. 19, Fasc. 2, 1998, pp. 383-392

مطابق لما كتبه مؤلفه وتوثيقه نسبة ومادة، والعناية بضبطه وتوضيح دلالاته التي قصدها مؤلفه. وحين بدأ العرب يعنون بتحقيق المخطوطات العربية ونشرها ظهر رأيان في الطريقة التي يتعين اتباعها عند نشر التراث العربي، الأول: يرى الاقتصار على إخراج النص مصححا مجردا من كل تعليق، والثاني: يرى أن الواجب يقضي توضيح النص بالتعليق على كل صغيرة وكبيرة توضح النص حتى يكون كالشرح لذلك النص"[1]

في المقابل، نرى أن الالتزام بهذا المفهوم المجمع عليه غربيا وعربيا يكاد يكون نادرا بل غائبا في كثير من البحوث والرسائل الجامعية والأطروحات التي عكفت على "تحقيق" المخطوط الأندلسي الأعجمي. وما جرى العمل به وتسميته بـ "التحقيق" هو تبديل اللغة الأعجمية الهجينة المكتوبة بحروف عربية بلغة أعجمية منقولة بحروف لاتينية. وبالطبع، فإن عملية التحويل هذه لم تقدم النص "صحيحا" أي كما هو، بل غيرته وبدلته لمقتضيات تتعلق بطبيعة البحث والتوجهات العلمية والفكرية المعتمدة لدى أولئك المستشرقين والمستعربين في دراستهم للتراث الإسلامي عامة والتراث الأندلسي الأعجمي خاصة. وقد علت أصوات من داخل هذه المدارس متساءلة عن نجاعة وجدوى هذا النهج. تقول المستعربة كارمن برثلو: "البحث عن الطريقة المثلى لنسخ هذه النصوص هو موضوع مفتوح للجدل ولم يحسم بعد. يشوب المسألة في جوهرها كثير من التشويه حينما لا يبقي المحقق على الحروف التي تم بها نقل تلك المخطوطات، أو اتباع قواعد نسخ النص العربي وتحقيقه."[2]

هذا الميل إلى التحويل بدل التحقيق يعود، في اعتقادنا، إلى إرث فكري وإلى علاقة جدلية طبعت تعامل المستعربين الإسبان مع النصوص العربية عامة والأندلسية خاصة. كما أننا لا نستثني في ذلك عوز الكثير منهم فيما يخص تمكنهم من اللغة العربية، وعدم قدرتهم على التعامل مع التراث العربي في أصله، أي باللغة العربية؛ فكانوا يضطرون إلى "القراءة" والتأويل أحيانا للعبور إلى النص المترجم مباشرة. وفي سياق التراث الأندلسي المسألة أيسر وأسهل، ففي عملية التحويل هذه يكفي أن يقوم "المحقق بتبديل حروف عربية بحروف لاتينية حتى تتجلى ملامح لغته هو!

وإننا لنجد بعض المستعربين ينقلون هذه المخطوطات كما هي وبخط اليد كما فعل المستعرب خوليان ريبرا. وكان لجوؤه إلى هذه الطريق كوسيلة لتسهيل تعلم اللغة العربية. فبعد التحاقه بقسم اللغة العربية بجامعة سرقسطة كأستاذ كرسي قام سنة 1888 تحت إشراف بابلو خيل بنشر مجموعة من المخطوطات الأعجمية تحت عنوان: "مجموعة

---

[1] بشار عواد معروف، في تحقيق النص. أنظار تطبيقية نقدية في مناهج تحقيق المخطوطات العربية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2004، ص. 341

[2] Carmen Barló Torres, "Galmés de la Fuente, Álvaro (1998): Los manuscritos aljamiado-moriscos de la Biblioteca de la Real Academia de la Historia (Legado de Pascual Gayangos). Madrid RAH, 234 p", en Estudis romànics, 23 Barcelona, 2001, pp. 271-274.

انظر كذلك: Xavier Casassas Canals, La edición de manuscritos romances aljamiado-árabes: Una propuesta de edición en capas.
www.casassas.net/articles/edicion_manuscritos%20romances_aljamiado_arabes_mudejares_moriscos.pdf

[18] Julián Ribera, Colección de textos aljamiados, Zaragoza 1888

نصوص أعجمية"؛ وقد علل طريقة النشر هاته في مقدمة الكتاب بالقول: "آثرت نقل هذه المجموعة بخط اليد لعدم قدرتنا على طبع الحرف العربي، ولو كا بإمكاننا القيام بذلك لفعلنا حتى نشجع على البحث من خلال المخطوط الأصلي. ولأن طباعة هذه المجموعات يكون عادة بالإسبانية وجدنا أن نقل هذه النصوص باليد هي الطريقة المثلى التي تخدم الأهداف التي نتوخاها؛ إذ تمكننا من المحافظة على الحروف الموجودة في المخطوط، خاصة وأن قراءة النصوص المطبوعة لا توفر لنا قراءة سهلة ويسيرة"[1]

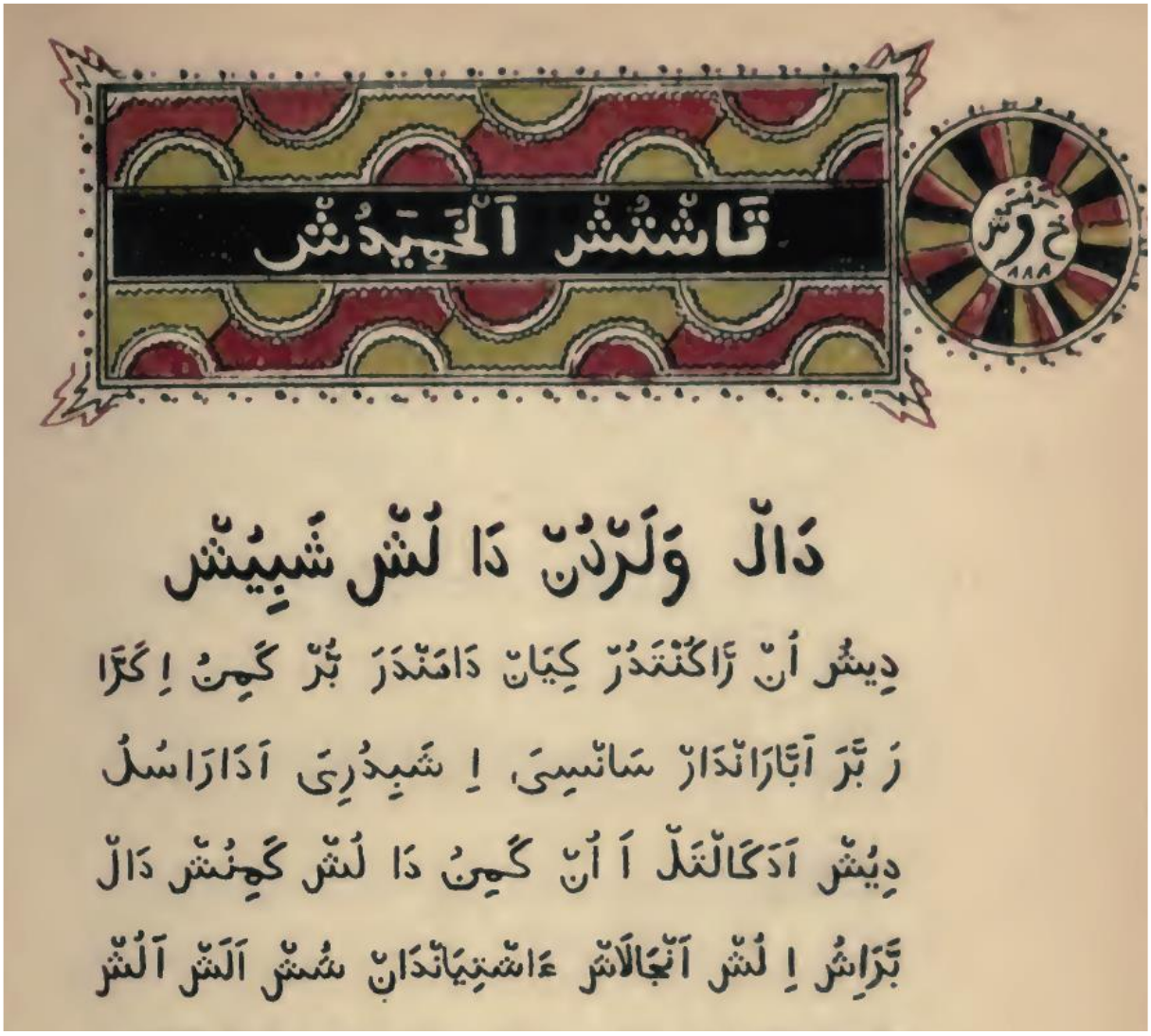


**هواجس لسانية وفلولوجية**: لم تلقn المخطوطات الأندلسية الأعجمية اهتماما من قبل المستعربين الإسبان فحسب، بل عكف على دراستها متخصصون في الدراسات الإسبانية. وللقارئ أن يتساءل: ما علاقة المتخصص في هذه الدراسات بالمخطوط الأندلسي الأعجمي؟ أيحدث ذلك من باب التوجهات العلمية المتعددة التخصصات؟ صحيح

أن هذا الاهتمام يثير كثيرا من الغرابة، خاصة وأن تلك المخطوطات تحولت في الدراسات الإسبانية الروماثينة romances إلى مطية ليس إلا، أي إلى مختبر علم الأصوات من خلاله تقاس وتبين فيها مراحل وملامح تطوراللغة الإسبانية آنذالك، ويسجل التذبذب اللغوي في الرومانثية قبل ثبوت قواعد النطق فيها وترسيخ المنظومة الصوتية لديها في أواخر القرن السادس عشر. بل إن التحقق من تاريخ تأليف المخطوط أو نسخه ارتبط بدراسة المظاهر الصوتية في النص الأعجمي، إذ من خلال استنتاجات الباحث الفونولوجي نستطيع أن نحدد الإطار الزمني للكتابة أو النسخ.

-**التداخل اللغوي بين العربية والإسبانية في االمخطوطات الأعجمية:** إننا لنعتبر أن هذه من أهم الظواهرالمتشكلة في الكتابة الأعجمية، لما تحمله من أبعاد لغوية وثقافية ودينية؛ فلقد كان لتأثير اللغة العربية في الإسبانية فضل في أن تكون لهذه اللغة خصوصيات لغوية وصوتية وثقافية جعلتها متميزة عن باقي اللغات اللاتينية الأوروبية، لكن تأثر الرومانثية بالعربية أعطى لنا تجربة فريدة في توافق وتجانس منظومتين لغوتين كان من المفروض أن تفرق بينهما عهود من الصراع الديني والاحتقان الاجتماعي والتصادم الفكري. وما نعنيه هنا من تداخل بين العربية والإسبانية لا يتعلق فقط باستعمال الحرف العربي للتعبير عن الرومانثية، بل في إدراج كثير من الكلمات والعبارات التي رفض الموريسكيون ترجمتها إلى الرومانثية، إضافة إلى نسخ تراكيب نحوية وألفاظ ذات مدلول عربي إسلامي. ولذلك، فهناك العديد من التراكيب ستعتبر في سياق اللغة الرومانثية مستهجنة وغريبة ودخيلة ولا يمكن فهمها إلا بإدراك آليات هذا التطويع اللغوي والدلالي لصالح اللغة العربية.

ولأهمية هذا الموضوع، اهتم الباحثون الإسبان بتأثيرات اللغة العربية في الأعجمية الأندلسية اهتماما يكاد ينحصر على الجانب اللغوي. ومرد ذلك أن بعض الدارسين للتراث الأندلسي الأعجمي تخصصوا في فقه اللغة الإسباني وتمكنهم من اللغة العربية وأصولها وعلومها وفروعها وتشكلاتها يشوبها الكثير من النقص. وحتى في حال بعض الدراسات الاستعرابية الموفقة في هذا الجانب، تبقى المسألة مجرد مقاربات لا ترقى إلى مفهوم تحقيق النص وإلى منهجية ضبطه وقواعد التعليق عليه. وفي سياق استحداث الأندلسيين المتأخرين للكلمات ذات أصل عربية والمصطلحات الأعجمية المستعربة تم تذييل جل البحوث لنشر ودراسة المخطوطات الأندلسية بفهرس يقوم بتخريج كل هذه الكلمات والعبارات في الكتاب المخطوط الأعجمي.[1]

ونجد في العقود الأخيرة اهتماما متزايدا بأحد الجوانب الحديثة والمستجدة في تحقيق المخطوط وهي ما اصطلح عليه بالكوديكولوجيا أو علم المخطوط. فالألوان والزخارف والخط والمداد والتوريق والتجليد هي عناصر مادية حرص علم المخطوط على سبر أغوارها في مقاربة لصنعة الكتاب المخطوط وكجزء لا يتجزأ من عملية تحقيق المخطوط. وتكتسي هذه الجوانب المادية في المخطوط الأندلسي الأعجمي طابعا خاصا، فصنعة الكتاب المخطوط كان قد أصابها ما

[1] تم نشر فهرس جامع لهذه الكلمات Galmés Fuentes, A., M. Sánchez Alvarez, M., Villaverde Amieva, J.C., Vespertino Rogdríguez, A., Glosario de voces aljamiado-moriscas, Biblioteca Árabo-Románica, Rodríguez, A Oviedo, 1994

أصابها وكادت تندثر في السياقات التي ذكرناها. وقد حرص بعض الباحثين الإسبان على إدخال المخطوطات العربية والأندلسية الأعجمية المختبر وإخضاعها لتجارب عبر تقنيات رقمية تساعد على حفظ المخطوط وترميمه[1]

ولا بد من التأكيد على أنه إذا كان جانبا من مفهوم تحقيق النص، أي تقديم النص مطابقا لما أراده مؤلفه، هو الحلقة الأضعف في اهتمام المستعربين بالتراث الأندلسي الأعجمي فإن توثيق النص نسبة ومادة تعد من المحاور الأبرز في دراسة المستعربين للمخطوط الأعجمي الذي يمكن تصنيفه ضمن "المخطوطات المجهولة" بامتياز؛ إذ قلما توفرت على عنوان المخطوطة وإسم المؤلف أو الناسخ وتاريخ التأليف أو النسخ. وفي هذا السياق، انصبت جهود الباحثين على محاولة توثيق النص وإعادة بنائه وترميمه وكتابة تاريخه والتحقق من نسبته ضمن ما يطلق عليه بالنقد النصي. وهذه قضايا طرحت عند كثير من الباحثين بجدية وتجاوزت الرغبة في التعليق على النص أو "توبلته" لتتحول إلى دراسات مستقلة قائمة بذاتها، ضحت بتقديم النص كما كتب مؤلفه في سبيل تجاوز كثير من الثغرات التي ظلت عالقة بالمخطوط الأندلسي الأعجمي بسبب الظروف التي كتب فيها.

من جهة أخرى، لمسنا نزوعا في بعض الدراسات والأطروحات الجامعية إلى مزج التحقيق بالتحليل، حيث تخصص أجزاء وفصول طويلة في بحوث التحقيق لتحليل المخطوط الأندلسي تحليلا ونقدا أدبيا، تدرس فيه الشخوص والإطار الزمني والأمكنة كأنه نص أدبي. ولعل اعتبار التراث الأندلسي الأعجمي أدبا أعجميا قد أثر في تكريس النزعة النقدية الأدبية في المخطوطات الأندلسية الأعجمي. ويبقى التساؤل مطروحا: هل حينما كتب أولئك الأندلسيين تراثهم في محنتهم كانوا يرون فيها خطابا أدبيا قد يستدعي تحليل مكوناته من وجهة نظر نقدية غربية أو مفتعلة؟

**نحو منهج تقويمي في تحقيق التراث الأندلسي الأعجمي**

إن مفهومنا لتقويم المنهج في تحقيق التراث الأندلسي الأعجمي يجب أن يأخذ بعين الاعتبار رؤى عربية في تحقيق التراث العربي أو على الأقل بعض منا. أولا لأن كثير من العناصر المؤسسة والمشكلة لهذا التراث هي عناصر إسلامية عربية في جوهرها، وثانيا أن التعامل مع هذا التراث بآليات ليست من جنسه يزيد من غربته ويناقض مبدأ تقويمه. يقول المفكر طه عبد الرحمن: "والتحقيق أن ما نقل عن الغير نقلا وأنزل على التراث إنزالا، بدعوى "الموضوعية" و"السببية" و"الإجرائية" وما أشبه ذلك، ليس إلا إمكانا واحدا تضاهيه إمكانات متكاثرة، إذ يجوز مبدئيا أن تكون هناك منهجية غير المنهجية المنقولة، قادرة على تحقيق مرادنا في التقويم بطريق أفضل من طريق المنهجية التي شاع استعمالها بين النقاد والدراسين؛ وإذا كان لا بد، للنهوض بممارسة التراث، من أن نقتبس منهجية مخصوصة، فالأولى

---

[1] انظر على سبيل المثال لا الحصر: Gemma Avenoza, Anna Alberni, Javier del Barco, Nuria Martínez de Castilla & Lourdes Soriano Robles. Codicología y edición de textos, en "literatura medieval y renacentista en SEMYR, Salamanca, 2012, pp. 221-241

أن نقتبس المنهجية التي أنتجتها هذه الممارسة في أيقظ عصورها مع فتح الباب لتنقيحها بحسب الحاجة، بدل أن نقتبس غيرها، لأن أسباب الاتصال مع تراثنا متوافرة، بينما لا تتوافر هذه الأسباب مع غيره."[1]

وفي صدارة هذا "الاقتباس التقويمي" نتشبث في ممارستنا لتحقيق النص الأندلسي الأعجمي بمبدإ نسخه وتقديمه كما كتبه مؤلفه وضبطه شكلا كذلك؛ حتى وإن كانت غريبة على القارئ العربي. ونستطيع أن نجزم أنها أول خطوة من نوعها في تاريخ تحقيق هذا التراث، ارتأيناها أن تكون على هذا النحو وكما في هذا النموذج:

صورة من النسخة الأصل:

[1] طه عبد الرحمن، تجديد المنهج في تقويم التراث، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2001، ص. 19

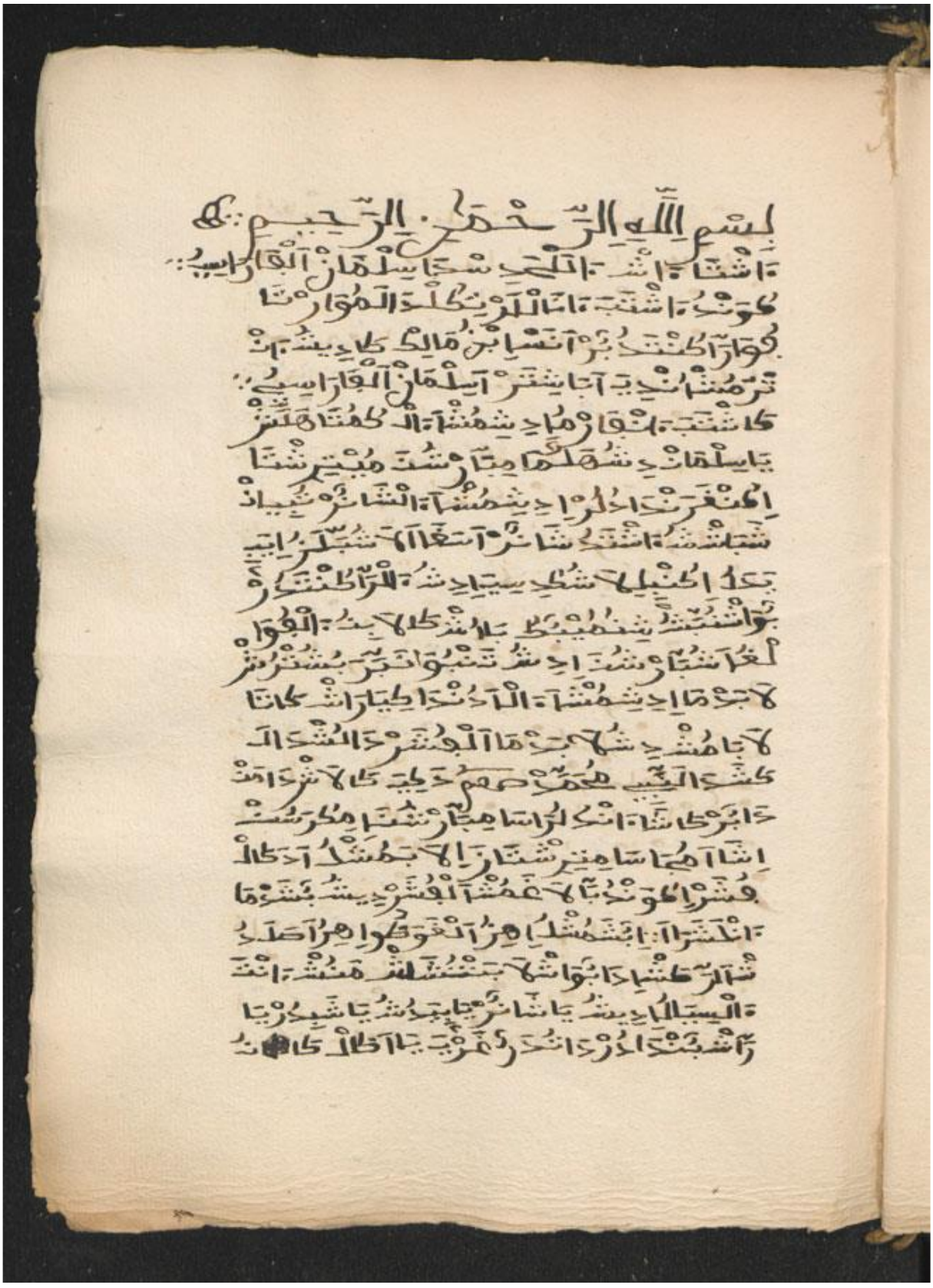

بسم الله الرحمن الرحيم
انشا الله تعالى شيخا سلمان الفارابي
كونده اشتبه اما الذي يكلد الموارنا
بوار اكلنده بر انسان بن مالك كلديشه ان
ترمشه نديد آبا يشتر آيلمان الفارابي
كاشتب انقار ماديشمشه الكمنا هلتر
يا سلمان ديشهلما مبارشت مبيتر شنا
اكنغرنه اولر اديشمشه انشاء شيطان
شبلشمشه اشكده شاعر استغا الاشبلر ايتب
بعد اكنيلا شكي سيادشه الرا كلنشاره
بواشتبه شمشيط بلاشه كلايده القوا
لغا اشبار مشه اديشه تشبوا تبر بشتر شتر
لابوما اديشمشه الادنه اكيار اشكانا
لابا مشديشلمزها البشر ده الشدالك
كشه الشيخ محمد صمصم ديلدكلاشر اده
خابر كاشا انكلر اساميار شنا مكر شه
انا آهجا سامير شنار الا بطمشد آدكلا
فشر الكونده بالا عمشه البشر ديشه بشر ها
انلشرا ابشمشد اهر انغوكلوا هر اصلده
شالر كشيدا بواشلا بتشمشلشه مشه انت
اليسبلا ديشه ياشار جايبد شه ياشيكر يا
راشبشه اوزه انكر كمر يتا اكلا كا ده

النسخة المطابقة للأصل:

"بِسْمِ اِللهِ اِلرَّحْمَنِ اِلرَّحِيمِ. ءَاشْتَا ءَاشْ ءَاَللْحَدِسْدَا سِلْمَانْ اَلْفَارَاسَ ِيُ، كُوَنْد ءَاشْتَب ءَانَالْرَتِكُ دَالَمُوارْتَا. فوَّا رَّاكُنتَدُ بُر اَنَسْابْنُ مَالِكْ كَادِيشْ: ءَانْترُمُشْأُندِيَ اَبَاشتَرْ اَسِلْمَانْ اَلْفَارَاسْيُ كَاشْتَب ءَانْفَارْمُادِشْمُشْاَ ءَالْ: كُمُتَاهَلَّشْ يَاسِلْمَانْ؟ دِشُّهَلُّمَا مِبَارْشُنَ مُيْتِرِشْشَا اِكُنْعَزَنْدَا دُلُرْ. اِدِشْمُشْاَ ءَالْشَانُّرْ تُبِيَانْ شَبَاشْ شُ ءَاشْتَدُ شَانُّرْ، اَسَعَاَالاَ شُبَّلَزُ اِيَبْيَدَلُ، اِكُنْبِّلاَ شُكُدِسِيَا. دِشُ ءَالْزَّكُنتَدُرْ: بُّواشْنُبَّشْ شِنُمُيْبُكُ، بَااُشْ كَالاَبِنُ ءَالْفُوَالْغُاَ شُبَارْشُنَ؛ اِدِشُ: تَنْبوَانَبَرَبُشُتْرُشْ، لاَبَدْمَا. اِدِشْمُشْاَ ءَالْاَدُنْدَا كِيَارَاشْ كَاتَالاَبَامُشْ؟ دِشُلاَبَدْمَا اَلْفُشْرْ دَالُشْدَالَ كَشَدَا لَنَبِي مُحَمَّد صَعَمُ. دَكِيَ كَلاَشْ دَامَنْدَا بُرْ كَاشَا ءَانْدُلُرَاسَامِبَّارْشُنَا مِكُرَسُنْ اِشَاَ اَبُجَاسَامِترشْ ْتَارَ، اِلاَبَمُشْلُ اَدَكَالْ فُشَرْ اِكُوَنْدُ بَالاَغَمُشْاَ لْفُشَرْ دِيشُ: بُّشَدْمَا ءَانْلَشَرَااَ. اِبُّشُمُشْلُ، اِهزُ اَلْغُوَظُو اِهزُ اَصَلَدُشْاَ لَرَكَشْا؛ دَابُّوَاشْلاَبَنْتُشَشْ مَنُشْ ءَانْتَ ءَالْسِيَالُا دِيشُ: يَا شَانُّرْ، يَا بِّيَدُشُ، يَا شَبِدُرْ، يَا رَاشْبُّنْدَادُرْ دَاتُدَرُّغَرْيَ، يَا اَكَالْ كاَ نُ ...."[1]

صحيح أن القارئ العربي الغير متخصص في هذا التراث ولا يملك ناصية اللغة الأعجمية لا يستطيع ولوج النص المحقق؛ ولا غرو في ذلك، فكم من تخصص لا يدرك خباياه إلا من تمكن منه وتمرس على دراسته. وهذا لا يعفينا من إخراج هذا التراث إلى النور، وأن يكون لنا نصيب في إحيائه؛ فلعلها خطوة تقرب القارئ العربي من هذا التراث وتستثير اهتمامه وتوقظ وعيه به. وقبل كل هذا تبقى الأمانة العلمية في نقل النص كما هو، خبرناه أم لم نخبره.

**إشكاليات تحقيق "المخطوط المجهول"**

حتمت الظروف التي عاشها الأندلسيون المتأخرون أن تكون لهم صيغهم وأساليبهم وآلياتهم في تأليف كتبهم، فجاءت أغلبها دون عنوان ودون إسم المؤلف أو الناسخ ودون إشارات إلى مكان وتاريخ النشر. والحقيقة أن أول الصعوبات التي تعتري طريق الباحث المحقق في التراث الأعجمي هي كيفية تعاطيه مع نصوص "مجهولة" هي أقرب لمفهوم المخطوطات المطوية. فإذا كانت قواعد التحقيق تقتضي البحث والتحقق من صحة الكتاب وإسمه ونسبته إلى مؤلفه والنسخة الأم، فأي نهج يسلكه الباحث المحقق حينما تغيب وتندثر كل هذه العناصر؟ وهل أصلا يجوز له تحقيق نص بهذه الخصائص؟

لو أن الأمر استثناء لقلنا أن على المحقق أن يعتمد نسخة "كاملة" أو تستوفي شروط التحقيق، لكن الاستثناء في التراث الأندلسي الأعجمي أن يجد الباحث مخطوطا يحمل عنوانا أو يذكر اسم مؤلفه أو ناسخه أو تاريخ نسخه، فهذه من نفائس المخطوط الأندلسي الأعجمي.

إن سياسات الحظر واجتثاث الجذور وقطع الصلة بالماضي أحدث شرخا كبيرا في تراث الأندلسيين المتأخرين وقلص من قدراتهم على الامتاد عبر الزمن والمكان وأحدث عجزا كبيرا في التواصل مع المصادر وأمهات الكتب العربية والإسلامية. ثم إن القدرة على مواكبة ما ألفه أجدادهم وعلماء المشرق والمغرب من قبل ظلت محصورة وتمحورت حول جهود بعض النخب الأندلسية أو "الفقهاء" في إنقاد ما يمكن إنقاده، وتقريب القرآن والسيرة النبوية وإبقاء

[1] مخطوطة مكتبة المجلس الأعلى للأبحاث العلمية بمدريد، رقم J 52

روح الإسلام حية في نفوس "العامة". لذلك ما كتبوه لن يكون تأليفا بالمعنى الصحيح وإنما هو إعادة صياغة ما كتب في الماضي، أو بالأحرى ترجمة تفسيرية تأويلية للتراث العربي الإسلامي.

ولعل أهم حلقة في التراث الإسلامي والتي يجب اعتمادها في تحقيق النص الأعجمي هي النسخة الأصل، بمعنى النص العربي الأصل، فكثير من المخطوطات الأعجمية هي ترجمة معلنة لنص عربي أو ترجمة ضمنية لا تلتزم بالنص بل تتصرف فيه وتقتبس منه. وهنا تكمن مهمة الباحث المحقق للنصوص الأعجمية المتمثلة في تتبع آثار النص الأصلي في النص المقتبس والمترجم.

**المخطوط الأندلسي الأعجمي: ضوابط التعليق**

يقول الدكتور بشارعواد: "التعليق الذي لا بد منه هو ذاك الذي يتوصل به المحقق إلى ضبط النص من حيث تنظيم مادة النص بما يظهر معانيه ويوضح دلالاته، وتقييده بالحركات الضرورية التي تؤدي إلى قراءة صحيحة ومايستلزمه كل ذلك من رجوع إلى الكتب المعنية بهذا الفن، وتثبيت الاختلافات المهمة بين النسخ والترجيح بينها وما يحتاجه من تعليق يعلل به ذاك الترجيح، والإشارة إلى الموارد التي اعتمدها مؤلف النص بعد الرجوع إليها سواء أكان قد صرح بها أم أغفل التصريح وتأكد للمحقق اعتماده عليها، والعناية بإثبات الاختلافات الجوهرية بين تلك الموارد والأصول وبين النص الذي ذكره المؤلف مقتبسا منها، ثم متابعة النقول التي اقتبسها منه المؤلفون الذين جاءوا بعده وتثبيت مواضعها لا سيما فيما يتصل بالناقلين المتقنين، كل ذلك من أجل خدمة النص وتوثيقه وتصحيح نسبته."[1]

قد لا نستطيع في سياقنا هذا اعتماد ضوابط التعليق على النص المحقق لأجل التحقق من نسبته، لكن التعليق على النص الأعجمي أمر في غاية الخطورة والضرورة، خدمة للنص من حيث توثيقه وتنظيمه وتجميعه كوحدة متناسقة متجانسة. والحق يقال أن المخطوط الأعجمي باعتباره مزيجا من المضامين وكتابا جامعا لمواضيع متفرقة ومختلفة. ورغم أن تلك "الجوامع" تقسم أحيانا إلى أبواب وفقرات مخصصة كل واحدة منها لـ "حديث" معين، فإن الباحث يجد نفسه داخل الباب الواحد أمام زخم من الاقتباسات والإيحاءات والنقل عن مصادر لا تذكر في أغلب الأحيان وفيه كثير من الاختزال أو التأويل الزائد. وهنا وجب تنظيم مادة النص، أخذا بعين الاعتبار أن كل إحالة ضمنية هي في حد ذاتها وحدة مستقلة داخل النص.

وأحيانا يكتفي المؤلف بالإشارة إلى "الإسم" الذي ينقل عنه دون ذكر المصدر، كأن يقول: "قال أبو الحسن" أو "قال عامر بن عبد قيس"، ويتعين على المحقق "معرفة مواضع النقول". وعلى سبيل المثال نجد في بعض الأحيان ذكرا لبعض المفسرين مثل: "وحسب تفسير الحسن"، "وفي قول يحيى في تفسير أبي الحسن" –أبو الحسن الحرّالي؟–، "وفي تفسير مجاهد" –مجاهد بن جبر (ت.104هـ) "وتفسير قتادة" ويكتبونها "كتدة" –قتادة بن دعامة السدوسي البصري (ت. 118هـ)–. كما نجد إشارات إلى بعض كتب التفسير كتفسير يحيى بن سلام البصري (ت.200هـ) "وتفسير بن مانين" أي مختصر تفسير يحيى بن سلام البصري للحافظ ابن أبي زمنين (ت. 399هـ) و"كتاب التفسير

[1] بشار عواد معروف، نفس المصدر، ص. 341-342

للكلبي" في إشارة إلى ابن جزي الكلبي الغرناطي (ت. 757هـ) وكتابه "التسهيل لعلوم التنزيل". بل إنه في بعض الأحيان تمت الإحالة إلى أحاديث للرسول صلى الله عليه وسلم وآيات من القرآن الكريم مترجمة دون ذكر النصوص كما هي. والمحقق هنا مطالب بتخريج الآيات والأحاديث ما ظهر منها وما بطن، وكذا الأعلام وتوضيح ما هو مبهم في تعاليقه وحواشي المتن.

**التصحيف والتحريف في المخطوط الأندلسي الأعجمي**

في المخطوط الأندلسي الأعجمي الكثير ثم الكثير من "الخسن والخسين بنات معاوية". وهذا مرده إلى اعتلال اللغة عند أهل الأندلس المتأخرين وتعذر القراءة بالعربية لديهم، أو إلى خلل في النطق أو خطأ في النسخ. ولسنا نعني بالتحريف والتصحيف ما أصاب النص الأعجمي من أخطاء، فكما أسلفنا فإن الإسبان اعتنوا عناية فائقة بالظواهر اللغوية اللسانية وخصائصها واختلالاتها، ولن نقف عندها في تصورنا لتحقيق المخطوط الأعجمي. في المقابل، فإننا سنقف عند الكلمات والعبارات والأعلام العربية التي كانت تتخلل النص الأعجمي والتي ساقها أولئك الأندلسيون رغبة منهم في إضفاء الشرعية على النص، خاصة الشرعية الدينية، وإظهار "تفقه" المؤلف ودُربته. وإن في هذا التصحيف والتحريف من الطرافة ما يجعلنا نقف عند بعض الكلمات وكأن أيد صبيانية نقلتها؛ فنجد كعب الأخبار وعمر ابن الحطاب وعصمان وتلحطة – طلحة ابن الزبير وكثير من الأعلام التي على الباحث التعرف عليها حسب السياق وتصويبها.

ويكثر التصحيف في نقل الآيات الكريمة كاستبدال التاء بالدال في الآيتين (8) و(9) من سورة التكوير: ﴿وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾، فكتبوها "سئلد" و"قتلد"؛ أو وضع السين محل الثاء في الكوثر فكتبوها "الكوسر" وهذا تصحيف يعود بالدرجة الأولى إلى التأثيرات الصوتية الرومانثية الإسبانية على النطق بالعربية، فاللغة الإسبانية لم تكن قد عرفت في تاريخ تطورها بعض الحروف اللثوية كالثاء، فأسقط أولئك الأندلسيين نطقها في الكلمات العربية. كما لاحظنا تعجيم الدال أوالعكس في غير موضعهما، ووجدنا في بعض الأحيان ميلا إلى حذف واو الجمع وزيادة المد فكتبت "إرم" براء ممدودة، أو حذفه أو تخفيف الهمزة أو حذفها كما في الآيتين (42) و(43) من سورة النازعات:

**الخاتمة**

لا شك أن الباحث المحقق لمخطوط الأندلسي الأعجمي تعتري طريقه في تحقيق هذا النص وفي تطبيق لمناهج في التحقيق سواء كانت عربية أم غربية الكثير من العقبات والإشكالات. وقد نعزو ذلك إلى طبيعة هذا المخطوط الهجينة والتي إن تمكن المحقق الغربي من فك شفرته والتمرس على قراءته وتحليله ودراسته فقد تغيب عنه كثير من القضايا التراثية الإسلامية والعربية. وإن كان بمقدور المحقق العربي التعرف على أصوله فقد يتعذر عليه فهمه بسبب تعذر قراءته. وبين هذا وذاك يبقى هذا الكتاب المخطوط غريبا ينتظر من يقدم على تحقيقه وهو يمتلك مهارة ومرونة والكثيرمن الإصرار على بلوغ الأمرين والأمرّين: قراءة النص وفك شفرته ثم إدراك خباياه وامتداده الضارب في عمق التراث العربي الإسلامي.

بل إن ذلك يتطلب تجديد السؤال ونحن نحمل بين أيدينا الجواب: "هل يمكن لنا أن نكون مبدعين، ونحن نتعامل مع التراث، ونعالج فكر الآباء؟ نعم! نستطيع أن نكون مبدعين، إذا نحن قمنا بدور الطبيب الذي يستولد الأجنة الكامنة في بطون أفكار الآباء، بدلا من أدائنا دور المغسِّل الذي يجهزها للدفن في مقابر التاريخ"

وفي ظل غياب تام لأي مشروع أو مبادرة لتحقيق المخطوط الأندلسي الأعجمي في عالمنا العربي فلا بد أن تكون للإبداع يد في البدء بالخطوة الأولى ندرس فيها ما كان من جهود "التحقيق" عند الغربيين وما يمكن أن يكون عليه تحقيق التراث الأندلسي الأعجمي عندنا.

ومن هذا المنطلق مكنتنا هذه الدراسة استخلاص بعض الأفكار:

- أن اهتمام المستعربين خاصة الإسبان بالتراث الأندلس الأعجمي "تحقيقا" ودراسة ونشرا هو اهتمام لا يمكن البتة إنكاره. وقد سبق لنا القول أنه حتى نأتي بما أتوا به على الزمن أن يتوقف عندهم حتى نواكب نحن ما أنجزوه هم.

- أن "التحقيق: الغربي لهذا التراث له ما له من حيث الجهود المبذولة في إحياء هذا التراث ودراسة جوانبه المادية ومضامينه والبحث في قضاياه ونشره. وهو "تحقيق" عليه ما عليه، من حيث أنه يفرض على هذا التراث آليات لتحقيقه يضيق بها درعا، لما فيها من نظرة فوقية وتوجهات فكرية تخدم الذات "الإسبانية" في هذه الحالة.

- أن تصور منهجية عربية لتحقيق هذا التراث يجب أن يكون فيها الكثير من المرونة و تأخذ بعين الاعتبار خصوصية أنه وليد تراث العربي الإسلامي، ولأنه كذلك فبعض من جوانب تحقيق التراث العربي وليس كلها يمكن اعتمادها في تحقيقه. فتقديم النص كما كتبه مؤلفه والعمل على ضبطه والالتزام بقواعد التعليق عليه وتصحيح ما به تحريف وتصحيف فيه وتخريج الآيات والأحاديث هي آليات تحقيق الكتاب المخطوط

العربي يمكن تطبيقها في تحقيقنا للكتاب المخطوط الأعجمي؛ علما بأن هناك آليات أخرى ليس بمقدر الكتاب المخطوط الأندلسي الأعجمي تحملها.

**المراجع العربية**


(1) أيمن فؤاد سيد، الكتاب العربي المخطوط وعلم المخطوطات، الدار المصرية اللبنانية، 1997

(2) المختار النواري: الدكتور عباس ارحيلة. خطوات في مجال التحقيق: المجهود والمنهج. انظر في: http://rhilaabas.arabblogs.com/rhila49/archive/2011/1/1310881.html

(3) بشار عواد معروف، ضبط النص والتعليق عليه، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1982

(4) بشار عواد معروف، في تحقيق النص. أنظار تطبيقية نقدية في مناهج تحقيق المخطوطات العربية، دارالغرب الإسلامي، بيروت، 2004

(5) عبد الستار الحلوجي، المخطوطات والتراث العربي، الدار المصرية اللبنانية، 2001

(6) عبد السلام محمد هارون، تحقيق النصوص ونشرها، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1998

(7) عبد المجيد دياب، تحقيق التراث العربي. منهجه وتطوره، دار المعارف، القاهرة، 1993

(8) عبد الهادي الفضلى، تحقيق التراث، مكتبة العلم، جدة، 1982

(9) طه عبد الرحمن، تجديد المنهج في تقويم التراث، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2001

(10) قاسم السامرائي، علم الاكتناه العربي الإسلامي، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، الطبعة الثانية، 2008

**المراجع الأجنبية**

(1) AA. VV., Codicología y edición de textos, en "literatura medieval y renacentista en SEMYR, Salamanca, 2012, pp. 221-241

(2) Barceló Torres, C., "Galmés de la Fuente, Álvaro (1998): Los manuscritos aljamiado-moriscos de la Biblioteca de la Real Academia de la Historia (Legado de Pascual Gayangos). Madrid RAH, 234 p", en Estudis romànics, 23 Barcelona, 2001, pp. 271-274.

(3) Casassas Canals, X., La edición de manuscritos romances aljamiado-árabes: Una propuesta de edición en capas. En:

www.casassas.net/articles/edicion_manuscritos%20romances_aljamiado_arabes_mudejares_moriscos.pdf

(4) Molina, L., Consideraciones sobre la edición de manuscritos árabes, Al-Qantara: Revista de estudios árabes, V. 19, Fasc. 2, 1998, pp. 383-392

(5) Montaner Frutos, A., La edición de textos aljamiados. Balance de un decenio (1994-2004), Romance philology, Vol. 59, Spring, 2006, pp. 343-372

(6) Ribera, J., Colleción de textos aljamiados, Zaragoza, 1988.